الجزء الثالث — المجلد السادس والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥١ — ٢٧ رمضان سنة ١٣٧٠

ذيل ثانٍ

للألفاظ السريانية في المعاجم العربية

انا بعد تتبع وطلب في عدة مصنفات أحرزناها حديثاً، أوردنا هذا الذيل الثاني مشتملاً على اضافات وتصويبات وتعاليق، وسبع وسبعين لفظة جديدة. فالمعوّل في أصل الألفاظ المبحوث فيها، على الفهرس الخاص الذي علقناه على رسالتنا هذه التي امتدّ بنا نفَس البحث فيها تعليقاً وتحقيقاً حتى أمست كتاباً.

حرف الألف

اضافة الى ابل : حداد : قال ميخائيل هونتورا في كتابه « بيان النسبة بين اللغات الهندية الأوروبية واللغات السامية المطبوع عام ١٩٣٣ في صفحة ٢٠٩ : «وهي بالآثورية Ublu وبالعبرية Ebel » فهي بهذا المعنى مما توافقت فيه هاتان اللغتان والآرامية والعربية » .

آبنوس : قال المعلم بطرس البستاني في محيط المحيط ص ٦: الآبَنُوس والآبْنُوس.

شجر يعظم كالجوز ، له ثمر كالعنب وأوراقه كأوراق الصنوبر ، وخشبه شديد الصلابة أسود والهندي منه يوجد فيه بياض » وقال الشرتوني في معجمه ص ٣ « الآبَنُوس وفي لغة الابنُس شجر مثمر يعظم كالجوز وأوراقه كاوراق الصنوبر ، معرّب واسمه العربي سأسم » وقال الأمير الشهابي ص ٢٣٢ « آبَنُوس Ebéniér شجر من فصيلة الآبَنُوسيّات له خشب صلب أسود مشهور » وقال العلامة الذائع صيته مار غريغوريوس ابن العبري في « منتخب النافقي في الادوية المفردة المطبوع في مصر سنة ١٩٣٢ ص ١٦ و ١٧ « ابنوس أقوى ما يكون الحبشي وهو أسود وليس فيه طبقات يشبه في ملامسته قرناً محكوكاً وكان كسره كثيفاً ... وفي الهند صنف منه فيه عروق لونها أبيض ياقوتي » ا ه وعلق عليه ناشرا الكتاب الدكتوران ماكس مايرهوف وجورجي صبحي في الترجمة الانكليزية بقولها ص ٧٤ « ان الكلمة تظن من اللغة المصرية القديمة Hbn وهي اسم الشجرة والخشب » عن : المصري القديم تأليف Loret ، وهي باليونانية Ébénos وباللاتينية Hébénus وباللغات الشرقية آبنوس الخ » .

وعلّق المطران يعقوب أرجين منّا في المروج النزهية السرياني ج ٢ ص ٣٦٩ على هذه اللفظة بقوله : « ابنوس ، نوع من خشب مُصْمَت صلد كالحجر ولهذا سمي بالسريانية (ابنوسو : Abnouço) تصغير (ابنو Abno) وتفسير الكلمة ، حَجَر ، ومنا أخذها اليونان والعرب . ا ه

وقال شارل جان في كتابه « أدب الآشوريين والبابليين » ص ٣٥٥ « Abné لفظة أكّدية معناها حجارة ومفردها Abnu . وأورد سبع ألفاظ مركبة منها Aban-Samé ومعناها حجر السماء . واللفظة كما ورد آنفاً تعني بالسريانية حجراً ، قطعة لَبِن مشوي ، كومة حجارة . (دليل الراغبين ص ٣) . وهي أيضاً بالعبرية Eben (معجم برون ص ٣ ومعجم شامبرلين ص ٢٦٠)

حيث ذهب المؤلف ان اللفظة اليونانية أُخذت من العبرية Hobnim جمع لفظة Obni , Hobni ·

فاللفظة اذاً سريانية من أصل اكدي ، ومن السريانية اقتبستها سائر اللغات ·

أُترجّ : أجمع دوفال ص ٢١٣ والمطران ادى شير في « الألفاظ الفارسية المعرّبة » ص ٣٤ والدكتوران مايرهوف وصبحي ص ٧٩ على نجار هذا اللفظة الفارسي · وكتب الينا الأمير الشهابي ان الأُترُجّ والتُرُنْج من أصل سنسكريتي هو ماتُلُنْغا ومنه انتقل الى الفارسية فالعربية · فتباينُ آراءهم ·

اتّون : قال غويدي في كتابه « بلاد العرب قبل الاسلام » ص ٥٧ ان تنّور واتّون وفرن الفاظ أعجمية ·

اضافة الى : اجّار : ومنه حديث الهجرة فتلقى الناسُ الرسولَ في السوق وعلى الأجاجير والأناجير يعني السطوح « النهاية لابن الأثير ١ : ١٩ » ·

وفي كتاب آداب الآثوريين لشارل جان ص ٢٦٧ و ٣٥٧ « Igaru : نطاق ، سور ، استعملت في اثر دون أواسط المئة السادسة ق · م » ·

اضافة الى اجّانة : واللفظة بالآثورية Agan وبالعبرية والكلدانية Agan Agam · توافقت فيها الآثورية والآرامية والعبرية (كتاب بيان النسبة بين اللغات الهندية الاوروبية واللغات السامية لميخائيل هونتّورا ص ١٢٣) ·

آجرّ : قال الفيومي في المصباح المنير ص ١٢ « الآجر ، اللبن اذا طُبخ ، بمدّ الهمزة والتشديد أشهر من التخفيف ، الواحدة آجرّة وهو معرّب » ·

وقال المطران ادى في الألفاظ الفارسية المعربة ص ٧ نقلاً عن الأب هنري لامنس اليسوعي في كتابه الفروق ص ٣٣٠ « الآجور والآجر والأُجُرّ والآجرون تعريب اكور ، وهو تراب يُحكم عجنه وتعريضه ثم يُحرق ليبقى » وهنا عن محيط المحيط للمعلم البستاني ص ١٠ الذي ذكر فيه عشر لغات وقال

انه معرّب آكُور بالفارسية • وقال لامنس انه جاء في الشعر الفصيح وأورد فيه أبياتاً لبعضهم • وذكر السيد ادى ان فرنكل في ص ٥ من كتابه الألفاظ العربية الآرامية الأصل قال ان أصل اللفظة آرامي وهو موجود في اللغة الآثورية القديمة اه وهي بالآثورية Agurru • وارتأى دوقال أيضاً اصلها السرياني ص ١١٦ • ورواها الدليل Ogouro بالمفرد ص ٥ وابن بهلول ص ٢٥ وبرون ص ٣ بالجمع Ogouré وزاد برون انها بالآثورية Agurru وقال الدكتور اسرائيل ولفنسون في تاريخ اللغات السامية ص ٤٠ « يظهر ان كلمة آجر ليست في الأصل عربية بل هي بابلية نقلها العرب الى لغتهم واستعملوها في الطين المحرق ، وأوردها في القاموس البابلي الآثوري ص ٤٩ Agurru • والأصح على ما يستنتج مما درسناه ان اللفظة آثورية الأصل ومنها اقتبستها الآرامية فالفارسية فالعربية •

ادوناي : معناها الرب الالآه القادر على كل شيء ، توافقت فيها اللغات الفينيقية Adan , Adon والآثورية Adunu والعبرية Adonaī والآرامية Odonaī , Adonaī : السيد ، الربّ • (هونتورا ص ١٦٣ ، برون ص ٤ الدليل ص ٦) •

اضافة الى إران : قال امرؤ القيس : وعَنْسٍ كألواح الإرانِ نسأتُها • أي ضربتها بالمنسأة وهي العصا • (شعراء النصرانية ٣٩) •

وجاء مثله في شعر طرفة (ص ٣٠٠)

ارجوان : قال البستاني في محيط المحيط ص ٦ « الأرجوان معرب ارغوان بالفارسية ، شجر له ورد يتنقّل به النرس على الشراب ، والأحمر وثياب حمر وصبغ احمر والحمرة » وقال شارل ص ٢٤٤ ـ ٣٥٦ « Argaman-nu بالاكّدية تعني صباغة الثوب من جلد الحملان بالأحمر » وقال هونتورا ص ٣٩٢ « هي لفظة

سريانية . ووردت أيضاً باللغة السنسكريتية Ergewan , Argawan : شجرة زهرها احمر مصدرها من الفعل الماضي Argu , Argan ومعناه : تلألأ » وهي بالسريانية Argwono .

اضافة الى ارز : قال أيضاً مايرهوف وصبحي (جامع المفردات ص ٨٦) ان لفظ الأرز (الرزّ) لا تعرفه اليونانية ، وهو بالفارسية : برنج .

اضافة الى آس : وقالا أيضاً ص ٧٥ «آس هي باليونانية Myrsine وباللاتينية Myrtus وبالفارسية مُورد Mùrd » انظر أيضاً القاموس الفرنسي الفارسي تأليف كازيميرسكي ص ٣٢٨ ووردت فيه Mourd وبالفرنسية Myrte وورد الآس في شعر أعشى قيس قال : وآسٌ وخيريٌّ ووردٌ وسوسنٌ (ص ٣٧٩) .

اضافة الى اسى ، وآسٍ : هي أيضاً بالآثورية Asa : آسي و Ass آسٍ ، طبيب (هونتورا ص ٢١٢ و ٢٣٨) .

اضافة الى أسَل : أوردناها ص ١٧ Ouçlo سهواً وصوابها : آوَسْلُو Awçlo .

اضافة الى اكّار : قال غويدي في كتابه «بلاد العرب قبل الاسلام» المطبوع عام ١٩٢١ ص ٥٠ «كان الأعراب الرحّل يحتقرون الزراعة وقال أحد الشعراء : بالرمح يُحاز المجد لا بحراثة الحقول . وفي الواقع ان الفاظ الزراعة هي آرامية الأصل وهي بحسب اقرار الأعراب تفسهم :

اكّار ، اريس ، نير ، اندر ، ناطور ، فدّان .

قلنا اننا نستثني لفظة اريس وجمعها أرارسة اذ ليست في لغتنا .

أمَة : الأمَة المملوكة (الشرتوني ٢٠) لفظة تتوافق فيها الآثورية Amatu أو أمْتُو والسريانية Amtho , Amo آمو ، أمْثُو ، والعبرية

Amah أمة ، والعربية ولغات جنوب الجزيرة والحبشة : أمَة (الدليل ٢٤ ويرون ٢٠ وهوتّورا ٢٧١ وولفنسون ٢٨٤) فهي اذاً سامية النجار .

اضافة الى إمّر : تشترك في هذه اللفظة الفينيقيـة Hamar والآثورية Himmeru (هونورا ص ٢٥٧) .

اضافة الى أنبوب : هو بالآثورية Amboub ومعناه : قصبـة ، زمّارة وبالسريانية Aboubo هونورا ص ٢٧٣ .

اضافة الى اندر : الأندر البيدر بلغة أهل الشام وكدس القمح ج أنادر (محيط المحيط ص ٢٠٥٥ـ٢٠٥٦) وفي النهاية لابن الأثير ١ : ٤٦ « وفي حديث عمر كان لأيوب اندرانِ : الأندر البيدر وهو الموضع الذي يُداس فيه الطعام بلغة أهل الشام » .

وفي كتاب صورة الارض تأليف ابي القاسم ابن حوقل النصيبي ، القسم الثاني طبعة ليدن سنة ١٩٣٩ ص ٣٠٤ « ولم يَرِم (قباد) حتى جعل فارس مقاطعات وخراجات تُقْبَض اذا حُيِّن ما في الأنادر ، وتصرّف الأكرة والمزارعون في البيادر » .

اضافة الى آنُك : هو أيضاً بالآثورية Hanak وكذلك بالعبرية (هوتّورا ص ٣٠٢) .

اضافة الى إيَّل : توافقت فيها اللغات الفينيقية Aila والآثورية Ailu , Ilu والآرامية Ailo والعبرية Ayial والعربية : إيَّل والحبشية Aialu . ووردت أيضاً بهذا اللفظ في اليونانية واللاتينية والتالية والجرمانية (هونورا ١٤٩) .

حرف الباء

باب : لفظة توافقت فيها الآثورية Bâbu : باب (المعجم الآثوري للأب شيل ص ٥٢) والسريانية Bobo , Bob : باب صغير (الدليل ص ٤٩) والعربية ، وجعلها هونورا ، سامية ص ٢٣٠ .

اضافة الى بابوس : وجاء في شعر ابن احمر لتير الانسان (النهاية لابن الأثير ١ : ٦٤) .

اضافة الى الباريّ : وقال الأصمعي ، الباريّ والبوريّ عربي وأنشد للعجّاج :

كالخُصّ اذ جلّلهُ الباريُّ (محيط المحيط ص ١٤١)

اضافة الى باشق : وقال السيوطي في الكنز المدفون ص ٨٠ في الباشق لغتان باشق وباسق .

اضافة الى باطية : توافقت فيها الآثورية Batu (هونتورا ص ٣٨٧) والسريانية ، ومن هذه اقتبستها العربية .

اضافة الى باعوث :

ص ٢٤ في الهامش : وذكر المعلم بطرس البستاني ، صلاتي ثاني عيد الفصح وطلب المطر (محيط المحيط ص ١٠٥) .

بتول : البتول ، الشابّ العزب والشابة العزباء البكر ، توافقت فيها الآثورية Batulu : بتول ، شابّ (النحو الآثوري للأب ف . شيل وفوسّي ص ٥٢) وهونتورا ص ١٧٠ Batulu : فتى ، شابّ و Batultu : فتاة) والسريانية Bthoulo ، Bthoullo بتول ، عزب ، بتولة ، عذراء ، والفعل Bthal و Ethbatal : تبتّل ، كان بتولاً . والعبرية : Betulah : فتاة ، بكر (هونتورا ص ١٧٠) والعربية .

اضافة الى بحران : قال الطبيب عبد الله بن بختيشوع المتوفى سنة ١٠٦١ م في كتابه الروضة الطبية الذي نشره بمصر القس بولس سباط سنة ١٩٢٧ ص ٦٠ « البحران هو بحسب هذا الاسم في اللغة السريانية ، القضاء بين الخصمين لأنهم شبهوا الطبيعة والمرض بخصمين قد تقدما الى الحاكم ، وكل منهما خائف من بتّ الحكم عليه . فعلى هذا الوجه وضعوا اسم البحران . فقد بان ان معنى

البحران من هذا القول ، هو تغير يعرض للأمراض بغتةً ، وهذا التغيّر لازم لسائر الأمراض الا انه في الأمراض الحادّة أظهر وأبين» وجمع بحران بحارين ، قال في الصفحة نفسها ، «وأصناف البحارين سبعة» .

بَرْق : صاعقة توافقت فيها الآثورية Birku والسريانية والعبرية Barko (هونتّوراص ٣٠٢) .

بَرْك : سامية Baraka (هونتّورا ص ١٢٣) .

اضافة الى بُرنس : قال المهلهل اخو كُليب :

واذا تشاء رأيتَ وجهاً واضحاً وذراعَ باكيةٍ عليها بُرْنُس

(شعراء النصرانية ١٧٩) .

بسأ : توافقت فيها الآثورية Bastu والآرامية Bso والعبرية Boza والعربية (هونورا ص ١٦٣) .

بَصَل : البصل البقل المعروف هو بالسريانية : بِصلو بَصلو : Baslo , Beslo (الدليل ٧٦) وبالعبرية والعربية بصل (برون ٥٢ وهونورا ٣٠٦) وذكر هذا انه بالآثورية Basalu فاللفظة من توافق هذه اللغات الأربع .

- اضافة الى بستوقة : وفي محيط المحيط ص ٩٢ «قلّة من الفخّار فارسي معرب» .

تحقيق في لفظة بعير : تورّط بعضهم في رأي قائل أخذاً عن الدميري في كتابه «حياة الحيوان» ج ١ ص ١٣٣ عن ابن السكيت وخلاصته «ان البعير سمي بعيراً لأنه يبعَر . يقال بَعَر البعير يبعَر بفتح العين فيهما بعْراً باسكان العين كذبح يذبح ذبحاً ، وهو اسم يقع على الذكر والأنثى وهو من الابل بمنزلة الانسان من الناس ، فالجمل بمنزلة الرجل وانما يقال له بعيراذا اجذع» . وهو تعليل مغلوط فيه لا يُلتفت اليه ، وذلك ان ذوات الخفّ والظلف كلها تبعر ، قال الفيّومي في المصباح المنير ص ٨٧ «البَعَر معروف وهو من

كل ذي ظِلف وخُفّ ، ويَعَر ذلك الحيوان بعراً من باب تعب ، ألقى بعرَه » ومثله في أقرب الموارد ١ ـ ٥٠ وقطر المحيط ١ : ١١٩ وعلى رأي الدميري ومن قال بقوله : يصح أن يسمى بعيراً كل من الشاة والعنز والأرنب والغزال والايّل وغيرها ! ومن قبيل تعليل الدميري الفارغ قوله ج ١ ص ١٩ لفظ الاتان من الإتيان ، وص ١٨٠ « وسمي الثور ثوراً لأنه يثير الأرض كما سميت البقرة بقرة لأنها تبقرها » وقوله في الخنزير ١ : ٣٠٣ « وحكى ابن سيده عن بعضهم انه مشتق من خرز العين لأنه كذلك ينظر .

وأما ابن جنّي الذي استأثر لنفسه اكتناه سر اللغة ولطائفها في ما زعم ، فبعد أن قال ص ١٢٤ « الناقة فعَلة من قولهم تنوقتُ في الشيء اذا أحكمته وتخيّرته ، أردف ص ٥١٤ « وعلى هذا قالوا (جمل) لأن هذا (فَعَل) من الجَمال ، ونقله عنه المعلم بطرس البستاني وعلّله بان العرب يحسبون الجمال جَمالاً وزينةً (محيط المحيط ص ٢٨٩) وفي ص ٥١٥ ولذلك قالوا البقر من بقرْتَ بطنه اذا شققته ، فهو الى السعة والفسحة وضد الضّيق والضغطة » ! مع ان هذه الأسماء تشترك فيها لغات شتى وأخصها السريانية .

فان جمَل بالسريانية والكلدانية Gamlo وبالآثورية Gammalu وبالعبرية Gimmel وبالحبشية Gamal . والثور بالفنيقية Tor وبالسريانية والكلدانية وبالعبرية Shôr شور وبالحبشية والمغولية Toro وكذلك باللاتينية Tauro . والبقر سامية وبالعبرية Bacar , Vacar وبالسريانية Bacro (بقرو) . والخنزير هي بالآثورية Canacara و Habacar وبالسريانية Hziro (حزيرو) . وإبل هي بالآثورية Ibilu . وورد في السريانية Aboulo : قافلة من إبل [1]،

---

(١) دليل الراغبين .

وفي محيط المحيط ، « الأُبُول والإِبَّول : القطعة من الابل » ، (نسبة اللغات لميخائيل هونورا ص ١١٨ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٤٦ و ١٩٣) .

وقس على هذا قوله في البازي ١ : ١٨٠ « لفظه مشتق من البزوان وهو الوثب . وفي الدَرّاج ج ١ — ٣٣٥ « الدرّاج القنفذ صفة غالبة عليه لأنه يدرج ليله كلّه ، قاله ابن سيده » وفي الدجاجة ١ ـ ٣٢٨ وسميت الدجاجة دجاجة لاقبالها وادبارها ، يقال دجّ القوم يدجّون دجًّا ودجيجاً اذا مشوا مشياً رويداً في تقارب خطو ، وقيل هو ان يُقبلوا ويُدبروا » ومثله تقدّمه ابو علي القالي في كتابه البارع قال « داجٍ وقال غيره الداج الذين يُقبلون ويُدبرون وهو الدجيج وانما سميت الدجاجة لأنها تُقبل وتدبر » !

ولا نعلم أية اناقة أو تنوّق وجد ابن جنى في شكل الناقة أو في سيرها وأي جمال سحره من أوضاع جسم الجمل حتى انه استجاز هذا الاشتقاق الغريب وان كان العرب يتجملون بكثرة جمالهم ، ولا نظن عالماً عربياً أو مستعرباً ذكياً يقتنع بهذه التخاريج الملفقة .

وقال الفيروزابادي ١ — ٣٧٤ و ٣٧٥ البَعْر باسكان العين ويُحرّك ، رجيع الخُف والظِّلف ، والفعل كمنع ، والبعير وقد تكسر الباء الجمل البازل او الجذَع وقد يكون للانثى ، والحمار وكل مايحمل ، وهاتان عن ابن خالويه » . وفي الهامش « قوله والحمار الخ قال ابن بري ، وفي البعير سؤال جرى في مجلس سيف الدولة بن حمدان وكان السائل ابن خالويه والمسئول المتنبي ، قال ابن خالويه والبعير أيضاً الحمار وهو حرف نادر القيته على المتنبي بين يدي سيف الدولة ، وكانت فيه خنزوانة وعنجهية فاضطرب . فقلت المراد بالبعير في قول القرآن : ولمن جاء به حمل بعير (الحمار) ، وذلك ان يعقوب واخوة يوسف كانوا بارض كنعان وليس هناك إبل وانما كانوا يمتارون

على الحمير ، وكذلك ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره » اه ثم ان في قول الدميري « انما يقال له بعير اذا اجذع » دليلاً على ان هذا الاسم لا يطلق عليه من باب التعميم لكنه خصص به اذا اجذع اي بلغ سنته الخامسة ، كما قيل فيه الجمل البازل وهو البالغ سنته التاسعة .

وأما لفظة (بعيرو) B'ero السريانية فدونك مدلها في المعاجم السريانية : ابن بهلول ، عمود ٤١٤ : البهائم ، الأنعام ، وفي نسخة ثانية ، الحيوانات التي تعتلف العشب . ومنها للأكل ومنها للعمل في ما يحتاج اليه ، وعدّها دوفال من الألفاظ السريانية والعبرية ٣ : ٨٩ . وفي القاموس العتيق : الأنعام والبهائم والبعير وما اعتلف الحشيش . وفي برون ص ٢ : بهائم ، أنعام . وفي الباب ١ : ١٣٢ البهيمة والدابّة . وفي دليل الراغبين ص ٧٥ دابّة ، بهيمة ، ماشية ، جمل ، بعير .

وجاء في التوراة بحسب الترجمة السريانية البسيطة Warmi Kesto la'bourhoun وترجمتها بحسب النقل الموصلي « وصبّ علفاً لحميرهم » تكوين ٤٣ : ٢٤ .

وقال الدميري نفسه ج ٢ ص ٣٦١ « النَّعَم عند اللغويين ، الإبل والشاء يذكّر ويؤنّث ، وقال ابن الاعرابي : النعم الابل خاصة والأنعام للابل والبقر والغنم . وحكى القشيري في تفسير الأنعام ، انها الإبل والبقر والغنم والخيل والبغال والحمير » .

وجاء في محيط المحيط ص ٢١٠٠ « النَّعَم وتسكَّن عينه ، الابل والشاء او خاص بالابل ج انعام واناعيم » وفي المصباح : « النَّعَم المال الراعي وهو جمع لا واحد له من لفظه ، وأكثر ما يقع على الابل . قال ابو عبيد : النَّعَم الجمال فقط ويؤنث ويذكّر ج نُعْمان مثل جَمَل وحملان ، وأنعام أيضاً . وقيل النَعَم الابل خاصة ، والأنعام ذوات الخُفّ والظِّلف وهي الابل والبقر

والغنم . وقيل يُطلق الأنعام على هذه الثلاثة فاذا انفردت الابل فهي نَعَم ، واذا انفردت الغنم والبقر لم تُسمَّ نَعَماً » اهـ .

ومن هذا نستنتج ان تفسير ابن بهلول وصاحب المعجم العتيق لهذه اللفظة ، يشمل أيضاً معنى البعير الذي صرح به الأخير فضلاً عن صاحب الدليل وهو الأصح .

وأثبت ما يقال في لفظة البعير انها مما توافقت فيه اللغات السامية .

بلّور : البَلّور والبِلَّوْر ، جوهر أو صنف من الزجاج معرّب فِيرُلّس باليونانية (محيط المحيط ص ١٢١) قال هونتورا ص ٣٦٦ « بلّور Buralu بالآثورية و Bélouro بالسريانية و Bérullo باليونانية . وهي في اللاتينية والفرنسية Béryl .

بندق : قال غويدي ص ٥٠ « وكان يُحمل الى العرب من البلاد الأجنبية عنها شيء كثير من الأغراس والثمار كالبندق ، فان أصله من بلاد البنطس ونسبةً الى بلاده الأصلية سُمي Nux Pontica جوز البنطس وسمي بالآرامية Pendco وبالعربية أخذاً منها : بندق .

بنى : أنشأ بناء توافقت فيها الآثورية Banu (غراماطيق شيل وفوستي ص ٣٦) والآرامية Bno والعربية .

تصحيح لفظة بُوص : جاء في القاموس العتيق : بوصو Bouço : الكتّان الرقيق مثل القَصَب والدَّبيقي ويقال أيضاً الدِمَقْس اذا خالطه الابريسم . وقال ابن بهلول ع ٣٧٢ « بوصو ، حرير الكتّان مثل القصب والدّبيقي ، آخر ، الكتان الرقيق ، الدّمقس المفتّل ، حرير مغزول . وقال ابن سروشويه : انه يستخرج من لبّ قصب الكتان ويسمونه (قزّ) وقيل هو ما ينسجه دود الحرير وهو أبيض الخ » وعدّها دوفال في جملة الألفاظ السريانية ٣ : ٨٦ . وفي اللباب ١ : ٩٤ « الدمقس أي الحرير الأبيض والديباج او الكتّان » .

وفي كنز اللسان السرياني ١: ٦٥ « الكتّان الرقيق الأملس الأبيض » ·
وفي دليل الراغبين ٦٥ « كتّان ، حرير أبيض » ·

وورد في التوراة البسيطة (تكوين ٤١ : ٤٢) Lbousho , Dbouço
Walebshé وترجموها بارجوان الا البروتستانتية فقالت « والبسه ثياب بُوص » ·

وفي سفر الخروج ٢٥ : ٤ « وارجوان وقرمز وبوص » انظر أيضاً ٢٧ : ١٦ و ١٨ · و ٢٨ : ٥ و ٦ و ٨ و ١٥ الخ في النقلين الموصلي والبروتستانتي · وفي سفر استير ١ : ٦ « بستائر ··· معلقة بحبال بوص وارجوان في حلقات من فضة » في النقلين القديم والموصلي ، وبهذا اللفظ أوردها في انجيل لوقا ١٦ : ١٩ « ويلبس البرفير والبوص » وفي سفر الرؤيا ١٨ : ١٢ « تجارة الذهب ··· والبوص والارجوان والحرير والقرمز » وعدد ١٦ « المدينة العظيمة المتحفة بُوصاً وارجواناً وقرمزاً » ·

ووردت اللفظة أيضاً في نقش الملك كلو بن حيّا الراجع الى المئة الحادية عشرة ق · م : قال « في أيامي كُسي بَصّ » تاريخ اللغات السامية لولفنسون ص ٦٥ و ٢٧٤ في الكلام على اللغة الكنعانية (الفينيقية) ·

وجعلها شامبريس في معجمه يونانية الأصل Byssos ومعناها : كتان رفيع جداً ص ٥٠٩ · وكذلك معجم ثيل ص ٢١٣ وقالا فيها في اللاتينية Byssus ولكن العرب المسيحيين أوردوها بلفظها السرياني ، بُوص (قطر المحيط ص ١٥٤ ومحيط المحيط ١٤٢ وأقرب الموارد ٦٧) ولم يقولوا بيسّوس ولا بِيس أو بِيص ·

أما فرنكل فقال في كتابه « الألفاظ العربية الآرامية الأصل » ص ٤٠ « ان لفظة الخزّ اما فارسية واما آرامية مأخوذة من (بوصو Bouço) وقال ايضاً المطران ادّي في كتابه (الألفاظ الفارسية المعرّبة) ص ١٣٤ « والبوص

آرامي الأصل مُشتقٌ من (بُوص Boṣ) وهو فعل مات في اللغة الكتابية لكنه مستعمل في اللغة الدارجة ومعناه، تلألأ واضاء ، سطع ، ويرادفه العربي باضَ بَوضاً ، حسن وجهه بعد كَلَف (الشرتوني ٦٧) ومن (بوصو) مأخوذ العربي (بُوص) والعبراني بوص Butz واليوناني Byssos واللاتيني Byssus » .

وقال ميخائيل هونتورا ص ٢٧٤ « لفظة البوص هي بالفينيقية Buts وبالعبرية Buts وبالسريانية Butso وبالآثورية Buk وباليونانية Bussos وباللاتينية Byssus » .

فترجح انها فينيقية الأصل ووافقتها فيها الآثورية والآرامية والعبرية ، ومنها اقتبستها اليونانية واللاتينية ، ومن الآرامية أخذها العرب المسيحيون .

بَيْت : توافقت فيها الآثورية والسريانية والعبرية ، وقال ولفنسون ص ٨ « انها من اللغة السامية الأصلية Bi - i - tu , Bytu » .

بِيْعة : اجمع عشرة علماء كتب تسعة منهم بالسريانية وواحد بالعربية وهم : ثاودورس بن كوني أسقف كسكر (حوالى سنة ٧٠٠ م) في كتابه (اسكوليون) مج ٢ ص ٤ و ٥ وطبع في باريس ، ويشوعداد المروزي اسقف الحديثة في آثور (نحو سنة ٨٥٠) في كتابه ، تفسير اسفار العهد الجديد مج ١ ص ١١١ ـ ١١٢ وهو مطبوع ، وحنا نيشوع بن سروشويه اسقف الحيرة (نحو سنة ٩٠٠) في معجم ابن بهلول ، وموسى ابن كيفا اسقف بارمّان . ويث كيونا (٩٠٣ +) في كتابه الخطب مج ١ ص ٩٠١ وهو مخطوط في خزانتنا ، والحسن بن بهلول (سنة ٩٦٣) في معجمه المشهور عمود ١٤٠٨ — ١٤٠٩ ، والطيب ابو نصر ابن جرير التكريتي السرياني (نحو سنة ١٠٧٩) في كتابه العربي الموسوم بالمرشد في الباب التاسع والعشرين في بناء البيعة ، وهو مخطوط في خزانتنا ، ويعقوب بن صليبي مطران آمد السرياني (١١٧١ +) في كتابه

تفسير الانجيل ، النسخة المطبوعة في باريس مج ١ ص ٣٨١ — ٣٨٣ والنسخة المخطوطة بقلم المؤلف على ما نرى وهي مصونة في خزانتنا في تفسير الآية ١١ من الفصل ١٦ من انجيل متى ، ويعقوب البرطلي مطران دير مار متى وأذربيجان السرياني (١٢٤١ +) في كتابه الموسوم بالكنوز ، وهو مخطوط في خزانتنا الفصل ٣٩ من المقالة الثانية ، والعلاّمة مار غريغوريوس بن العبري مفريان المشرق (١٢٨٦ +) في كتابه مخزن الأسرار في تفسير الآية المذكورة آنفاً ، أجمع هؤلاء الفضلاء ان لفظة ــ البيعة ــ كما وردت في اللغة السريانية (عيتو Ito) مشتقة من لفظة (عيدو Ido) والفرق بين اللفظتين ان عيتو مؤنث وعيدو مذكر ومعناه ، محفل حافل بالافراح ، فاذاً ان البيعة تعني جماعة المؤمنين الذين يجمعهم وحدة الدين والطريقة .

وقال غيرهم ان لفظة البيعة عبرانية النجار تفسيرها بالسريانيــة (كنوشتو Knoushto) ومعناها هلموا فاجتمعوا (جماعة) ويقال لها باليونانية اقليسيا ، وتترجم بالسريانية ، دعوة ، ارادوا بها انها دُعيت من سائر الشعوب والأمم فاجتمعت . هذه صفوة ما أورده ثمانية علماء بالسريانية ، ونضيف اليهــا ما قاله عبديشوع الصوباوي مطران نصيبين (١٣١٨ م) في كتابه « الجوهرة » المطبوع ثانيةً في الموصل سنة ١٩٢٤ (في الباب الثالث والفصل الثامن ص ٣١) وترجمته « ان اسم البيعة ، يدلّ على محفل وعيد » او يعني اجتماعاً حافلاً .

ودونك النص العربي لما أورده في هذا الباب ابو نصر التكريتي في كتابه ، المرشد ، قال :

« اسم البيعة عبريّ تفسيره الجماعة ، وليس المراد بهذا الاسم الحيطان ولا الجدران ، لكن المجمع الذي يجتمع فيه المؤمنون بالمسيح للصلاة والعماد والقربان وباقي المناذات . وفي اليوناني سمي اقليسيا ومعناه الدعوة اي ان الشعوب

المجتمعين فيها دُعوا اليها للعبادة . وفي السرياني عيتو ، اي جماعة ، وقد تسمى أيضاً في حقيقة لغتهم (كنوشتو) اي جماعة ، و (كنوشيو) اي الاجتماع . كل هذه اسماء يدلّ بها على الاجتماع الذي الغرض فيه العبادة على ما استقرّ في السنّة المسيحية . والرسول فولوس يقول ، أعطوا السلام للبيعة اي يعني الجماعة التي آمنت بالمسيح ، والآباء في الأمانة المسيحية يقولون : ونقرّ في بيعة واحدة قدسية جاثليقية ورسولية ، اي جماعة المؤمنين جمعاً ورث عن الرسل اي السليحين وورثت الايمان عنهم ، وخاصة شمعون الصفا الذي قال له سيدنا انت الصفا وعليك أبني بيعتي ، اي انك الأصل والاساس الذي بك تقتدي جماعتي المؤمنة » اهـ .

ومما يؤيد اشتقاق لفظة البيعة من (عيد) بحسب اجماع الأئمة الثانية ، ايرادها في معظم المعجمات السريانية في حرف العين ، من ذلك معجم يشوع ابن علي ص ٣٠٢ وأردفها بلفظة (عيد) ومعجم ابن بهلول ع ١٤٠٨ ـ ١٤٠٩ والقاموس الشيق ، ومعجم المطران توما اودو مج ٢ ص ٢٠٧ ودليل الراغبين ص ٥٣٢ بعد (عيد) وصرّح ان (عيتو) بأَلِفَين : جماعة ، جمهور ، محفل ، بيعة ، كنيسة . ماعدا معجم اللباب الذي ذكرها في حرف الواو ١ : ٣٢٦ وقال ان التاء فيها عوض من الواو وقد يعاض عنها بتضعيف الدال فيقال Édo واستشهد على ذلك ببيت لمار افرام . أما معجم برون فأثبتها في حرف الواو من فعل Wa'ëd , ïëd : يعيد وأعيد ص ١١٧ و ١١٨ وفي حرف العين أيضاً ص ٤٢٩ . ولفظة العيد نفسها تعني بالسريانية أيضاً : حفلة ، جمع ، ملأ (دليل الراغبين ص ٥٣٢) .

هذا ما أجمع عليه القدماء . أما المحدثون فان الأب لويس شيخو المتوفى سنة ١٩٢٧ ذهب الى ان لفظة البيعة سريانية (بيعتو Bi'ïto) ومعناها البيضة

والقبة اشارة الى شكل بناء الكنائس قديماً (النصرانيــة وآدابها بين عرب الجاهلية ج ١ ص ٢٠١ — ٢٠٢) .

وذهب البطريرك افرام رحماني المتوفى عام ١٩٢٩ انها مشتقة من لفظة (وَاعِيْدْ Waᶜed) ومعناه جمع ولأم (الليتورجيات الشرقية والغربية ص ٥٦) .

وارتأى المطران يوحنا دولباني السرياني من المعاصرين لنا انها مصدر من فعل (وْعَاد Wᶜad) المُيات على صيغة (صِفْثُو Sefïho) من فعل (إِيصيف Ysef) ومعناه اهتمّ و (شِنْثُو Shentho) من فعل ايشين Ishen ومعناه وَسَنَ، نام، رقد) .

أما نحن فنفضلنا آراء أئمة اللغة القدماء وهي عندنا أولى من المعاصرين بتفهم معاني الأسماء وأسباب تسميتها . ولاح لنا كأنهم اعتبروا لفظة (بيث) السابقة للفظتي عيد أو عيثو وكلتاهما بمعنى : جمع ، محفل ، ملأ ، وان لم ترد صراحة في المعجمات التي بيدنا ، على ان هذا التركيب لا يمنعه القياس ولا أصول اللغة السريانية واصطلاحاتها ، فقد أحصينا فيها ١٧٧ لفظة تتقدمها (بيث) ومنها Beth - bauto مبيت Beth - Waᶜdo مجتمع ، مقرّ . Beth - houçoio محراب Beth - cnoushio مجتمع ، كنيسة Beth - cnoushto بيعة ، كنيسة النصارى واليهود Beth - nouro : معبد النار Beth - seghdto : مسجد ، معبد Beth-maᶜmro : منزل Beth-sauho : مجتمع ، كنيسة ، مدرسة Beth - sloutho : مصلّى ، معبد Beth-coudsho : مقدس Beth-shabtho : كنيس اليهود Beth-machrio : منزل Beth-teshmeshto مصلّى ، معبد .

ولا يبعد أبداً ان يكونوا صاغوا بيعة من Beth-ᶜido او Beth-ᶜito فاستعملوا فيها الادغام اذ أخذوا الباء والياء من (بيث) والعين والتاء من (عيد) مستبدلين الدال بالتاء ، كما فعلوا في (بيث إِذرو Beth-edhro)

فقالوا فيها بيدر ، آخذين من الأولى الباء والياء ومن الثانية الدال والراء ٠
وقد نقل السيد رحماني في الليتورجيات ص ٥٦ ، نصاً قديماً يرجع الى المئة الرابعة ، ان الكنيسة كانت تسمى بيت الجماعة ٠

ولفظة (عيتو) وردت في سفر المزامير بمعنى : جماعة ، محفل ، وجاءت بالمعنى الذي نقصده في انجيل متى ١٨ : ١٧ «وان لم يسمع منهم فقل للبيعة ، وان لم يسمع من البيعة فليكن عندك كالوثنيّ والعشّار» (الترجمات الموصلية والقديمة والشدياقية واليسوعية) والمراد بالبيعة هنا جماعة المؤمنين ٠ ووردت بمعنى المصلّى والمعبد في أقوال شعراء الجاهلية من ذلك قول ورقة بن نوفل

أقول اذا صلّيتُ في كل بِيعةٍ تباركتَ قد اكثرت باسمك داعيا

وقال لقيط بن معبد في عينيّته التي وجهها الى قومه تحذيراً لهم من كسرى ذي الأوتاد :

تامت فؤادي بذات الخالِ خرعبةٌ مرّت تريد بذاتِ العذبةِ البِيَعا

(مختارات شعراء العرب لهبة الله العلوي ص ٢ وتاج العروس ٥ : ٢٨٥)

وقال عبد المسيح بن بُقيلة :

من بدور فوق أغصانٍ على كثُبٍ زُرنَ احتساباً بيعَه

(معجم البلدان لياقوت ٢ : ٦٥١) ٠

وأوردنا ص ٣٣٠ من المجلة ، قول الزبرقان بن بدر التميمي لما وفد على الرسول ٠ وهذه الاسناد نقلناها من كتاب النصرانية وآدابها للأب شيخو (١ : ٢٠٢ و ٢٠٣)

ونعلم أيضاً ان جريراً سمي متعبّد المجوس «بيعة» بقوله :

مشيَ الهرابذ حجّوا بيعة الزُّونِ

والزُّون بيت الأصنام (اساس البلاغة ١ : ٤١٢) ٠

غير ان جريراً استعمل هذه اللفظة لمتعبّد المجوس الكفرة ، اما استهتاراً بسائق سفاهته وعصبيته البغيضة ، واما لضرورة الشعر ، على ان متعبّد المجوس

يسمى بيت النار كما ورد في فقه اللغة للثعالبي ص ٣٠٤ ، ومروج الذهب للمسعودي ١ : ٣٨١ — ٣٨٥ ، ويطلق عليه حيناً : هيكل وهو لفظ قديم خُصَّ غالباً ببيت الأصنام ، أما البِيعة فهي باجماع علماء العربية للنصارى .

ومما تجب ملاحظته ان لفظة (بيعة) عم استعمالها قديماً ببلاد العراق والجزيرة ومصر ، فلا نجد سواها للدلالة على الكنيسة في الكتب التالية وهي : سير البطاركة الأقباط لسويرس ابن المقفّع اسقف الأشمونين المطبوع في باريس ، الجزء الأول ص ١٣ و ١٦ و ٤٩ و ٥٠ و ٥٢ و ٥٩ و ٦٨ و ٧٣ و ٢٤٨ الخ ، ومقالة في أقسام الدين للشيخ ابي سهل المسيحي الجرجاني (مقالات دينية نشرها الأب شيخو ص ١١٨) وتواريخ ايليا مطران نصيبين وماري بن سليمان وعمرو ابن متى الطيرهاني من كتبة المئات الحادية والثانية والرابعة عشرة للميلاد ، وكتاب التراجم السنية لجاثليق ايليا الثالث ابي حليم (١١٩٠ م) ١٤٣ و ١٤٧ و ١٦٨ و ١٧٠ و ١٨٨ و ٢٠٥ و ٢٣٣ و ٢٤٤ و ٢٤٦ و ٢٩٢ و ٣٠١ وخطبة ليشوعياب بن ملكون الدنيسري مطران نصيبين نشرت في الكتاب المذكور ص ١٥٩ وقد كررها أربعاً ، ومقالته في الردّ على من يتهم النصارى بعبادة الأصنام لسجودهم للصليب (مباحث فلسفية انتخبها القس بولس سباط ص ١٥٩) وكتاب المرشد لأبي نصر التكريتي ، وفيه ذُكرت ثلاثاً وثلاثين مرة في الأبواب الثالث عشر والسادس عشر والتاسع والعشرين والحادي والخامس والثلاثين . وكتاب خطب الشيخ الصفيّ بن العسّال القبطي المطبوع عام ١٨٨٧ ص ٤ و ١٦ و ١٨ و ٢٢ و ٧٤ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ وفصوله في تثليث الاتحاد (مباحث فلسفية ص ١١١) والتاريخ الموسوم بتاريخ سعرت ج ١ ص ٩ و ٢٦ و ٣١ و ١٨٦ الخ و ج ٢ ص ٣٠٧ فضلاً عن تاريخ ابن بطريق وذيله ليحيى الانطاكي وسيرة يوحنا الدمشقي للراهب ميخائيل السمعاني الرومي وتاريخ مختصر الدول ، وتاريخ الطائفة المارونية للدويهي ، التي لا تخلو منها .

واذا طالعت كتاب فتوح الشام للواقدي (٨٢٣ م) الجزء الأول ص ٧٤ و ٨٠ و ٨١ و ٩٠ و ٩٥ و ٩٨ و ١٠١ و ١٨٩ و ٢٠٣ والجزء الثاني ص ٨٣ و ٩٢ و ٩٤ و ٩٧ و ٩٨ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٤ و١٠٥ و١١٢ و١١٣ و ١١٤ و ١١٥ [1] . وفتوح البلدان للبلاذري (٨٩٢ م) ص ١٣٢ و ١٨١ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٣٤٠ وخصوصاً ما تضمنته من كتب عهود الأمراء الفاتحين ، والفهرست لابن النديم (٩٩٥ م) ص ٤٦٧ و ٤٩٠ . وتاريخ ماردين لعبد السلام ابن خطيب الشكية (١٨٤٣) م وهو مخطوط في خزانتنا [2] ، تقف على هذه اللفظة أكثر بكثير من لفظة (كنيسة) .

كما انه لا يزال يستعملها خاصةً حتى اليوم ، نصارى ما بين النهرين والعراق ، فلا تكاد تسمع منهم لفظة كنيسة التي تسمعها اليوم خصوصاً في بلاد الشام .

فنخرج من بحثنا هذا بتأييد رأينا في أصل هذه اللفظة السرياني وطريقة اشتقاقها وزمان استعمالها .

حرف التاء

تبن : التِّبن عصيفة الزرع من بُرّ ونحوه ، الواحدة تِبنة والتَّبّان بائع التِّبن ، وتبَّن جعل التبن في المتبن (أقرب الموارد ٧٣) وفي السريانية (تبنو Tebno) تبن (وتابين Tabèn) تَبَّن ، و (تابونو Tabono) تبّان بائع التبن (الدليل ٨٢٨) وقال هونورا ص ٣٠٢ هي بالسريانية والعبرية Tabana وبالآثورية Tibanu . فهي اذاً لفظة توافقت فيها الآثورية والسريانية والعبرية والعربية .

---

(١) من الثابت عند اهل التحقيق ان كتاب الواقدي ، وان كان سبكه في قالبه الحالي يعزى الكتبة في اثناء الحروب الصليبية على الارجح ، فانهم حفظوا من اصله الفاظاً وعبارات شتى اوردها على علاتها .

(٢) وذكر ست بيع وثلاث كنائس للردين ونصيبين .

تصحيح تُبّان : سراويل صغير ثبت عندنا أصلها الفارسي تعريباً من (تُنْبان)

تِمساح : التِمساح والتِمسح بالكسر ، حيوان يكون بنيل مصر وبعض أنهار السند (الشرتوني ١٢٠٩) وأضبط من هذا التعريف ماورد في معجمي شامبريس ١٩٥ ولاريف ٣١٠ وهو : « Krokodelios , Krokodelius : لفظة يونانية تعني حرذون ، ضَبّ ، وهي أحناش عظيمة الجثة تحكي في ظاهرها الحراذين أو الضِّباب » [1] . قال هونورا ٢٩٩ « واسم هذا الحنش بالآثورية Tamaçaku » وهو بالسريانية Tamsih , Temsah تِمساح تَمسيح (اودو ٦٢٧ والدليل ٨٤٣ وبرون ٧١٥) فاللفظة توافقت فيها الآثورية والسريانية والعربية .

تِنّين : جنس حيوانات من العضاء المُجسّمات الألسنة (الشهابي ٢٣٠) توافقت فيها السريانية Tanino معجم أودو ٦٢٨ والدليل ٨٤٣ والعبرية تَنّين (برون ٧١٦) والعربية (هونورا ٣١٤) .

حرف الثاء

ثعلب : الثعلب من حيوانات ذوات الثدي ورتبة اللواحم وفصيلة الكلبيات، مشهور بالتحيّل ، واللفظة توافقت فيها الآثورية Šelabu , Šaʿlabu (عن بروكلمان في مختصر علم اللغة السامي Précis de linguistique sémitique) والسريانية : تَعلو Taʿlo والعربية .

ثَور : جنس حيوانات من رتبة المجترّات : توافقت في هذه الفينيقية Tor والسريانية Tawro والعبرية Shòr والعربية : ثَور ، والحبشية Toré كما توافقت اللاتينية Taurus واليونانية Tauro والغولية Taro (هونورا ١٤٦) والثَورة : البقرة ، وكذلك بالسريانية Tawrto تَورتو .

---

(١) ومثله ماقال فيه صاحب المصباح المنير ٨٨٣ « التمساح من دوابّ البحر يُشبه الوَرَل في الخلق ، لكن يكون طوله نحو خمس اذرع واقلّ من ذلك ، ويختطف الانسان والبقرة ويغوص به في الماء فيأكله » .

حرف الجيم

اضافة الى الجالوث والجوالي • قال ابو اسحق الصابئ (المختار من رسائله ص ٩٩ و ١١١ و ٢١٤) «والى اعمال الجوالي بان يستخرجوا في المحرم ••• » ويجتنبون في سنة الهلال الجوالي والصدقات •

جبّار : قال هونورا ص ١٧٩ هي بالآثورية Kabbaru , Gabaru وبالعبرية Gabar وبالسريانية Gaboro • توافقت فيها اللغات الثلاث •

اضافة الى جَبْر (رجُل) لفظة سامية (هونورا ١١٤) •

اضافة الى جُدّاد ص ٣٤١ سطر ٢١ : قال البستاني في محيط المحيط ٢١٩ و ٢٢١ « جدّ الشيء قطعه ، وأصل المعنى في هذه المادة في اللغات السامية القطع • والجُدّاد : خُلقان الثياب • وكل متعقّد بعضه ببعض من خيط أو غصن ••• معرّب كُداد بالفارسية » •

وقال ابو علي اسمعيل بن القاسم القالي في كتاب «البارع» في اللغة الذي نشره ا • س فُلتن Fulton في لندن عام ١٩٣٣ ص ١١١ « والجُدّاد الخيوط المعقّدة وهي مُعربة يقال لها بالنبطية كُداد وقال الأعشى :

« والليل غامر جُدّادها » أراد الخيوط سترها بسواده • ا هـ

يُضاف الى جدّف : انها سريانية وتوافقها العبرية (هونورا ٣٦٧) •

جرجس : قال المطران ادى ص ٣٩ : «ألجرجس الشمع والطين الذي يُختم به والصحيفة تعريب جرجشت والفارسي مأخوذ من السرياني Gargeshto ، والقرقس لغة فيه ، راجع كتاب فرنكل ص ٢٥٢» •

جرّيث : قال البستاني في محيط المحيط ص ٢٣٠ «الجرّيث (كذا بالثاء المثلثة) ضرب من السمك ، ومنه قول الامام محمد «جميع السمك حلال غير الجرّيث» والجرّي سمك طويل قال المطران ادى ص٣٤ انها من أصل آرامي

Geriotho ـ (كيريوثو) . وفي معجم الأمير الشهابي ص ٥٨٠ الجِرِّيّ هو السمك المسمى Silurus glanis ، قال وهو يكثر في الفرات .

الجُزاف : «مثلثة الجيم والضمّ أفصح ، الحدس والتخمين في البيع والشراء معرّب كزاف بالفارسية ومعناه الأخذ بكثرة من غير تقدير» محيط المحيط ٢٤٩ .

يضاف الى جزير ص ٣٤٢ س ١٧ : قال ابو علي القالي في البارع : والجزير بلغة أهل السواد الخ وقال الشاعر :

اذا رأونا قلّصوا من مخافةٍ ويسعى علينا بالطعام جزيرُ

قلّصوا يعني ضمّوا أيديهم دون التأبط وذلك من فعل العلوج لكبيرهم كما يقول العِبادي : دِشْت بكسر كرت اهـ .

يضاف الى الجِصّ ص ٣٤٣ س ٢ : قال أبو علي في «البارع» ص ١١١ «الجِصّ ، وقال الكلابيّون هذا الجِصّ و كسروا الجيم ، وقال بعضهم ، الجَصّ فتح الجيم ، وقال يعقوب يقال هو الجِصّ والجَصّ ، وقال الخليل بكسر الجيم معروف وهو من كلام العجم ، ولغة أهل الحجاز في الجِصّ القَصّ . والجصاصات المواضع التي يعمل فيها الجِصّ » وقال صاحب محيط المحيط ٢٥٦ «الجَصّ : الجبسين معرّب كچ بالفارسية او جِبْسُس باليونانية» .

جفنة : الجَفن أصل الكرم او قضبانه ، والجَفنة واحدته . لفظة توافقت فيها الآثورية Gapnu والسريانية Goufno والعبرية Gephen والعربيـة . (هونورا ١٧٩) .

جلا : لفظة سامية Gala (هونورا ١٩٤) .

جَمَل : لفظة توافقت فيها الآثورية Gammalu والسريانيـة Gamlo والكلدانية والعبرية Gamal والحبشية Gamal والعربية (هونورا ١٣٣) وقال ولفنسون ص ٨ انها من اللغة السامية الأصلية .

اضافة الى جهنّم : وفي كتاب المسائل والأجوبة في الحديث واللغة تأليف عبد الله ابن قتيبة المتوفى سنة ٨٨٩ م ص ١٣ «سألتَ عن جهنم هل وجدتُ له ذكراً في الشعر القديم . وهذا يحتاج الى تتبع وطلب ، وقد تذكرت فلم أذكر الاّ شيئاً وجدته في شعر أمية بن أبي الصلت قال :

فلا تدنو جهنّم من بريءٍ   وعَدْنٌ لا يُطالعها الأثيمُ
اذا شبّت جهنمُ ثمّ زادت   فاعرض عن قوابسها الجحيمُ

وقرأت في الانجيل غير موضع «في جهنم ذات الوقود» .

قلنا ووردت جهنم في شعر أعشى قيس :

دعوت خليلي مِسْحَلاً[1] ودعوا له   جِهِنّامَ جَدْعاً للهجين المذمَّمِ

حرف الحاء

اضافة الى حاج : قال عمرو بن كلثوم :

تمشي بعِدْلَيْنِ من لؤمٍ ومنقصة   مشي المقيّد في اليَنْبُوتِ والحاجِ

حاشا : الحاشا شجرة شوكية صغيرة عيدانها كقش القناديل (محيط المحيط ٣٢٨) وكتب الينا صديقنا الأمير مصطفى الشهابي صاحب معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية يقول : «الحاشا كلمة آرامية تدل عند العرب على أنواع من الصعتر Thym لم ترد في الأمهات من المعجمات، ولا في الجزء الخامس من كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ، ولكنها وردت في المفردات وفي شرح أسماء العقار وفي التحفة وفي التذكرة» .

حانة : وقعت في كلام ابي اسحق الصابئ ص ١٣٦ «وان يبطل الحانات» .

---

(١) مِسحل اسم تابعة الأعشى قاله الجوهري .

حصن : الحصن القلعة قال المطران أدى ص ١٢٧ « أما الحِصن فعرب عن الآرامي Hesno حصنو ، نقلاً عن فرنكل ٢٣٥ — ٢٣٦ » ومالأه دوقال أيضاً على أصله السرياني ٣ : ١١٣ .

حلتيت : وفي محيط المحيط ٤٣٤ « والحِلتيت صمغ الأنجدان ولا يقال حلتيث .

حمار : قال بروكلمان في مختصر علم اللغة السامي ص ٩٣ « هي بالسريانية : Hmoro وبالآثورية Imeru , Imaru » وقال ولفنسون في تاريخ اللغات السامية ص ٨ « وهي من اللغة السامية الأصلية » وفي ص ٢٨٤ — ٢٩٣ هي بالسريانية : Hmoro وبالآثورية البابلية : إمّرو ، وبالعبرية ، حَمور ، وفي جنوبي الجزيرة والحبشة ، حمار .

حَول : قوّة : وقعت في بعض رسائل الصابي ، قال ص ٤٣ « فالحمد لله ذي المنّة والطَول ، والقُدرة والحَول » .

مار أغناطيوس افرام الأول برصوم

يتبع : بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس

ابو حَنِيفَةَ الدِّينَوَرِيّ

والجزء الخامس من كتاب النبات

تمهيد : اذا ألقيتَ نظرة على أسماء علماء العرب ، من صُرَحاء ومستعربة ، فأصبتَ فيهم رجلاً دَقّ بين أدباء اليوم صيتُه ، بمقدار ما جَلّ على لساننا الضادي فضلُه ، فذلك الرجل إنما هو أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري . لقد كاد هذا العلامة يكون مغموراً في أيامنا هذه ، فلا يعرفه الا القليل من الأدباء ، على حين ان بعض مصنفاته ، وأخص منها كتاب النبات وكتاب الأنواء ، كانت من أوثق الكتب التي اعتمد عليها ونقل منها أصحابُ معجماتنا المشهورة ، وأصحاب كتب المفردات والزراعة ، كابن سيده في المخصص ، وابن منظور في لسان العرب ، والفيروزابادي في القاموس المحيط ، والزبيدي في تاج العروس ، وابن البيطار في مفرداته ، وابن العوّام في الفلاحة الأندلسية وغيرهم كثير .

وقد ذاع صيت هؤلاء المصنفين ، واستفاضت شهرة مصنفاتهم ، لأن كنوزهم الثمينة هذه لم تفقد ، والحمد لله ، بل عُثر عليها وطُبعت وصارت في متناول أيدينا . أما كتب أبي حنيفة الدينوري فقد ضاعت ، وياللأسف (1) ، فكاد

(1) إلا كتاب الأخبار الطوال ، وإلا الجزء الخامس من كتاب النبات الذي نتكلم عليه . وكتاب الأخبار الطوال ، كتاب في التاريخ ، وهو الوحيد الذي عثر عليه كاملاً ، وطبع في لَيْدن سنة ١٨٨٨ م ، ولبث بلا مقدمة وبلا فهارس حتى سنة ١٩١٢ م ، وفيها وضع المستشرق أغناطيوس كراتشقوفسكي فهارسه ، وصدّرها بمقدمة ممتعة بالفرنسية ، وطبعها في ليدن ملحقاً للكتاب .

ينطمس بضياعها اسم هذا العالم الكبير ، وأمسى لا يُذكر الا عرضاً في الجمل التي نقلها عنه أصحاب كتب اللغة وغيرهم من المؤلفين . وقد خَمَل ذكره خمولاً عجيباً ، حتى ان ثلاثة من الأدباء قالوا لي انهم عندما يقرءون في أحد معجماتنا القديمة تفسيراً لكلمة نباتية ، معزواً الى أبي حنيفة ، فهم يتوهمون أن هذا الاسم إنما هو اسم الإمام أبي حنيفة النعمان ، لا اسم أبي حنيفة الدينوري فتأمل !

وفي أوائل سنة ١٩٤٩ م أوفدت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية بعثة الى إسطنبول ، تبحث في خزانات كتبها عن المخطوطات العربية المهمة ، وتنسخ منها نسخاً بالتصوير الشمسي ، فعثر رئيسها الدكتور الأديب يوسف العش ، في خزانة جامعة إسطنبول ، على نسخة من الجزء الخامس من « كتاب النبات » ، وهو أجل مصنفات أبي حنيفة ، فكان الفرح بهذه اللُّقية عظيماً . وقد رغبتُ الى الإدارة المشار اليها أن تبعث اليَّ بصورة من هذه النسخة فحققت مشكورةً تلك الرغبة . وبعد تلاوتها بإمعان كتبتُ فيها وفي أبي حنيفة هذا المقال الموجز .

مولد أبي حنيفة وحياته : هو أحمد بن داود بن وَنَنْدَ ، أبو حنيفة الدِّيْنَوَرِيّ . ووَنَنْدُ هذه كلمة ايرانية كانت اسماً لجده . ومعناها الكاسب او الرابح ، على ما ذكره بروكلمن في تأريخ آداب اللغة العربية . أما كراتشقوفسكي فقد ذكر في مقدمة فهارس « الأخبار الطوال » لأبي حنيفة ان ونند اسم نجم من النجوم ، أو اسم إلـه يمثل ذلك النجم ، وأنه ذُكر كثيراً في كتب البَرْسِيِّين المقدسة . ويظهر ان الأشخاص كانوا يسمَّون به .

وأخيراً كتب العالم پور داود ، أستاذ اللغات القديمة في جامعة طهران ، بناءً على طلبي ، تحقيقاً ممتعاً لمعنى هذه الكلمة ، ومما جاء فيه أنها كانت تدل على نجم وعلى الإلـه المختص به ، وأنها وردت مراراً في « الأوستا » مع غيرها

من أسماء النجوم ، وأنها كانت تكتب فيها بالتاء أي «ونت» ، وعندما نُقلت الأوستا الى البهلوية جُعلت التاء فيها دالاً ، وأنها النسر الواقع Vega عند بعض المحققين ، وقلب العقرب Antares عند آخرين ، وانها تطلق اسماً على الأفراد ككثير غيرها من أسماء النجوم ، وان معناها اللغوي القادر والغالب والظافر لا الكاسب ولا الرابح الخ .

وقد رُسم هذا الاسم بالتاء المثناة غلطاً اي « وَتَنْد » في معجم الأدباء لياقوت «طبعة مرجليوث وطبعة مصر للدكتور فريد الرفاعي» . ولكنه جاء صحيحاً بالنون في بغية الوعاة للسيوطي ، وفي خزانة الأدب للبغدادي ، وفي بعض الكتب الحديثة ككتاب بروكلمن الملمع اليه وكمعجم المطبوعات العربية والمعربة لسركيس .

ودِيْنَوَرُ التي وُلد فيها ونُسب اليها بلدة ايرانية ليست بعيدة عن حدود العراق ، وفي الموسوعة الاسلامية انها من العراق الفارسي . وقال ياقوت في معجم البلدان انها مدينة من أعمال الجبل قرب قَرْمِيْسِيْن (كرمان شاه) ، وذكر أسماء بعض من نُسب اليها من الأدباء والعلماء .

ولم أجد في كتب التراجم ولا في كتب اللغة ذكراً للسنة التي ولد فيها أبو حنيفة . ويظن بروكلمن في الموسوعة الاسلامية انه ولد في السنين العشر الأولى من المائة الثالثة الهجرية . وقال الأستاذ أحمد أمين في ضحى الاسلام (ج ١ ص ٤٠٢) : «ولد بدينور : ولم يُعلم تاريخ ولادته ، وإن كان يُرجح انها في العشرين الأولى من القرن الثالث الهجري» . ولم يذكر العالم الأول الأسباب التي جعلته يظن هذا الظن ، وكذلك العالم الثاني فهو لم يذكر الأسباب التي حملته على هذا الترجيح . وسيظل تاريخ ولادته مجهولاً ما لم نعثر فيه على نص قديم موثوق به . وفقدان هذا النص حمل الزركلي صاحب قاموس الأعلام على جعل تاريخ ولادته مجهولا .

وقد اختلفوا أيضاً في تأريخ وفاته . ولكن معظم الذين ترجموا له في القديم والحديث يرجحون كونه توفي سنة ٢٨٢ هـ قال ياقوت في معجم الأدباء : «مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين ؛ وجدتُ ذلك على ظهر كتاب النبات من تصنيفه . ووجدتُ في كتاب عتيق : مات احمد بن داود ابو حنيفة الدينوري قبل سنة تسعين ومائتين . ثم وجدت على ظهر النسخة التي بخط ابن المُسَبِّح ، بكتاب النبات ، من تصنيف ابي حنيفة : تُوفي أبوحنيفة احمد بن داود الدينوري ليلة الاثنين لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ثمانين ومائتين . ووجدتُ في كتاب الوَفيات لأبي عبد الله محمد بن سُفيانَ ابن هارونَ بن بنت جعفرَ بن محمد القِرَّيابِيّ البغدادي : مات أبو حنيفةَ أحمدُ بن داودَ بنِ وَنَنْد (كذا بالتاء) صاحب كتاب النبات في سنة إحدى وثمانين ومائتين» .

وفي بغية الوعاة لم يجزم السيوطي أيضاً تأريخ وفاته فجعله في جمادى الأولى سنة احدى وثمانين ومائتين ، او اثنتين وثمانين ومائتين ، او سنة تسعين ومائتين .

أما ابن الأثير في الكامل ، والقفطي في إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة ، وأبو الفداء في تاريخه ، وابن كثير في البداية والنهاية ، والقرشي في الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، والبغدادي في خزانة الأدب فجميعهم أرخوا وفاته في سنة ٢٨٢ هـ . وكذلك أرخ سركيس في معجم المطبوعات والزركلي في قاموس «الأعلام» . وقال بروكلمان في الموسوعة الاسلامية : ان الآراء لم تتفق على تأريخ وفاته ، وقال : لكن يظهر أن السادس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٢٨٢ اي الرابع والعشرين من تموز سنة ٨٩٥ م هو تأريخ الوفاة الذي تكاد تجمع الآراء على قبوله . وهذا الرأي هو أيضاً رأي كراتشكوفسكي في المقدمة التي ألمعتُ اليها ، ورأى معظم العلماء الأوربيين في القرن الماضي

وأوائل القرن الحاضر الذين جاءوا على ذكر أبي حنيفة ، مثل سلفستر دوساسي Sylvestre de Sacy ولوكلرك Leclerc وغيرهما .

والظاهر أنه قضى شطراً كبيراً من حياته في مدينة دينور ، وانه كان يقوم فيها بأعمال الرصد ، فوق أعماله العلمية اللغوية المختلفة . وله مع معاصره علاّمة الأدب واللغة أبي العباس المبرّد صاحب الكامل قصة طريفة تدل على علو كعبه في اللغة ، كما تدل على انه كان في الدينور عندما زارها المبرد[1] .

وذكر عبد الرحمن أبو الحسين الصوفي العالم الشهير بالفلك والمتوفى سنة ٣٧٦ هـ أنه رأى في دينور البيت الذي لبث ابو حنيفة سنين طوالاً يرصد النجوم على سطحه[2] .

ويستدل بأقوال المؤرخين العرب ، وبالشواهد الكثيرة التي قرأتها في الجزء الخامس من كتاب النبات ، على انه رحل الى البصرة والكوفة حيث تتلمذ على ابن السكيت وأبيه خاصةً ، كما رحل الى أنحاء مختلفة من جزيرة العرب ، حيث كان ينقل أسماء النبات عمن يثق بهم من الأعراب .

ومن الغريب ان كتب التراجم وكتب اللغة وكتب الأدب القديمة لا تذكر عن حياته الا الأقل الذي لا يشفي غليلاً ، على حين أن أصحاب هذه الكتب لا ينكرون فضله الكبير على اللغة . وضياع معظم كتبه أفقدنا ما ربما كان فيها من معلومات في هذه الناحية ، ولذلك لبثنا الى الآن جاهلين لأسرته وحداثته وتعلمه ومشايخه ، ورحلاته الى البلاد العربية ، واتصاله بأعراب القبائل لمدارسة أو التأليف ، وكيف كانت مجالسه ومناظراته ، وما هي صلاته بأدباء عصره وبالسلطان ، ومن أين كان يرتزق ، ومن هم تلاميذه الخ .

(١) انظر خزانة الأدب البغدادي ج ١ ص ٣٦ من الطبعة القديمة و ج ١ ص ٦١ من طبعة المكتبة السلفية .

(٢) عن كراتشكوفسكي في مقدمة « فارس الأخبار الطوال » ص ٢١ و ٤٧ .

أقوال الأدباء فيه : لا شك أن أبا حنيفة كان من أنبه علماء عصره ، وأوسعهم ثقافة ، وأرسخهم قدماً في لغة العرب وآدابها ، وأكثرهم اطلاعاً على علوم تلك الأيام . فقد جعله ياقوت في معجم الأدباء : « نحوياً لغوياً مهندساً منجماً حاسباً راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه » . ومن قبله قال ابن النديم في الفهرست : « كان مفتناً في علوم كثيرة منها النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهند ، ثقةً فيما يرويه ومعروفاً بالصدق » . وكرر الأنباري والقفطي والبغدادي مثل هذا القول ؛ وكذلك السيوطي في بُغية الوعاة ، وأضاف انه وَرِع زاهد . ويلاحظ ان جميع القدماء الذين أتوا على ذكره في مصنفاتهم جعلوه ثقةً فيما يرويه أو يمليه . وذكره بعضهم بالصدق والورع والزهد وجلالة القدر ؛ وهي أدلة على بعض أخلاقه .

وفي ترجمة أبي حنيفة في معجم الأدباء كلام نقله ياقوت عن كتاب «تقريظ الجاحظ» لابي حيّان التوحيدي ، يُستدل منه على أن ابا حنيفة كان في نظر أبي حيان أحد ثلاثةٍ «لو اجتمع الثقلان على تقريظهم ومدحهم ونشر فضائلهم ، في أخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم ، مدى الدنيا ، الى ان يأذن الله بزوالها ، لما بلغوا آخرَ آخرِ ما يستحقه كل واحد منهم» ؛ وهؤلاء الثلاثة هم الجاحظ وأبو حنيفة الدينوري وأبو زيد احمد بن سهل البَلْخي . ويقول أبو حيان في أبي حنيفة : «انه من نوادر الرجال ؛ جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب ، له في كل فن ساق وقدم ، ورُواء وحكم ؛ وهذا كلامه في الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك ، فأما كتابه في النبات فكلامه فيه في عُرُوض كلامِ أبْدَى بَدَوِيّ ، وعلى طباع أفصح عربي » .

وذكر ياقوت أيضاً نقلاً عن كتاب « تقريظ الجاحظ » المُلمع اليه ان بعض الأصحاب اختلفوا في مجلس أبي سعيد السيرافي في بلاغة الجاحظ وأبي حنيفة ،

فحكّموا أحدهم فقال : «أبو حنيفة أكثر ندارةً ، وابو عثمان أكثر حلاوةً ؛ ومعاني أبي عثمان لائطة بالنفس ، سهلة في السَّمْع ، ولفظ أبي حنيفة أعذب وأعرب وأدخل في أساليب العرب » .

ومن المستشرقين الذين أطروا أبا حنيفة كثيراً المستشرق الرومي المشهور كراتشقوفسكي [1] فقد قال ما معناه ان آثار الجاحظ التي عُثر عليها تدل على علو كعبه في الأدب ، وعلى صحة رأي ابي حيان فيه وتحمسه له ، كما أنها تدل أيضاً على وجود اختلاف بين الجاحظ وأبي حنيفة في خصائصها العلمية ، وكذلك بين ابي حنيفة وأساتيذه الأجلاء كابن السكيت وأبيه . فبينما اقتصر هؤلاء على المواضيع اللغوية اتسعت آفاق أبي حنيفة حتى شملت جميع فروع العلوم في أيامه . واذا كان أبو حنيفة قريع الجاحظ في عمق التفكير وسعة المعرفة ، فقد فاقه في دقة تصنيف العلوم ، وفي الابتعاد عن خلط بعض البحوث العلمية ببعض في كتاب واحد ، فجعل لكل موضوع علمي كتاباً ، على ما يتضح لنا من أسماء تصانيفه . ومن العجيب انه على الرغم من خوضه في علوم مختلفة فقد كان مالكاً لزمام مواضيعها ؛ فلا يكتفي بالرواية أو النقل ، بل يأتي بالآراء الشخصية الطريفة ، خلافاً لكثير من الأدباء المعاصرين له ، ولمعظم الذين جاءوا بعد عصره . ومع ان اللغة كانت الغرض الأساسي الذي حداه على تأليف كتاب النبات ، شأنه في ذلك شأن أساتيذه ومعاصريه ، فقد جاء هذا الكتاب فذاً في موضوعاته ، حتى انه فاق كثيراً كتب النبات اليونانية . وموجز القول في أبي حنيفة انه كان : « عالماً موسوعياً بكل ما في هذه الكلمة من معانٍ » وانه حلق فوق أقرانه من علماء العلوم المختلفة .

هذه بعض آراء كراتشقوفسكي في أبي حنيفة ، كتبها بالفرنسية استناداً على ماجاء في كتب التراجم العربية ، وعلى دراسته لكتاب الأخبار الطوال ، وعلى آراء

(١) فهارس كتاب « الأخبار الطوال » انظر ص ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ من المقدمة .

بعض المستشرقين المتقدمين [١] . وجميعهم لم يكن لديهم إلا نُتَف من كتاب النبات ، مع الأسماء التي نقلها أصحاب المعجمات العربية عنه . وبعد العثور على الجزء الخامس من الكتاب المذكور وتلاوتي له ، أيقنت أن آراء كراتشقوفسكي فيه وفي صاحبه هي عين الصواب .

وفي الموسوعة الاسلامية مقال للمستشرق بروكلن ذكر فيه ان أبا حنيفة كان لغويًا مواليديًا عربيا . وقال ان كتاب النبات له شأن كبير في تأريخ العلم . ثم وصف الكتاب وصفًا موجزًا بناءً على المعلومات التي أمكن استخراجها من المعجمات ، ولا سيما من المخصص ومن مفردات ابن البيطار .

مؤلفات أبي حنيفة : بلغت جملة مؤلفاته المعروفة أسماؤها عشرين كتابًا ؛ وهي التي ثبتت صحة نسبتها اليه . وكلها تقريبًا مذكورة في الفهرست وفي معجم الأدباء . وبعضها في إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة ، وفي الجواهر المضية ، وفي نزهة الألباء ، وفي خزانة الأدب ، وفي كشف الظنون . وهناك اختلاف في تسمية بعضها وفي نسبته الى أبي حنيفة .

وأعظم هذه الكتب شأنًا كتاب النبات . وهو يشتمل على ستة أجزاء كبار ، على ما أصبح محققًا بعد العثور على جزئه الخامس . وكان أبو حنيفة يُعرف بصاحب كتاب النبات ، اي انه عندما كان يقال صاحب كتاب النبات فمعناه أبو حنيفة دون غيره . وكل كتب النبات التي صُنفت قبله (ككتاب الأصمعي وكتاب أبي زيد) صغيرة لا تقاس به . وهو نسيج وحده من حيث

(١) يظهر ان أهم بحث في كتاب النبات كتبه سلبربرغ Silberberg بالألمانية في مجلة العلوم الآشورية وهي Zeitschrift für Assyriologie - XXIV,1910, 225 - 265 وكذلك XXV,1911, 39 - 88 ولم أطلع على هذا البحث الذي أطراه كراتشقوفسكي . ولا شك انه جاء نتيجة لجهد كبير ، لأن جميع أجزاء الكتاب كانت يومئذ مفقودة .

احتواؤه على اسماء النبات وأسماء أجزائه وما يتصل به ، وعلى تحلية عدد من النباتات ، وعلى جملة كبيرة من الأشعار المتعلقة بالنبات ؛ وكل ذلك بأفصح لغة وأصحها . ولم يتصل بنا أنه ألف مثله من قبل ولا من بعد . وسنذكر فيما يلي من بحثنا هذا معلومات موجزة فيه ، مستقاة من الجزء الخامس الذي عُثر عليه في إسطنبول .

ومن مؤلفات أبي حنيفة كتاب الأنواء ، وهو في علم الفلك والألفاظ المتصلة به . ويعد أجل كتبه بعد كتاب النبات ، وقد أطراه أبو حيان التوحيدي بقوله في أبي حنيفة : «وهذا كلامه في الأنواء يدل على حظ وافر من علم النجوم وأسرار الفلك» ، على ماسبق ذكره . ومدح البيروني هذا الكتاب ونقل عنه . أما ابن سيده في المخصص فقد نقل عدداً كبيراً من ألفاظه . وهو من أوثق الكتب في الأسماء الفلكية . ومن المؤسف فقده .

ومن تصانيفه في هذا الباب كتاب القبلة والزوال وكتاب الكسوف ، ويقول القفطي في هذا الكتاب الأخير : «تملكتُه بخطه» .

وله في الرياضيات كتاب البحث في حساب الهند ، وكتاب الجبر والمقابلة ، وكتاب نوادر الجبر .

وله في العلوم الدينية تفسير القرآن . قال أبو حيان : «ولقد قيل لي إن له في القرآن كتاباً يبلغ ثلاثة عشر مجلداً ، ما رأيتُه ، وأنه ما سُبق الى ذلك النمط» . وله أيضاً كتاب الوصايا ، وكتاب حساب الدَّوْر ، وهما في التركات وحساب تقسيمها .

أما في اللغة فمصنفات أبي حنيفة كثيرة . ولقد كان معدوداً من أئمة اللغة العربية ، ومن أعرفها بالنحو وبالكلم الفصاح ، وبالأدب من شعر وأخبار . وكان في طبقة أدباء عصره المشهورين كابن قتيبة والمبرد والجاحظ وابن دريد وأشباههم . وله في هذه الموضوعات كتاب الشعر والشعراء ، وكتاب ما يلحن فيه

العامة ، وكتاب الفصاحة ، وكتاب إصلاح المنطق ، وكتاب الجمع والتفريق ، وكتاب جواهر العلم ، لم يرد ذكره إلا في كشف الظنون ، وكتاب الرد على لغذة[1] الأصفهاني .

وصنف في التاريخ كتاب الأخبار الطوال ، وهو الكتاب الوحيد من كتب أبي حنيفة ، الذي عُثر عليه كاملاً ، وطُبع في ليدن سنة ١٨٨٨ م . وعبارته سلسة فصيحة من أروع الأدب الرفيع . وفيه معلومات قيمة ، ولا سيما أخبار الاسكندر والساسانيين وحوادث صفين والخوارج .

وذكر ابن النديم وياقوت والقفطي والبغدادي له كتاباً اسمه كتاب البلدان ، قالوا انه كبير . ولا ادري أهو كتاب تاريخ أم كتاب جغرافيا وأدب على غرار كتاب ياقوت .

وأغرب كتاب له هو كتاب الباه ، هكذا جاء اسمه في بغية الوعاة ، وفي ترجمة الأولياء ، وفي معجم الأدباء . ولم يرد له ذكر في الفهرست ، ولا في إنباه الرواة . وسماه البغدادي كتاب الباءة . ومن الغريب أن يؤلف في موضوع الباه رجل كأبي حنيفة قال فيه أبو حيان : « ... هذا مع ورعه وزهده وجلالة قدره » . فاذا صحت هذه التسمية يكون الطب هو موضوع الكتاب ، على ما جاء في كشف الظنون .

نسخة الجزء الخامس من كتاب النبات : قلت ان هذه النسخة المخطوطة قد عُثر عليها في خزانة جامعة إسطنبول . ويسمونها اليوم (إسطنبول أونيفرسيتهسي) . وهي فيها مرقمة برقم ٤٧١٦ ؛ وتشتمل على ٢٣٧ صحيفة أي ورقة . وفي كل صفحة من صفحتي الورقة ١٥ سطراً . ومعدل ما في كل سطر نحو

(١) هو الحسن بن عبد الله أبو علي الأصفهاني المعروف بلكذة ولغذة . ذكر ياقوت في ترجمته انه كان في طبقة أبي حنيفة الدينوري ، وانه كان بينهما مناقضات . « من تحقيق كراتشكوفسكي ص ٣٢ و ٣٣ من المقدمة المشار اليها » .

ثماني كلمات . وطول الصفحة ٢٤ سنتيمتراً وعرضها ١٦٫٥ سنتيمتر . أما الصورة التي صورتها الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية فمساحة صفحتها أصغر ، فهي قد جاءت في طول ١٥٫٣ سنتيمتر وعرض ١١ سنتيمترا ، أي أن طول كل ورقة ١٥٫٣ سنتيمتر ، وعرضها ٢٢ سنتيمترا .

وصفحات النسخة الأصلية غير مرقمة . وقد رقّمت الادارة الثقافية أوراق نسختها المصورة فبلغت ٢٣٧ ورقة كما قلت، وكل من أولاها وأخراها في صفحة واحدة ، فيكون المجموع ٤٧٢ صفحة . وأرقام الأوراق أي الصحائف السبع والثلاثين والمائتين هذه هي التي أشرتُ اليها مراراً في عرض كلامي التالي بقولي ص كذا .

والجزء الخامس الذى نتكلم عليه مؤلف من قسمين قسم عنوانه «ومن أنحاء صنعة القِسِيّ» وهو في ٧٢ ورقة ؛ وقسم في أسماء أعيان النبات ، مرتبة على حروف المعجم من الهمزة أي الألف حتى الزاي (ص ٧٣ — ٢٣٧) . وفي الورقة الأولى المؤلفة من صفحة واحدة جاء عنوان الجزء كما يلي : «الجزء الخامس من كتاب النبات تأليف ابي حنيفة أحمد بن داود الدينوري رحمه الله . من قوله ومن أنحاء صنعة القسي الى آخر حرف الزاي» .

وعلى هذه الصفحة جمل كتبها الذين تملكوا المخطوطة منها : «من كتب خليل بن أيبك الصفدي» ، وهو العلامة المشهور .

وفي ص ٢٣٧ وهي الأخيرة : «تَمَّ حرف الزاي ، وبه تم الجزء الخامس ، ويتلوه في السادس ، ان شاء الله ، حرفُ السين . والحمد لله رب العالمين كثيراً ، وصلى الله على رسوله المصطفى وآله وسلم . فَرَغَ من كَتْبه عبد الله بن سالم ابن الخضر بن محمد الماردين غُفِر له ، وذلك سنة خمس وأربعين وستمئة هجرية في ربيعها الآخر حامداً ومصليا» .

وقد نقل الناسخ المذكور هذه النسخة عن نسخة كانت للقاضي ابي سعيد السيرافي مكتوبة بخطه . والواضح ان السيرافي جعل نسخته على أجزاء يزيد عددها على عدد أجزاء كتاب النبات الستة . فالجزء الخامس هذا من الكتاب جاء في نسخة السيرافي على جزءين جزء سابع وجزء ثامن . والأول منها يشتمل على بحث القِسِيّ (ص ١ — ٧٢) ، والثاني على أسماء أعيان النبات من الألف حتى الزاي (ص ٧٣ — ٢٣٧) . ولذلك تنتهي الورقة ٧٢ بقول الناسخ :

«هذا آخر الجزء السابع من أجزاء القاضي أبي سعيد السيرافي رحمه الله ...» .

ثم في أول الورقة ٧٤ يقول :

«الجزء الثامن من أجزاء القاضي أبي سعيد السيرافي رحمه الله ومن خطه نُقلت» .

والخط في هذه النسخة حسن واضح . والكلمات فيها مشكولة بالشكل الكامل . ثم ان النسخة نفسها قد سلمت من عوادي الأيام ، فلبثت صحائفها محتفظة برواثها ، الا الصحيفة ٢١٤ فقد لُوثت بشيء أشبه مايكون بالحبر ، فانطمست بعض ألفاظها .

ولم أحص أسماء القسم الأول من الجزء ، وهي الأسماء المتعلقة بالقسي والسهام والقداح وما إليها . أما القسم الثاني المحتوي على أسماء أعيان النبات ، وأسماء بعض أجزائه ، فقد أحصيتُ فيه ٤٦٨ اسمًا أولها الأراك وآخرها الزِّيْر وهو من أسماء الكتان .

وصنف أبو حنيفة أعيان النبات ، في القسم الثاني هذا ، على حروف أوائل أسمائها ، لا على حروف أواخرها ؛ ودلل على رجحان هذه الطريقة ، ولكنه لم يراع في التصنيف الا الحرف الأول من كل كلمة . ففي باب ما أول حروفه ألف ، ترى كلمة أراك مثلاً ، وقد أتت قبل كلمة أُتْرُجّ ؛ وترى كلمة أُقْحُوان قبل كلمة أَسَل . وفي باب ما أول حروفه الباء جُعل البطيخ قبل البصل وهكذا .

وعناوين البحوث التي جاءت في القسم الأول من الجزء الخامس هي : ص ٢ـ

«ومن أسماء صنعة القِسِيّ» ، ص ٩ « وضرب آخر من نعوت القِسِيّ في حال الرَّمْي عليها» ، ص ١١ وما تُحَلَّى به القوس» ، ص ٣٠ «ومن صفات النَّبْل» ، ص ٣٦ «وما في القِدْح من أسماء طوائفه» ، ص ٣٩ «وما يُجعل على القِدْح» ، ص ٥٣ « ومن أسماء السِّهام» .

وسَرْدُ أسماء الأعيان من النبات وتحليتها ، من الألف حتى آخر الزاي ، قد ملأ ١٦٤ ورقة من مجموع الجزء الخامس وهو ٢٣٢ ورقة . وعلى هذا ترجح عندي ان الجزء السادس المفقود يحتوي على جميع بقية الأسماء من السين الى الياء . ولذلك بت أعتقد ان كتاب النبات ينتهي بانتهاء الجزء السادس ، اي ان الكتاب مؤلف من الأجزاء الستة الكبار التي ألمع اليها البغدادي في خزانة الأدب . ومن الأدلة على ذلك قول أبي حنيفة في آخر باب القسي والسهام (ص ٧٢) : «وقد أتينا ، فيما قدمنا من أبواب كتابنا هذا ، على ما استحسنا تقديم ذكره ، قبل ذكر النبات نبتاً نبتاً ، فلم يبق إلا ذكر أعيان النبات . ونحن آخذون في تسميتها ، ومحلو كل واحد منها بما انتهى الينا من صفته أو شاهدناه . وإن كان في شيء من ذلك اختلاف ، مما ينبغي أن يُذكر ، ذكرناه ان شاء الله» .

ما هي أبواب كتاب النبات ؟ لقد دلنا الجزء الخامس من الكتاب على مشتملات جزئه السادس والأخير ، وهي كما قلت أسماء أعيان النبات من السين الى الياء . أما مشتملات الأجزاء الأربعة الأولى فما برحت غير معروفة على الضبط . ولا نعرف أيضاً محتوى كل جزء منها على حدة . وقد حاولت أن أستخرج من تضاعيف الجزء الخامس ما أمكنني العثور عليه من أسماء أبواب تلك الأجزاء الأربعة ، فحصل عندي منها أربعة عشر باباً ؛ ذلك بأن أباحنيفة ، عندما يذكر بعض النباتات في الجزء الخامس ، يقول انه وصفها أو فسرها أو أمعن في شرحها في باب كذا وكذا من الأبواب السابقة . وكل هذه الأبواب

جاءت في الأجزاء الأربعة الأولى . فعندما يذكر الحنطة مثلاً يقول (ص ١٢٣) : «وقد وصفناها وصفاً بليغاً في باب الزرع» . وعندما يتكلم على لفظة البقل في ص ١٢٤ يقول : «وقد فسرنا ذلك في باب تجنيس النبات [1]» وهكذا.

والأبواب الأربعة عشر التي عثرتُ عليها هي : باب النخل ، وباب الكَرْم ، وباب الزرع «وفيه بحث القطاني» ، وباب الأصباغ أو باب ما يُصبغ به من النبات أو باب ما يُختضب به ويُصبغ من النبات ، وباب تجنيس النبات ، وباب وصف النبات العام له ، وباب العشب العام له «ولعلهما باب واحد» ، وباب النبات الطيب الريح «وقال مرةً الرائحة بدلاً من الريح» ، وباب اللثأ والصمُوغ ، وباب الكَمْأة ، وباب جماعة الشجر «أو جماعات الشجر» وباب أوصاف الشجر العامة ، وباب الزِّناد والنيران والأدخنة ، وباب النبات الذي يُتخذ منه الحبال والأرشية .

وقد نقل ابن سيده الى المخصص عدداً كبيراً من الأسماء الواردة في هذه الأبواب ، وعزاها الى ابي حنيفة .

ولا شك ان في أضعاف الأجزاء الأربعة المفقودة أبواباً أخرى لم يرد ذكرها عرضاً في الجزء الخامس . ففي باب الخمر من المخصص مثلاً ، وهو باب طويل (المخصص ج ١١ ص ٧٢ — ١٠١) كلام كثير منقول عن أبي حنيفة . ولا بد ان يكون ابن سيده قد نقله من أحد الأجزاء الأربعة لكتاب النبات . وكذلك قل في مواضيع المخصص المتعلقة بأشكال الأراضي وبالمياه والوديان والمفاوز والمزروعات والحرائث والمراعي والخصب والجدب والكلأ والأنهار والعيون والقِنْي وغيرها مما امتلأت بأسمائها صفحات المخصص ولا سيما في جزئه التاسع

(١) يُفهم من تجنيس النبات تصنيفه على حسب قدِّه ، أو على حسب استعماله او غير ذلك ، كأن يكون النبات بقلاً أو جَنْبَة او شجراً ، أو ان يكون من الحمض او الخُلّة ، او من الأحرار أو الذكور الخ .

والعاشر والحادي عشر . فثلث من تلك الأسماء التي عزاها ابن سيده الى أبي حنيفة إنما هي مقتبسة من أبواب الأجزاء الأربعة من كتاب النبات ، لأنه ليس لأبي حنيفة ، على ما نعلم ، كتاب غيره في هذه الموضوعات .

وعزاؤنا عن ضياع معظم أجزاء كتاب النبات كون أصحاب المخصص واللسان والقاموس والتاج قد نقلوا كثيراً من محتوياتها الى معجماتهم ؛ ولكن هيهات ان يكونوا قد نقلوا جميع صفات بعض النباتات ، وجميع الأبيات الشعرية المتصلة بها . فرب نبات ملأ الكلام عليه صفحتين أو أكثر من الجزء الخامس لم يُذكر في المعجمات في أكثر من سطر أو بضعة أسطر . ثم هناك الرواة الذين روى أبو حنيفة عنهم ، وعلماء اللغة الذين نقل عن كتبهم ، والأدباء والشعراء والرُجّاز الذين استشهد بأشعارهم ، فمعظمهم يظلون مجهولين عندما يكتفي أصحاب المعجمات بقولهم « قال أبو حنيفة » .

لغة كتاب النبات : رأيتُ أبا حنيفة يَميز الفصيح من الضعيف ، والعربي من المعرب ، والنبات الذي منابته بلاد العرب من النبات الذي منابته البلاد الأجنبية . ففي مادة الأُتْرُجّ مثلاً (ص ١٠٤) يقول :«والتُّرُنْجُ لغة في الأترج رديئة» . وفي مادة أُرُزّ (ص ١٠٨) يقول : «أُرُزّ ، ويقال بالفتح ، والأصمعي يأباه ؛ ورُنْز لغة رديئة » . ثم في مادة رُنْز هذه (ص ٢٢٩) يكرر قوله : « رُنْزٌ لغةٌ في الأُرزّ . ويقولون في الأُتْرُجّ تُرُنْج . وكل هذا قبيح مرغوب عنه » . وفي ماده رَيْهُقان (ص ٢٢٧) قال : « زعم بعض الرواة ان الزَّعْفَران يقال له الرَّيْهُقان ولم أجده معروفا » .

وبجعل الخَلَنْج والبطيخ والباذنجان والجوز والجزر والجُلّ والبَهْرامج والبندق والكُرْكُم وغيرها من أصول فارسية ، ولكنها جرت في كلام العرب .

وعندما ذكر الحَبَاقا في ص١٦٨ قال : « لغة حِبْرية ، وهو الحَنْدَقُوقَى ، وهذه نَبَطية ، وهي في العربية الذُّرَق » .

وفي كلامه على الزعفران ص ٢٣١ قال : « الزعفران معروف ، لا أعرفه ينبت بشيء من أرض العرب . وقد كثر مجيئه في كلامهم وأشعارهم . قال ابو النجم ... وقال آخر ... ومن أسمائه الكُرْكُم وهو فارسي ، وقد جرى في كلامهم ... وهو الجادِيّ والجِسَاد والجَسَد» .

وقال في البَقَّم[1] ص ١١٣ : « البَقَّم شجر عِظامٌ أحمر يُصْبَغ بطبيخه ، وليس في شجر بلاد العرب ، وإن كان قد كثر مجيئه في أشعارهم ، ولكنه من نبات أرض الهند وأرض الزنج . وقد وصفناه في باب ما يُصبغ به من النبات ... » .

ولم ينس ذكر اختلاف النطق ، او الاختلاف في التذكير والتأنيث لدى مختلف القبائل ، فقال في التَّمْر مثلاً ص ١٢٨ : «وأهل الحجاز يؤنثون التَّمْر وأشباهه ، فيقولون هذه التمر . وأهل نجد وتميم يذكرونه ، وكذلك البُسْر والشعير والنَّخْل ونحوه» .

واذا لم يسمع بتحلية نبات أقرّ بذلك . ففي مادة الجُذَاة ص ١٥٢ يقول : « ولم أسمع لها بتحلية» .

هذه بعض الأمثلة . ويطول بنا نفس الكلام اذا ما رحنا نتتبع أقواله المفيدة في هذه الأمور . وقد بدت لي ملاحظات على كلمات في صلب اللغة . فراجع كلمة جلبان مثلاً في اللسان والقاموس والتاج والمخصص فانك لا تراها مرسومة الا على شكل

(١) اسمه الفرنسي Campêche واسمه العلمي Hæmatoxylon Campechianum وهو شجر من القرنيات القراشية . وهو غير البُنْدُم بياء مرحلة مضمومة . وهذا هو جَوْز ماثِل أي Datura metel من الباذنجانيات (عن معجم الألفاظ الزراعية من تأليفي) .

جُلُبَّان وجُلُبَان . والمشدَّد في الأولى هي الباء . على حين ان ابا حنيفة ذكر في مادة الخَرْفَى ص ١٩٧ ان الحرف المشدد هو اللام لا الباء ، خلافاً لما زعموه . قال : « الخَرْفَى معرب وأصله فارسي ، من القطاني ، وهو الحب الذي يُسمى الجُلُبَّان ، اللام مُشَدَّدة وربما خُفِّفت ، ولم أسمعها من الفصحاء الا مُشَدَّدة . واسمه بالفارسية الخُلَّر والخَرْفَى » . ولم يصرح أبو حنيفة في مادة جلبان نفسها بحرفها المشدد . بل اكتفى بقوله : « ولم أسمعه الا بالتشديد ، وما أكثر من يخففه ، ولعل التخفيف لغة » . وربما كان تشديد الباء لغة ذكرها غير أبي حنيفة من القدماء وهو ما أجهله ، ولكن مما لا ريب فيه ان الحرف المشدد عند ابي حنيفة هو اللام لا الباء ، على ما جاء صريحاً في مادة خَرْفَى . وصرح الزبيدي ، في كلامه على المادة المذكورة في التاج، بأن الحرف في الجلبان بتشديد اللام ؛ ومع هذا لم يشدد الا الباء في شرحه لمادة جلبان نفسها .

وراجع في اللسان كلمة أقحوان (مادة قحا) تجد ابن منظور يقول : « . . . وقد حُكِي قُحْوانٌ ، ولم يُرَ الا في شعر ، ولعله على الضرورة » . أما أبو حنيفة فلم يقصر صحة القُحْوان على الشعر أو على الضرورة بل قال ص ٩٦ : « وقال الفَرّاء اذا ألحقوا الألف واللام قالوا الأُقْحُوان والقُحْوان وأنشد :

خَضِراً يُشَبِّه بَردُهُ وبياضُه بالثَّلْج أو بِنَبات القُحْوان » .

وواضح أن البيت للاستشهاد لا لقصر استعمال القحوان على الشعر . ونحن في الشام ، ولا سيما في لبنان وجبل الشيخ ، ما برحنا الى اليوم نستعمل كلمة القحوان ونطلقها على نوع من البهار اسمه العلمي Anthemis cotula [1] .

(١) كانت العرب تطلق الأقحوان على أنواع نباتية من جنس البهار Anthemis منها البابونج A. nobilis ، وعلى انواع من جنس Chrysanthemum وهو الجنس الذي له انواع وأصناف كثيرة تزرع لزهرها وتسمى الأراولة في مصر وزهرة الغريب في دمشق . وقد اطلقت في معجمي اسم الاقحوان على هذا الجنس تعميماً قسرى ، وصارت الجمعية الملكية الزراعية في مصر مثلاً تسمي معرض هذه الأزهار « معرض الأقاحي » .

ويتضح من ذلك ان هنالك مجالاً واسعاً للبحث عن صحة كثير من الألفاظ التي وردت على شكل ما في الجزء الخامس من كتاب النبات ثم وردت في الأمهات من المعجمات على شكل آخر . ومن المعلوم ان كتاب النبات هو المرجع والحجة في ألفاظه . ولم يطعن أحد في صحة تلك الألفاظ ، الا علي بن حمزة البصري ، فان له كتاباً اسمه التنبيهات على أغلاط الرواة « أو أغاليط الرواة » ، قال البغدادي في ص ٣٦ من الطبعة السلفية ، انه ذكر فيه أغلاط نوادر أبي زياد الكلابي ، وأغلاط نوادر أبي عمرو الشيباني ، وأغلاط النبات لأبي حنيفة الدينوري ، وأغلاط الغريب المصنّف لأبي عبيد ، وأغلاط إصلاح المنطق لابن السكيت ، وأغلاط الجمهرة لابن دريد ، وأغلاط المجاز لابي عبيد ، وأغلاط الفصيح لثعلب ، وأغلاط الكامل للمبرد وغير ذلك . قلت يلوح لي ان كتاباً يتناول بالنقد ألفاظاً لجميع هؤلاء الأئمة ، لا يصيب كتاب النبات منه الا رشاش ضئيل ، وسيظل كتاب النبات أهم مصدر للأسماء النباتية الصحيحة .

تحلية النبات وذكر الأصناف الزراعية : ليس كتاب النبات في الحقيقة كتاباً في علم النبات ، ولا في زراعة النبات ، بل هو سفر في لغة هذا النوع من المواليد ، أي في أسماء أعيان النبات ، وفي الألفاظ التي لها صلة بالنبات ، مع تحقيق صحة الصحيح منها ، والاستشهاد على صحته بما كتبه أئمة اللغة وبقول الشعراء قبل أبي حنيفة ، وبما سمعه أبو حنيفة من أفواه الموثوق بكلامهم من معاصريه ، ولا سيما الأعراب . فاللغة إذن هي الأساس في هذا الكتاب ، ولكن ليست جميع النباتات مشهورة ، ولذلك رأينا أبا حنيفة يحلي بعضها تحلية حسنة . ورأيناه يذكر أصناف بعض النباتات الزراعية ويحليها أيضاً . ومن الطبيعي القول بأن هذه التحلية بسيطة لا تتجاوز بعض الصفات الخارجية للنبات . ومع هذا فهي ليست بالشيء القليل ، ولا سيما في تلك الأيام البعيدة . فهو يصف

الرُّقَع مثلاً بما يلي ص ٢٣٩ : « رُقَعٌ الواحدة رُقَعَة - أخبرني أعرابي من أهل السَّراة قال : الرقعة شجرة عظيمة كالجَوْزة ، ساقها كساق الدُّلْبة ، ولها ورق كورق القَرْع ، أخضر فيه صهبة يسيرة ، ولها ثمر أمثال التين العظام ، كأنه صغار الرُّمّان ، لا ينبت في أضعاف الورق كما ينبت التين ، ولكن من الخشب اليابس يَتَصَدَّع عنه ؛ وله معاليق وحَمْل كثير جداً الخ ».

ويصف بعض أصناف العنب مما كان معروفاً في تلك الأيام فيقول مثلاً ص ١٠٨ : « أصابع العذارى : صنف من العنب أسود طوال كأنه البَلُّوط ، يُشَبَّه بأصابع العذارى المخضبة ، وعنقوده نحو الذراع ، مُتَداحِس الحب ، وله زبيب جيد ، ومنابته السراة . وقد وصفناه في باب الكرم » .

والإِقْنَاعِيّ صنف آخر من العنب حَلاَّه بقوله ص ١٠٨ : « إقْنَاعِيّ : وكذلك الإقناعي نوع من العنب عليه معوَّل الناس ، وعنبه أبيض ، ثم يصفرّ أخيراً حتى يكون كالوَرْس ، وحبه مدحرج كبارٌ ، وعناقيده مكتنزة ، ومتوه كثير ، ويُعتصر ويُزَبَّب أيضاً . وقد ذكرناه » .

ومما حلاه عدد من أصناف التين . وروى هذه التحلية عن رجل من أعراب السَّراة وهم ، على ما قال أبو حنيفة ، أهلُ تين . والأصناف المذكورة كالجِلْدامِيّ والقِلاَّرِيّ والطُّبَّار الخ . سردها ابن سيده في المخصص صنفاً صنفاً على الترتيب نفسه ، ولكنه أوجز في التحلية ، ولم يقل انه نقلها عن أبي حنيفة ، خلافاً لمألوف عادته (المخصص ج ١١ ص ١٣٧ و ١٣٨) .

ويتضح من هذه الأمثلة ان أبا حنيفة بذل جهده في التعريف ببعض أنواع النبات وبعض الأصناف الزراعية التي كانت تزرع في أيامه ، وكل ذلك بلغة غاية في البلاغة . ولا شك أن الأعراب في ذلك الزمن كانوا دقيقي الملاحظة ، وصّافين لما يحيط بهم من أحياء وجمادات . ولذلك جاءت تحليتهم لبعض النباتات سائغة حتى في عصرنا هذا .

الأدب في كتاب النبات : من المعروف أن أبيات القدامى من الشعراء كانت تُعد من الحجج التي يُستشهد بها علماء اللغة على صحة لفظ من الألفاظ . وكتاب النبات آية في هذا الباب . فالأبيات الشعرية التي ورد ذكرها في الجزء الخامس كثيرة جداً . واذا كانت قد وردت على هذه النسبة في بقية الأجزاء يكون في الإمكان أن يؤلَّف منها ومن شرحها سفر عظيم في أدب النبات وما اليه . وجميع تلك الأبيات الشعرية من نظم شعراء الجاهلية وصدر الاسلام . وهاكم بعض الأمثلة على ورود الشعر في معرض الكلام على النبات :

ففي الكلام على الأُقْحُوان ص ٩٥ يقول: « الأقحوان، والواحدة أقحوانة، والجمع الأقاحيُّ بالتشديد ، والأقاحيْ بالتخفيف ، قال ذو الرُّمَّة في التشديد ، ووصفَ نساءً :

تَبَسَّمْنَ عن نَوْرِ الاقاحيِّ في الثَّرَى
وفَتَّرْنَ من أبصار مَضْرُوجةٍ نُجْلِ

وقال أيضاً في التخفيف :

تَبَسَّمَ لَمْحُ البَرْقِ عن مُتَوَضِّحٍ
كنَوْرِ الأَقاحيْ شافَ ألوانَه القَطْرُ

وقال ابن لأي : بين أقاحٍ وخُزَامَى وخَضِر » .

ثم نقل بعد هذا كلام الفراء في الأقحوان وهو ما سبق لي ذكره الخ .

ولا يُظنَّنَّ انه اقتصر ، في ذكر الشواهد الشعرية ، على النباتات المعروفة التي لها زهر أو ثمر جميل . فثمة نباتات عديدة برية لا يخطر ببال أحد أنه يقال في مثلها شعر ، ومع هذا فهو قد روى الشعراء فيها أبياتاً من الصعب العثور عليها في كتب الأدب القديمة المطبوعة ، أو البحث عنها هنا وهناك في ما لم يطبع

من دواوين القدماء من شعرائنا . وربما كانت كتب اللغة والأدب المعروفة قد خلت من كثير من تلك الأبيات .

فالنبات المسمى البَلْسَكاء مثلاً هو الذي نسميه بالعامية « دُبَيْقة » ، وفصيحه الدُّبَيْقَى ، وهو مضر ينبت عرضاً في الحقول وحواليها ، واسمه العلمي Galium aparine من فصيلة الفُوّيّات . وأشهر ما فيه ثماره ، فهي صغار كروية عليها أبيرات معقوفة . فاذا مست ثوب الانسان انفصلت عن النبات ولصقت بالثوب . فأبو حنيفة قال في البلسكاء ص ١٢٣ : « ذكر بعض الرواة أنه نبات يتعلق بالثوب فلا يكاد يفارقه وأنشد :

تُخَبِّرنا بأنكَ أحْوَذِيٌّ وأنت البَلْسَكاء بنا لُصُوقا » .

قلت من معاني الأحوذي السريع في السير وفي كل ما أخذ فيه وأصله في السَفَر . فالذين يعرفون البلسكاء في البساتين والحقول يدركون على الفور مقدار ما في هذا البيت من سخرية . وفي اللسان أن هذا البيت العَمَيْثَل . وفيه يُخَبِّرنا بدلاً من تخبرنا .

والبَرْدِيّ نبات مائي مشهور اسمه العلمي Gyperus papyrus وكان له شأن ولا سيما لدى المصريين الأقدمين . وهو نباتاً عشبة كالموز لا شجرة . ولكن ساقه المشة الريانة تبلغ ثخن الذراع ، وتعلو مترين أو أكثر ، وفيها شحمة أي لب كانوا يأكلونه أو يصنعون منه فتائل السُرُج والمشاعل . ويظهر ان شعراءنا القدماء كانوا يعجبون بسُوق البَرْدِيّ ، وانهم كانوا يشبهون بها سيقان الحسان من النساء ، ولذلك بعد أن يصف ابو حنيفة البردي وصفاً حسناً (ص ١١٢ و ١١٣) يقول : ان ساق البردية هي كأحسن ما شُبهت به سوق النساء ، ثم يأتي على ذكر ستة أبيات من الشعر لستة شعراء ، وكلها في هذا المعنى . وأولها لابن ميّادة وهو :

وساقان كالبَرْدِيَّتَيْنِ غَذَاهما
بِوَادِي القُرَى نَهْرٌ تَدِبُّ جَداوِلُه

وليست كل الشواهد الشعرية المتصلة بشتى النباتات مما يُدرج في باب التنزيل . ففي تضاعيف الكتاب أبيات يمكن إدراجها في جميع أبواب القريض . ولكن الوصف هو السائد ، لأن في حياة القبائل في الجزيرة مجالاً لذكر النبات في أغراض كثيرة وصفاً وتشبيها .

مراجع الكتاب : لم يأت ابو حنيفة الدينوري بكلمات من عنده ، اي انه لم يضع اسماً لنبات ولا لجزء من نبات . ومعظم الأسماء والأفعال التي أثبتها في كتابه ، سواء أكانت عربية أم معربة أم مشتقة ، قد عزاها الى من سبقوه من علماء اللغة ، أو الى الذين وثق بكلامهم من الأعراب ، او الى الشعراء الذين ذكروا تلكم الكلم في شعرهم ، وصح عنده الاستشهاد بها . ولكنه في كل ذلك يبرز شخصيته القوية فيرجّح الراجح ، ويقبّح القبيح ، ويسقط المرذول من الكلام .

فهو يقول مثلاً : قال الأصمعي ، وقال أبو عبيدة ، وأخبرني أعرابي من ربيعة أو من عَنَزة أو من بني أسَد أو من أهل السَّراة أو من أعراب عُمَان ، وقال بعض علماء الأعراب ، وسمعت بعضَ اليمانية يقول وهلم جرا . وهاكم ثلاثة أمثلة :

الأول في الكلام على الجِرْجِير ص ١٠٠ قال : « ... وقال الفَرّاء تخفّف جرجير فيقال جِرْجِر . ويقال لها الكَشْأة . وسمعتها من الأعراب غير مهموزة » .

والثاني في الكلام على الدُّجْر ص ٢١٠ : « الدُّجْر اللُّوبياء – وبعضهم يقول الدَّجْر – والواحدة دُجْرة . وزعم بعض الرواة انه يقال له الثامر ، ولم أر ذلك معروفاً . وقال أبو زياد هو اللُّوبياء ، وقال كذا تكلم به العرب ... »

والثالث في الكلام على الرَّنْد ص ٢١٨ : « يذهب قوم الى أنه الآس وأنكر أبو عبيدة ذلك وقال ... » .

ويتضح من ذلك ان طريقته هذه لا تختلف عما كان متبعاً في ذلك الزمن ، ولا عما اتبعه أصحاب المعاجم من بعده وذكروا اسمه كثيراً في أسانيدهم .

وعلماء اللغة الذين نقل أبو حنيفة عنهم كثيرو العدد منهم الأصمعي وأبو عبيدة وابن الأعرابي وأبو زيد والكسائي والفرّاء وأبو نصر واليزيدي واللحياني وأبو زياد الأعرابي وغيرهم . وقد أكثرَ النقلَ عن أبي زياد ، وذكر اسمه ونسبه عند ذكره لأول نبات من النباتات التي رتب اسماءها على حروف المعجم وهو الأراك (ص ٧٥) فقال : « ... قال أبو زيادٍ الأعرابي يزيدُ بن عبد الله الكلابي أحد بني عبدِ الله بن كِلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعَة : الأراكُ من العِضاه .. الخ » »

أما الشعراء والرجّاز الذين استشهد بشعرهم فهم كُثُر ، منهم لَبيد والأعشى وامرؤ القيس وعَديّ بن زيد وطَرَفة والنابغة الذبياني والأخطل والراعي وجرير والفرزدق والمُرَقّش وذو الرمة وعنترة وأوس بن حَجَر وعَلْقَمة بن عَبْدة والطرِمّاح وابو النجم والعَجّاج وحسّان وكعب بن زُهَير وابن مَيّادة وأُحَيْحة بن الجُلاح وقيس بن الخَطيم وعمرو بن كلثوم وكُثَيّر وابن هرمة والشّمّاخ والجَعْدي والحُطَيْئة والنَّمِر بن تَوْلَب الخ .

الخلاصة : لقد عاش أبو حنيفة الدينوري ، رحمه الله وطيّب ثراه ، في العصر الذي ضُبطت فيه اللغة العربية ، وازدهرت آدابها ، ونُقلت اليها علوم الأقدمين ووُسّعت وصُبّت في ثقافة عربية كانت في تلك الأيام أشمل الثقافات وأوسعها في العالم كله . ولا شك أنه كان من أبرز العلماء الذين بنوا ذلك الصرح اللغوي والعلمي الشامخ القرى .

وهو لم يكن في علم النبات من طبقة ابن الصوري وابن البيطار مثلاً ، ولكنه كان متفوقاً عليهما وعلى غيرهما من المتقدمين والمتأخرين بمعرفة أسماء أعيان

النبات ، وأسماء أجزائها المختلفة ، وأسماء ما له صلة بها ، مع تمييز بين الفصيح والمولَّد ، والعربي والمعرَّب ؛ يضاف الى ذلك دقةٌ وأمانة في النقل عمن سبقوه ، وفي الأخذ عن الأعراب ، سواء في تسمية النبات ام في تحليته .

والرجل الذي استطاع أن يصنف في مختلف علوم عصره ، بذلك البيان المشرق ، والذي أجمع أصحاب كتب التراجم على جعله صادقاً وثقة فيما يرويه ويحكيه ، لخليق بالنعت الذي نعته به صديقي الزركلي صاحب قاموس الأعلام مذ قال فيه انه نابغة من نوابغ الدهر .

ولقد كنتُ مزمعاً على تحقيق الجزء الخامس من كتاب النبات ونشره ، على أن أذكر الأسماء العلمية لمعظم ما حواه من أعيان النبات ، وان أذكر أيضاً بالفرنسية ترجمة عدد من أسماء أجزاء النبات ، وأن أشرح علمياً ما يحتاج الى شرح ؛ ولكنه اتصل بي ان لجنة التأليف والترجمة والنشر في القطر المصري الشقيق قد انتقت هي والدكتور محمد حميد الله الهندي على تحقيقه ونشره ؛ ولذلك أحجمتُ لكي لا يتكرر العمل دونما فائدة .

وياليت الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، التي يرجع اليها الفضل في النشور على هذا الجزء من الكتاب ، تفتش في كل مكان عن بقية أجزائه المفقودة ، فانه يتيسر لها من وسائل البحث والتنقير ما لا يتيسر لكثير من الأفراد والجماعات .

مصطفى الشهابي



مصطلحات ابن خلدون

لا شك في أن ابن خلدون كان له فضل عظيم على أكابر الكتاب في أوائل هذا العصر ، فان الذين أجروا أقلامهم في موضوعات الاجتماع رجعوا اليه في الاستعانة بطائفة من ألفاظه وتراكيبه فهو الذي هداهم الى كلمات الحضارة والمدنية والكماليات والضروريات وما شابه ذلك وهو الذي أرشدهم الى التراكيب الآتية : التوسع في مذاهب الحضارة واستفحال العمران وما ماثلها ، ولكن المهم ان نعرف هل اخترع ابن خلدون هذه المصطلحات التي دلت على المعاني الحديثة ام انه وجدها جارية على أقلام من تقدمه من الكتاب فاستعملها على وجوهها دون شيء من التحويل ؟

لقد مضت لابن خلدون في مقدمته عبارات دلت على الموضوعات التي عالجها وهي في رأيه علوم غريبة وحكم محجوبة قريبة ، ثم مضت له عبارات دلت على شعوره بابتكار علم العمران ، فانه يقول :

اعلم إن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة غزير الفائدة أعثر عليه البحث وأدّى اليه الغوص .

ويقول في موضوع آخر :

لعمري ، لم اقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة .

ويستمر في هذا النحو فيقول :

ونحن ألهمنا الله الى ذلك الهاماً ، وأعثرنا على علم جعلنا سن بكره وجهينة خبره .

أكتفي بهذا المقدار من الاستشهاد للدلالة على شعور ابن خلدون باختراعه

علم العمران ولست أرمي في هذا المقال الى الخوض في هذا الاختراع فقد خاض فيه كثير من رجال هذا العصر وفي مقدمتهم الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الله عنان والدكتور كامل عياد والدكتور صبحي المحمصاني وآخر من درس ابن خلدون دراسة مبنية على أصول علمية انما هو الأستاذ ساطع الحصري ، فالذين يهمهم هذا الأمر يستطيعون ان يرجعوا الى كتابات هؤلاء الأساتذة فموضوعي غير موضوعهم ، وخاطري غير خاطرهم .

أحاول في مقالي هذا المختصر ان أصل الى النتيجة الآتيـة : هل اخترع ابن خلدون مصطلحات العلوم العربية والحكم المحجوبة القريبة أم سبقه اليها السابقون .

انا نعلم ان العلوم المستحدثة والمذاهب الجديدة تستلزم ألفاظاً وتراكيب حديثة وأقرب مثل منا انما هو الاسلام فقد جاء الله بالاسلام وجاءت بمجيئه ألفاظ نقلت من مواضع الى مواضع في اللغة لا مجال الى ذكرها في هذا المقام فقد اشار اليها أئمة اللغة في كتبهم وفي جملتهم ابن فارس في كتابه الصاحبي ، وسميت هذه الألفاظ : الألفاظ الاسلامية وما جرى في هذا الباب جرى في غيره من الأبواب مثل النحو والتصريف والشعر والعروض وغير ذلك ، كانت هذه الأبواب كلها تسمى في القديم علوماً وضع لها اصحابها ألفاظاً دلت على موضوعات علومهم ، وثبتت هذه الألفاظ على وجوهها حتى يومنا هذا فلم يعف زمننا الذي نعيش فيه على شيء من الألفاظ الاسلامية كالمؤمن والمسلم والكافر والمنافق وأشباهها فقد احتفظت هذه المصطلحات بأصول معانيهـا لأن الاسلام لا يزال ثابت الأركان فلم تتحول ألفاظه من وجه الى وجه .

وما جرى على ثبات الألفاظ الاسلامية جرى على ثبات ألفاظ بعض العلوم فلا تزال في التصريف والنحو نستعمل الفعل والاسم والحرف والاعراب والبناء وغير ذلك من المصطلحات لأن النحو لا يزال ثابت الأركان ، اختلفت آراء

اهل البصرة والكوفة وبغداد في بعض قواعده ولكن اركانه لم تتضعضع ولهذا بقيت الفاظه ثابتة تدل على أصول معانيها .

وما نظن ان الأسماء تنقل في اللغة من مواضع الى مواضع ، أي تتحول معانيها الاّ اذا تحوّلت أصول هذه المعاني فالاسلام لا يزال اسلاماً والنحو لا يزال نحواً ولهذا بقيت لغتها على حالها .

أجتزئ بهذا المبلغ من التمهيد وأسرع الى الخاطر الذي خطر ببالي : هل اخترع ابن خلدون مصطلحات العلوم الغربية .

كيف خطر ببالي هذا الخاطر .

لما شرعت في دراسة أدبنا من خمس وثلاثين سنة كنت أدون في دفاتري الخاصة طائفة من كلام رجاله ومن جملة هذا الكلام المدون عبارة لابن خلدون وهذا نصها :

آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش ومالا بذر له وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد لها الا قوة اللمس فقط .... واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه وانتهى في تدريج التكوين الى الانسان صاحب الفكرة والروية ... وكان ذلك اول أفق من الانسان .

ويستمر ابن خلدون في تدريج الانسان حتى يصل به الى أفق الملائكة ...

هذه عبارة وجدتها مدونة في دفتري من أول نشأتي على الأدب ، حفظتها على الأيام فلم تذهب عن ذهني ثم عادت اليّ في هذا الوقت فأحببت ان اعرف هل اخترع ابن خلدون هذه الألفاظ والتراكيب ، وما كنت أفكر هذا التفكير من خمس وثلاثين سنة لأن دراستنا الأدبية لم تفتح أذهاننا للتعمق في دراسة الألفاظ وتسلسلها على النحو الذي نجري عليه في هذا العصر .

ان عبارة ابن خلدون التي استشهدت بها تدل على مذهب في الفلسفة مشهور ، أصحاب هذا المذهب « لامارك » و « داروان » و « سبنسر » كان الفلاسفة في القديم يعتبرون ان انواع الحيوان تخلق لمرة واحدة فلا تتغير خلقتها ولم يشذ عن هذا الاعتبار الا ايقور والابيقوريون فلما جاء الفلاسفة الذين أشرت اليهم نقضوا هذا الاعتبار وقالوا ان المادة استحالت في صدر الأمر الى النبات ثم الى الحيوان الأدنى ثم الى الحيوان الأعلى ثم الى الانسان وجدنا الأول انما هو السمك واذا ذهبنا الى أبعد من ذلك فجدنا الأول النبات .

جالت هذه الفكرة في القرن الثامن عشر في ذهن الفيلسوف الفرنسي « لامارك » ثم وضحها « داروان » أكمل توضيح ثم عرضها « سبنسر » عرضاً جديداً واستخرج منها نتائج في الفلسفة العامة وقد سمى اصحاب هذه الفكرة مذهبهم : التطور [1] .

هذا هو المذهب الذي أشار اليه ابن خلدون في عبارته ، فهل اخترع ابن خلدون هذا المذهب وهل اخترع الفاظه .

لم يسم ابن خلدون هذا المذهب « تطوراً » لأن لفظ التطور انما هو من مستحدثات هذا العصر ، ولكنه سماه اسماً آخر واذا رجعنا الى شرح هذا المذهب استطعنا ان نهتدي الى هذا الاسم ، فقد قال في خلال بسطه لمذهب :

ومعنى الاتصال في هذه المكونات ان آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب ان يصير أول أفق الذي بعده ...

فالمذهب الذي شرحه ابن خلدون سماه : الاتصال وهذا العصر يسميه التطور ، والاتصال والتطور في معناهما الفلسفي شيء واحد ، لأن أصل الأمر فيهما استحالة المادة الى النبات ثم الى الحيوان ثم الى الانسان وقد اتفق ابن خلدون وفلاسفة التطور على هذا الأصل .

(١) « فاكه » في كتابه : المدخل على الفلسفة .

والآن نرجع الى السؤال الذي سألناه : هل اخترع ابن خلدون هذا المذهب وهل اخترع الفاظه ؟

اني لا أعنى في هذا المقال بالشق الأول من السؤال فان الذين يهتهم هذا الأمر يجدون سبيلاً الى التحقيق في الرجوع الى الفلاسفة الذين ظهروا قبل ابن خلدون ، ثم في الرجوع الى فلاسفة الاغريق ، فاذا فعلوا هذا وصلوا الى ما يريدون ، وانما أعنى بالشق الثاني من السؤال : هل اخترع ابن خلدون الفاظ مذهب الاتصال او التطور ؟

لا نستطيع ان نجد الجواب عن الذي نسأل عنه الآ اذا رجعنا الى الكتّاب الذين تقدموا ابن خلدون وجالوا مجاله .

ذكرت كتب التاريخ ان ابن خلدون توفي سنة ٨٠٨ فلنرجع الى كاتب توفي سنة ٦٨٢ وهو القزويني صاحب : عجائب المخلوقات ، يقول في بعض كتابه :

فان المعادن متصلة اولها وآخرها بالنبات ، والنبات متصل اوله بالمعادن وآخره بالحيوان ، والحيوان متصل اوله بالنبات وآخره بالانسان ، والنفوس الانسانية متصلة اولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية ..

نحن نرى من كلام القزويني ان المذهب الذي أشار اليه ابن خلدون وهو مذهب الاتصال قد ذكره القزويني قبله بجذافيره ، وذكر ألفاظه ، فنستنتج من ذلك ان القزويني سبق ابن خلدون الى فكرة الاتصال وألفاظها .

واذا تركنا القزويني وانحدرنا الى ابن الطفيل وقد توفي سنة ٥٨١ وجدناه في كتابه : حي بن يقظان يشير الى مذهب « التطور » ولكنا نتخطاه لأن غايتنا الاهتداء الى الألفاظ التي استعملها ابن خلدون ، لا الى الفكرة التي وضحها .

ثم اذا تركنا ابن الطفيل ورجعنا الى ابن مسكويه وقد توفي سنة ٤٢١ وجدناه في كتابه : تهذيب الأخلاق يشير الى مذهب الاتصال نفسه والى ألفاظه .

ذكر ابن مسكويه مراتب الجماد والنبات والحيوان وقد استعمل فيها لفظ الأفق فقال : فذلك هي في أفق الجمادات ... ثم قال : ويصير في أفق الحيوان ... وكذلك استعمل الاتصال فقال في مراتب الأفق الانساني : وأول هذه المراتب من الأفق الانساني المتصل بآخر ذلك الأفق الحيواني مراتب الناس .....

من كل ما تقدم نستنتج ان الفاظ مذهب الاتصال او التطور التي استعملها ابن خلدون كانت مستعملة قبله ، فهو لم يخترعها اختراعاً وانما اقتبسها اقتباساً ، وقد يصعب علينا الوقوف على اول من اخترع هذه الألفاظ فان ذلك يقتضينا تتبع كتب الفلسفة كلها ، المطبوع منها والمخطوط ، وقد يجوز ان يكون في رسائل أخوان الصفا اشارة اليها ولسنا نريد بالاختراع وضعها وانما نريد الاصطلاح على معانيها كما اصطلحوا على معاني الألفاظ الاسلامية والفاظ النحو والصرف والشعر والعروض وغيرها .

وقد تكون صعوبة الاهتداء الى لفظ يدل على المعنى الحديث مثل صعوبة الاهتداء الى هذا المعنى ، فاذا نظرنا الى معنى الأفق الذي استعمله ابن خلدون وابن مسكويه وجدنا هذا المعنى متسعاً فالأفق في اللغة بالضم او بضمتين الناحية او ما ظهر من نواحي الفلك ، وهذا المعنى ضيق ولكن فلاسفة العرب لما نقلوه من معناه الضيق الى معناه الفلسفي وسّعوه كل التوسيع ، فالأفق في مذهب الاتصال او « التطور » يشير الى نوع من انواع الجماد او النبات او الحيوان او الانسان مستعد للانفصال عن حال والاتصال بغيرها فالاهتداء الى هذا اللفظ ونقله من معنى الى معنى يستلزم كثيراً من البراعة .

واذا دققنا في الفاظ ابن خلدون في مذهب الاتصال تبين لنا انه استعمل

الفاظ غيره من الذين تقدموه ، من هذا النحو استعماله الترتيب ، وهو لفظ له شأن في هذا المذهب وهذا اللفظ جرى كثيراً على قلم ابن مسكويه ٠

ان ابن خلدون على جلالة قدره لم يخترع مذهب الاتصال ولا وضع الفاظه ومصطلحاته ، فقد ثقف علوم العصور التي تقدمته فأدركها أتم ادراك وفهمها اكمل فهم ثم لخصها تلخيصاً يدل على فطنة ثاقبة وعقل راجح ، واستعمل الفاظ اهلها ومصطلحاتهم ، فهل نهتدي في علم العمران الذي وضعه الى الفاظ وتراكيب استعملت قبل ابن خلدون ، كما اهتدينا في مذهب الاتصال الى مثل هذه الألفاظ والتراكيب ؟

هذا موضوع مقال آخر ٠

شفيق جبري

المواضع الأثرية في جزيرة العرب

موقع سوق عكاظ

هذه كلمة حاولت ان أوضح بها موقع سوق «عكاظ» ، مورداً أقوال متقدمي المؤرخين ، وواصفاً ـ على ضوء مشاهدتي ـ المكان الذي لا يخامرني شك في أنه هو موقع ذلك السوق ، ومحاولاً تطبيق تلك الأقوال على أوصاف ذلك المكان ، ومشيراً الى آراء متأخري الكتاب والأدباء ، اشارة قصدت بها اطلاع القارئ على مختلف الآراء في هذا الموضوع وان كانت تلك الآراء ـ في نظري ـ قد جانفت الصواب ، وخالفت الحق ، ولم أكلف نفسي عناء مناقشتها ، أو بيان ما فيها من جَنَفٍ أو خَطأ ، يظهران بمقارنتها بأقوال المتقدمين .

ا ـ أقوال متقدمي المؤرخين في تحديد موقع عكاظ

١ - قال محمد بن اسحاق (٠٠٠ ـ ١٥١ هـ)[١] : كانت مجنة بمر الظهران ؛ الى جبل يقال له الأصفر ، وكانت عكاظ فيما بين نخلة والطائف ؛ الى بلد يقال له الفتق ، وكان ذو المجاز ناحية عرفة الى جانبها .

٢ ـ وقال محمد بن عمر الواقدي (١٣٠ ـ ٢٠٧)[٢] : عكاظ فيما بين نخلة والطائف ، وذو المجاز خلف عرفة ، ومجنة بمر الظهران .

---

(١) «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» نسخة خطية . في مكتبة الشيخ عبد الستار الدهلوي رحمه الله بمكة (ص ٤٩٣ ج٢) . والكتاب تأليف ابي الطيب الفاسي المتوفى سنة ٨٣٤ .

(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٠٣ .

٣ — وقال ابو عبيدة؛ معمر بن المثنّى (١١٠ — ٢٠٩): عكاظ [1] فيما بين نخلة والطائف؛ الى موضع يقال له الفتق ، وبه أموال ونخل لثقيف ، بينه وبين الطائف عشرة أميال .

أقول: للطائف من مكة اربعة طرق: طريق يمرُّ بعرفات ، ثم بعقبة جبل كَرَاء ، ثم بأعلى وادي قَرْن (وادي المَحْرَم) ثم بالطائف ، ومنه سلك رسول الله ﷺ في عودته من دعوة ثقيف الى الاسلام ، وهو أخصر الطرق وأوعرها . والثاني: يمرّ بمنهل حُنَيْن (عين الشرائع) ثم يَتَّجِهُ مشرّقاً فيصعد عقبة دُجْنَى (وتصحّف في الكتب القديمة بدُخْنَى ـ مُجْنَى) فوادي قَرْن ، فالطائف . وكانت القوافل ـ ولا تزال ـ تأتي معه . قال أحد شعراء مكة في القرن الحادي عشر الهجري [2]:

رأى صاحبي أثمار «وَجّ» فقال لي: ترى هذه الأثمار تسقط أم تُجْنَى؟
فقلت له: كُلْها هنيئاً فإنما أطايبها «تُجْنَى» وتأتيك من «دُجْنَى»

والطريق الثالث: يمرّ بالشرائع ، فوادي يَدْعان (جَدْعان في هذا العهد) فوادي سَبُوحة ، فقرية الزّيمة ، فوادي نخلة اليمانية ، فقرن المنازل (السيل الكبير) فالمناقب (الرّيسان جمع رِيع) ثم ينحرف ذات اليمين الى الطائف . وهذا هو الطريق الرئيسيّ في هذا العهد ، للسيارات والقوافل . والرابع لا ينحرف بعد المناقب بل يَتَّجِهُ مشرقاً حتى يَجُوز الجبال ، ويدع جبال الطائف أيمنه ، فيمرّ بقرب عكاظ ، ثم يأتي الى الطائف من أسفله . والمتقدمون الذين قالوا ان سوق عكاظ يقع بين نخلة والطائف ، قصدوا هذا الطريق ، ومنه سارت قريش حينما انهزمت في وقعات الفجار ، مارّة بنخلة . وقد سلكه رسول الله

(١) معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري ص ٦٦٠ طبعة باريس سنة ١٨٧٧ .
(٢) تاريخ الطائف العجيمي مخطوط .

ﷺ في غزوة الطائف فمرَّ بنخلة اليمانية ، فقرن المنازل ، فبطن المليح ، فبحرة الرُّغاء من وادي لِيّة ، فوادي نَخْب ، فالقَرْن الأسود ، فالطائف .

وقد حدَّد الهمداني موقع الفتق فقال (١) : اذا استقبلت مكة وانت في الفتق وقع الطائف بينك وبين مغرب الشمس ، وقال : بين الفتق وبين المناقب اثنا عشر ميلاً ، وبين المناقب وبين قرن المنازل ستة أميال . وذكر ان الفتق قرية كانت لبني هلال فخربت . وذكر الأصبهاني في الأغاني (ج ١ ص ١٤٩ طبعة الساسي) أن الفتق أسفل وادي العَرْج . ومعروف أن العَرْج شمال الطائف يميل قليل الشَّرْق .

٤ — وقال الأصمعي : (١٢٢ — ٢١٦) (٢) : عكاظ نخل في وادٍ ، بينه وبين الطائف ليلة ، وبينه وبين مكة ثلاث ليال ، وبه كانت تقوم سوق العرب ، بموضع يقال له الأُثيداء ، وبه كانت أيام الفجار ، وكانت هناك صخور يطوفون بها ويحجّون اليها .

٥ — وقال ابن هشام (المتوفى سنة ٢١٨ تقريباً) (٣) : كانت عكاظ في وسط ارض قيس عيلان .

٦ — وقال الأزرقي (المتوفى سنة ٢٤٤ تقريباً) (٤) : وعكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة ، على طريق صنعاء ، في عمل الطائف ، على بريد منها ، وهي سوق لقيس عيلان وثقيف ، وأرضها لنصر .

٧ — وقال محمد بن حبيب البغدادي (المتوفى سنة ٢٤٥) (٥) : جهار

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني طبعة ملر في ليدن ص ١٨٧ و ١١٩ .
(٢) معجم البلدان ج ٦ ص ٢٠٣ .
(٣) كتاب « التيجان » في ملوك حمير ص ٢١٠ طبعة حيدر آباد (الهند) .
(٤) كتاب تاريخ مكة ج ١ ص ٢١٠ طبعة مكة .
(٥) كتاب المحبّر لمحمد بن حبيب ص ٢١٥ المطبوع في الهند .

[صَنَمْ] لهوازن بعكاظ . وقال : عكاظ بأعلى نجد ، قريباً من عرفات . كذا ورد في كتاب « المحبَّر » _ ص ٢٦٧ المطبوع في الهند _ ولعله سقط من كتاب ابن حبيب هذا ؛ أو من أصله الذي نقل عنه _ ان كان له أصل _ كلمة (وذو المجاز) بعد كلمة نجد ، وإلاّ فأين أعلى نجد من عرفات ؟ ! ومن الغريب أن الذين جاؤا بعد ابن حبيب ونقلوا كلامه ، نقلوه بهذه الصورة ، كالمرزوقيّ في كتاب الأزمنة والأمكنة ، وابي عبيد البكري في كتاب معجم ما استعجم ، والحميريّ في كتاب الروض المعطار .

٨ — وقال عرام بن الأصبغ السلمي[1] : والفقا جبل لبني هلال ، حذاء عُرَنَ . . وحذاؤه جبل آخر يُقال له بُسٌ ، وفي أصله ماء يقال له بقعاء لبني هلال ، بئر كثيرة الماء ليس عليها زرع ، وحذاؤها اخرى يقال لها الخدود . وعكاظ منها على علوة . وعكاظ صحراء مستوية ليس فيها جبل ولا علم ؛ الا ما كان من الأنصاب التي كانت في الجاهلية ، وبها الدماء من دماء البدن كالأرحام العظام ، وحذاؤها عين يقال لها خليص للعمريّين ، وخليص هذا رجل ، وهو بلاد تُسَمَّى رُكْبَة .

٩ — وقال ابن واضح اليعقوبي (المتوفى سنة ٢٩٢)[2] : سوق عكاظ بأعلى نجد ، تقوم في ذي القعدة ، وينزلها قريش وسائر العرب الا انّ أكثرها مُضر .

١٠ — وقال الهمداني (المتوفى سنة ٣٣٤ تقريباً)[3] : _ بعد ان أورد

---

(١) في كتاب « اسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه » نسخة خطية تقع في ١٨ صفحة لدى الشيخ محمد نصيف في جدة وقد نقل البكري وياقوت معظم هذا الكتاب في كتابيهما .

(٢) تاريخ اليعقوبي (ص ٢٢٧ طبعة العراق) .

(٣) صفة جزيرة العرب ، طبعة د. هـ. مل في ليدن ، الصفحات ٢٦٢ ، ٢٦٤ ؛ ١٦٤ ، ٧١ . على التوالي .

قول عيسى بن احمد الرداعي في ارجوزته التي وصف بها طريق الحج من صنعاء الى مكة ، وقد أوردتُ من أبياتها موضع الشاهد :

يا ناق هم الشهر بانسلاخ فأزمعي بالجدّ لا التّراخي
عن ذي «طوى» ذي الحض والسباخ قاربة للورد من «كلاخ»
مشفقة من زاجر كظّاظ مسهلة للخبت من «عُكاظ»
تاركةً «قرْان» المناقب و «شَرِباً» في جنح ليل واقب

قال الهمداني : عكاظ بمعكد هوازن ، وهو سوق العرب القديمة . وهو لبني هلال اليوم ... قرّان وشرب مكانان من أرض عكاظ . وهذه المواضع من الجرداء . ويضرب على مشرق جميع هذه المواضع جبل الحضن ، من المحجّة على يوم وكسر . ثم ضرب الناس من قرّان وشرب ذات اليسار ؛ فعلوا رأس السراة وهو المناقب ، وانحدروا فيها ، وسقطتْ بهم على قرْن الحرّض ، وهو الذي وقّته النبي ﷺ لأهل نجد . وقال : وحَضَنٌ عكاظ جبل ، وفيه يقول الأعشى : كخلقاء من هَضَبات الحَضَن .

وقال الراجز :

لما بدا شَعْف بأعلى السّيّ وحَضَنٌ مثلُ قرَى الزّنْجيّ

وقال الهمداني - أيضاً - سراة الطائف غورها مكة ، ونجدُها ديار هوازن من عكاظ والفتق .

١١ - وقال ابو عبيد البكري (المتوفى سنة ٤٨٧)[١] : عكاظ بضم أوله وفتح ثانيه وبالظاء المعجمة ، صحراء مستوية ، لا علم فيها ولا جبل ، الا ما كان من الأنصاب التي كانت بها في الجاهلية ، وبها دماء الابل كالأرحاء العظام (في نسخة خطية : الأرحال) . وكانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً لمكة

(١) كتاب معجم ما استعجم لأبي عبيد ص ٦٦٠ - ٦٦٢ طبعة اوروبة سنة ١٨٧٧ .

في الجاهلية ، وعكاظ على دعوة من ماءة يقال لها نقعاء (في الخطية بقعاء) بئر لا تنكف ... واتخذت سوقاً بعد الفيل بخمس عشرة سنة وتركت عام خروج الحرورية مع المختار بن عوف سنة ١٢٩ إلى هَلُمَّ جَرّاً ... ويتصل بعكاظ بلد تسمى ركبة ، بها عين تسمى عين خليص ، للعمريين ، وخليص رجل نسبت اليه . وذكر ابو عبيدة انه كان بعكاظ أربعة أيام: يوم شَمْطَة ، ويوم العبلاء ، ويوم شرب ، ويوم الحُرَيْرَة ، وفي كلها من عكاظ ، فشمطة من عكاظ وهو الموضع الذي نزلت به قريش وحلفاؤها من بني كنانة ، بعد يوم نخلة ، وهو أول يوم اقتتلوا به في أيام الفجار ، على ما تواعدت عليه مع هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم ، فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة وقريش ، ولم يقتل من قريش أحد يذكر ، واعتزلت بكر بن عبد مناة بن كنانة الى جبل يقال له دَخْم ، فلم يقتل منهم أحد ، وقال خِداش بن زهير :

فأبلغ ان مررت به هشاماً وعبد الله أبلغْ والوليدا

بأنا يوم شمطة قد أقمنا عمود الدّين[1] إنّ له عمودا .

ثم التقى الأحياء المذكورة على رأس الحول ، من يوم شمطة ؛ بالعبلاء ، الى جنب عكاظ ، فكان لهوازن أيضاً على قريش وكنانة ، وقال خِداشُ ابن زهير :

ألم يبلغكُمُ انا جدعنا لدى العبلاء خِنْدِفَ بالقياد .

ضربناهم ببطن عكاظ حتى تولّوا طالعين من النّجاد

فهو يوم العبلاء . ثم التقوا على رأس الحول ، وهو اليوم الرابع من يوم نَخْلَة ، بِشَرِب ، وشَرِبُ من عكاظ ، ولم يكن بينهم يوم أعظم منه فحافظت قريش وكنانة ، وقد كان تقدم لهوازن عليهم يومان ، وقيّد

(١) في النسخة الخطية (المجد) بدل (الدين) وكذا في معجم البلدان لياقوت (ج ٥ ص ٢٩٥) .

ابو سفيان وحَرْبٌ ابنا أميّة وابو سفيان بن حرب أنفُسَهُم ، وقالوا : لا يبرح رجل منّا مكانه حتى نموت ، أو نظهر ، فسمّوا العنابسة ، وجعل بلعاء بن قيس يقاتل ويرتجز :

ان عكاظاً ماؤنا فخلّوه وذو المجاز بَعْدُ لَنْ تحلّوه

فانهزمت هوازن ، وقيس كلها ، إلا بني نصر ، فإنها صبرت مع ثقيف ، وذلك أن عكاظاً بلدهم ، ولهم فيه نخل وأموال ، فلم يفتنوا شيئاً ، ثم انهزموا وقتلت هوازن يومئذ قتلاً ذريعاً . قال أميّة بن الأشكر الكناني :

الا سائل هوازن يوم لاقوا فوارس من كنانة معلمينا
لدى «الشرب» وقد جاشوا وجشنا فأوعب في النفير بنو أبينا

ثم التقوا على رأس الحول ، بالحُرَيْرة ، وهي حرّة الى جنب عكاظ ، مما يلي مهبّ جنوبها ، فكان لهوازن على قريش وكنانة وهو يوم الحريرة .

١٢ — وقال الشريف الادريسي (المتوفى سنة ٥٦٥)[١] : وسوق عكاظ قرية كالمدينة جامعة ، لها مزارع ونخيل ، ومياه كثيرة ، ولها سوق ، يوماً في الجمعة (كذا) وذلك يوم الأحد يَقْصد اليها في ذلك اليوم بأنواع التجارات أهل تلك الناحية ، فاذا أمسى المساء انصرف كل واحد الى موضعه ومكانه ، ومن سوق عكاظ الى مدينة نجران خمس مراحل .

١٣ — وقال ياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦)[٢] : العبلاء اسم علم لصخرة بيضاء الى جنب عكاظ . وقال : كلاخ — بالخاء المعجمة — موضع قرب عكاظ .

(١) كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » للادريسي ورقة ١٠٢ ج ١ نسخة دار الكتب المصرية المصورة رقم ٢٦٣ جغرافية .

(٢) معجم البلدان « ج ٦ ص ١١٣ ، ج ٧ ص ٢٧١ » .

١٤ — وقال الحِمْيَري مؤلف الروض المعطار [1] : عكاظ صحراء مستوية لا علم فيها ولا جبل ، إلا ما كان فيها من الأنصاب التي كانت في الجاهلية ، وهي بأعلى نجد ، وقريب من عرفات (كذا) . وقيل هي وراء قرن المنازل بمرحلة في طريق صنعاء ، وهي من عمل الطائف ، وقيل هي على ثلاث مراحل من تبالة ، وسوق عكاظ قرية كالمدينة جامعة ، لها مزارع ونخيل ومياه كثيرة ، ولها سوق في يوم الجمعة ، يقصده الناس في ذلك اليوم بأنواع التجارات ، فاذا أمسى المساء انصرف كل واحد الى موضعه .

١٥ — وقال الفيومي (المتوفى سنة ٧٧٠) [2] : عكاظ وزان غُراب ، سوق من أعظم اسواق الجاهلية ، وراء قرن المنازل بمرحلة ، من عمل الطائف ، على طريق اليمن . وقال ابو عبيد : هو صحراء مستوية ، لا جبل فيها ولا علم ، وهي بين نجد والطائف .

هذه جملة من أقوال المتقدمين الذين تعرضوا لتحديد « عكاظ » وهي على اختلاف عباراتها متقاربة في المعنى ، بل متطابقة من حيث الجملة ، وقد لا يوجد للمتقدمين من المؤرخين من الأقوال في تحديد سوق « عكاظ » ما يخالفها .

ب — خلاصة الأقوال المتقدمة

تتلخص تلك الأقوال بأن موقع سوق عكاظ :

١ — في أعلى نجد ، فليس في تهامة ، ولا في الحجاز ، ولذلك عدّه

(١) الروض المعطار ، نسخة مكتبة عارف حكمت (شيخ الاسلام) المخطوطة في المدينة وقد وهم مؤلف كشف الظنون حيث ذكر ان الحميري هذا توفي سنة ٩٠٠ وقلّده بروكلمان ، والصحيح انه قبل هذا التاريخ ، اذ القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ ينقل عنه في صبح الأعشى . ولا يبعد ان يكون من أهل القرن السابع الهجري .
(٢) المصباح المنير ص ٤٩ ج ٢ طبعة بولاق .

ابن خُرْدَاذْبَه في كتاب المسالك[1] وابن رُسْتَه في «الأعلاق النفيسة»[2] والبكري في «معجم ما استعجم[3]» من مخاليف مكة الشَّجْدية .

٢ — وانه في بلاد قيس عيلان من مضر، ثم في بلاد بني نَصْر بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن قيس عيلان، وبلاد منها من مواضع لا تزال معروفة بأسمائها القديمة، مثل (وَكْبَة — بَيْسل — لِيَّة ؛ وفيه هدم رسول الله ﷺ حصن[4] مالك بن عوف رئيس تلك القبيلة — جلدان — بُس — قَرْنان — العقيق) ولا تزال بقية قبيلة بني نصر في مواضعها هذه، فقبيلةُ «الجشمة» — وهم بنو جُشم بن معاوية بن بكر — الذين منهم دريد بن الصمّة — منازلها الآن : قُران، وعُشَيْرَة — في بطن العقيق — . والعُصَمَةُ —[5] وهم حُلَطاء لأولئك منذ العهد الجاهلي — في أسفل وادي لِيَّة ، والثَّقَمَةُ — وهم من هوازن — في وادي كلاخ ، مجاورين لهؤلاء .

٣ — وانه يبعد عن الطائف مسافة اختلف المتقدمون في تقديرها بين عشرة أميال ، أو بريد (وهو ١٢ ميلاً) أو مسيرة يوم ، ولكن هذا الاختلاف ليس جوهرياً ، اذا لاحظنا أن الطائف لا يطلق على المدينة وحدها ، بل يشمل ما يجاورها من الأمكنة والقرى التابعة لها . وإذَنْ فتحديد المسافة في جميع تلك الأقوال صحيح .

٤ — وأنه على طريق اليمن من مكة بين المناقب وبين كلاخ — ولليمن الى مكة طريقان : تهاميٌّ ، يأخذ على الساحل ، وآخر يأخذ على أطراف السراة

(١) صفحة ١٣٣ طبع أوروبة .
(٢) ص ١٨٤ طبع أوروبة .
(٣) ص ١٩٥ طبع اوروبة .
(٤) انظر في سيرة ابن هشام خبر هدمه في غزوة الطائف .
(٥) وانظر كتب الأنساب ومادة «ع ص م» من تاج العروس .

مارًّا ببلاد عسير ، وهو الذي يقع عكاظ فيه ، وقد وصفه عيسى بن احمد الرداعي - من أهل القرن الثالث الهجري وحدّد مراحله ، وعدّد مناهله ، وبيّن أعلامه في أرجوزته التي ساقها الهمداني في آخر كتابه «صفة جزيرة العرب» . وحدّد الهمداني في صفة الجزيرة (ص ١٨٧) مراحل هذا الطريق ، فقال - باختصار - : ومن بيشة بُعْطان الى تبالة ١١ ميلاً وهي من صنعاء على ٢٣ بريدا = ٢٨٦ ميلاً = وعرضها ١٨ درجة [1] وثلث وعُشر ، ومنها الى القُرَيْعاء ٢٢ ميلاً ، وعرضها ١٩ درجة . ومنها الى كَرَى [2] ١٦ ميلا ، وعرض كرى ١٩ درجة وسدس وثلثا عشر . ومن كرى الى تُرَبة ١٥ ميلاً ، وعرضها ١٩ درجة وثلث وثمن درجة . ومنها الى الصَّفْن ٢٢ ميلاً ، وعرض الصَّفْن ٢٩ درجة وثلثان وثمن . ومنها الى الفُتُق ٢٣ ميلاً ، وهي من صنعاء على ٣٠ بريداً = ٣٦٠ ميلاً = ؛ والفتق والطائف ومكة على خط الطول من المشرق الى المغرب ، وعرض الفتق ٢٠ درجة وعُشر درجة » . ومنها الى رأس المناقب ١٢ ميلاً ، وهي منتهى الطريق وجه الشمال ، ثم رجعت نحو المغرب او الجنوب ، وعرض رأس المناقب ٢٠ درجة وربع وثُلُث عُشْر . ومن رأس المناقب الى قَرْن - ويسمى قرن المنازل - ستة أميال . انتهى . وقد يَعْدل هذا الطريق من الفتق فيتجه شمالاً نحو منهل غَمْرَة ، فذات عرق ، ميقات أهل العراق ، حيث يجتمع مع طريق العراق الى مكة . وتبلغ نهاية اتجاهه شمالاً في غمرة ، التي ذكر الهمداني (ص ١٨٥) أن عرضها ٢٢ درجة وأنها تبعد عن ذات عرق ٢١ ميلاً ، وان عرض ذات عرق ٢١ درجة وثلثا درجة . ويصف ابن رسته (ص ١٧٩) غمرة

---

(١) في النسخة المطبوعة عبّر عن الدرجة بكلمة (جُزْء) ولكن في نسختي المخطوطة سنة ١٠٢٩ جاءت « درجة » .

(٢) كرى واد عظيم معروف في هذا العهد بين تربة وبين وادي رَنْيه .

بأنها منزل خصب ، كثير الماء من البرك والآبار ، وقال : ومن هذا المنزل يحرم الحاج الا الجمالين فإنهم يحرمون من ذات عرق . وقال قدامة بن جعفر[١] : ومن الثمرة تعدل الى اليمن ، فمن الثمرة الى الجَدَد[٢] ١٢ ميلاً ، وهو موضع البريد ، ومقسم القوافل ، وليس فيه الا بئر واحدة ، ونخل وزرع ، يستقى لها بالابل ، وهي موضع يُسْر مولى عثمان بن عفّان ، ومن الجدد[٢] الى الفتق ، ومن الفتق الى تَرَبَة ، وهي قرية عظيمة بها عيون جارية وزروع ، وهي قرية خالصة مولاة المهدي .

وقد اقتصر الهمداني في كلامه المتقدم على ذكر محطات الطريق ، ولم يذكر غيرها من المواضع ، ولكن الرداعي أشار الى كثير منها في أرجوزته ، ولعل من المفيد ذكر الأبيات ، التي لها صلة بهذا البحث ، دون غيرها ، مع ايضاح الهمداني لها ـ قال ـ[٣] :

ثم انتحتْ بالسَّيْرِ منها الطُّنُبِ   الى « غُرابات » القُرَيْنِ الأنصبِ
ثم « الخُرَيداءِ » بيوحَدٍ مُعقب   ثم الى « ضَفْنٍ » رويّ المشرب
ثم على « ركْبَةَ » بَرِّ الأركب

القُرَاب قرن مُنْتَصِب . والخريداء أرض واسعة ، وضَفْن منهل تأتيه الأعلاق من أمطار من ناحية الطائف :

قلت لها في مطلخم طاخ   « بأوقح » ذي المنهل الوضّاخ
يا ناق همّ الشهر بانسلاخ   فانتهضت بمشرف شماخ
عن « ذي طوى ذي » الحمض والسباخ   قاربةً للورد من « كلاخ »

(١) « كتاب الخراج وصنعة الكتابة » المطبوع بعضه في ليدن سنة ١٣٠٦ مع كتاب المسالك لابن خرداذبة .

(٢) كذا والصواب (الخَلَد) بالخاء .

(٣) صفة جزيرة العرب ص ٢٦١ وما بعدها .

أوقح منهل على واد عذب الماء ، وقيل لعليل من أهل صنعاء ـ وهو في منزله ـ : ماذا تشتهي ؟ قال : شربة من ماء أوقح [١] . وكلاخ وادٍ ماؤه ثقيل ملح . وكل هذه البلاد من تبالة الى نخلة ديار هوازن ؛ فيها من كل بطونها .

يا هندُ لو أبصرت عن عيانِ قلائصاً يُوضِعْن في « جلْدان »
بالقوم من يقظان او وسنانِ علمتِ مَن ذو الفضل في الركبان

جلدان موضع قاع .

اذا انتحى القوم على الخوص العُنُقْ عن «ذات أصداء» سناً في «الفُتُق»
أقول للبارق وهنّاً إذ بَرَقْ هيّجت أشجاناً لذي شوق علق

فقلت لما ثاب لي احتفاظي سل الهوى عن قلبك المغتاظ
والعيس تطوي الأرض بالظاظ مسهلة للخبت من «عكاظ»

فانجردت بالرفق المصائب عيديّةً منعمة المناكب
تاركةً «قرّان» «المناقب» بحيثُ خطَّ الليلَ كفُّ الكاتب
و «شَرِباً» في جنح ليل واقب

حتى اذا أدنى الركاب مُدني استبدلت بالخوف دار الأمن
وجاءت الميقات «وادي «قرْن» ومسجداً حُفَّ بزيّ الحسن

بقَرْنٍ مسجد النبي ﷺ وبئره ، وهو واد ونخل وحصون ، وهو على رأس اليوباة .

ثم استطفّوا فوق يعملات منفضين بالسّير الى «اليوبات»

(١) أوقح لا يزال معروفاً باسمه وهو في بلاد بالحارث في هذا العهد ويقع من كلاخ مطلع الشمس ، ويبعد عنه مسيرة نصف نهار للابل .

البوبات [1] أرض منقلبة الى وادي نخلة ومصعدها الى قرن كثيب لا تكاد تعدوه الروايا والأنضاء .

ثم اعترمن العيس بالتصميم عوائداً للمسجد المعلوم
قواصداً «الكنو» «فاليسوم» [2] الى بريد الصخرة المعلوم

المسجد المعلوم مسجد ابراهيم عليه السلام الى رأس وادي نخلة ، ينزل الناس فيصلون فيه ويدعون ، والكنو واليسوم جبلان بنخلة .

لضَيْعَةِ الطَّلْحِيِّ مستقيمه صادرة عنهـا تؤم « الزَّيمه »
ثُمَّ على « سَبُوحَةَ » القديمة إلى « أُرَيْكَ » تعتلي صميمه

ضَيْعَةُ الطلحي من قريش نخلٌ قديمات . الزيمة موضع فيه بستان ابن عبيد الله الهاشمي ، وكان في أيام المقتدر على غاية من العمارة ، وكان يغلّ خمسة آلاف دينار مثقال ، وفيه حصن لمقاتلة مبني بالصخر ، ويحميه بنو سعد ... وعدد جذوعه ألوف ، وفيه غيل مخرج من وادي نخلة ، غزير ، يفضي الى فوارة في وسط الحائط ، تحت حَنِيَّةٍ ، ثُمَّ الى مأجل كبير ، وفيه الموز والحناء وأنواع من البقول ، وسبوحة [3] موضع ، وأُريك عقبة تضاف الى المكان فيقال عقبة أُريك بضم الألف ... والطريق حينئذ من رأس المناقب الى مكة ما بين المغرب والجنوب ، ثم تكون الشمس عاشياً على صدغك الأيمن .

ثم انتحت وخداً على انكماش « بئر الجذاميّ » باحتياش
الى « حُنَيْن » المنهل الجياش حتى اذا أفضت الى « المشاش »
عجّت بحنان لشوق غاشي

(١) البوبات تعرف الآن باسم « البُوَيْبَة » .

(٢) يقال لها « اليسومان » من باب التغليب ويحرّف اسمها الآن « السّومان » . قال الراجز :

يا ناق سيري قد بدا يسومان فاطويها تبدو لنا « غزوان »

(٣) سبوحة معروفة باسمها في هذا العهد ، واد فيه مزارع على المطر .

آبار الجذامي : بئر معمورة ، والجذامي من أهل مكة . وحنين هو الذي كانت فيه وقعة حنين بين النبي ﷺ وهوازن . والمشاش : موضع تلتقي فيه محجة اليمن ونجد . ومحجة العراق والبحرين . انتهى ملخصاً .

٥ — وانه يقع في صحراء مستوية ، خالية من الأعلام والجبال ؛ سوى صخرات كبار ، وحُزيزة في مهبّ الجنوب منه .

٦ — وانه متصل بأرض رُكبة . ويقع جبل حَضَن في مشرقة مسيرة يوم وكَسْر ، ويقع وادي قَرْن في مغربه ، بقربه .

٧ — وأن من أوديته وادي « شَرِب » .

ج — أين موقع سوق عكاظ ؟

ان جميع الاوصاف المتقدمة ، تنطبق انطباقاً تاماً على الأرض الواسعة ، الواقعة شرق الطائف — يميل نحو الشمال — خارج سلسلة الجبال المطيفة به ، وتبعد تلك الأرض عن الطائف مسافة (٣٥ كيلو متراً تقريباً — ومسيرة ليلة للابل) . ويحدها غرباً ، جبال بلاد عدوان (الحُضَيراء — شِرْب العقرب [١]) وجنوباً : جبال أسفل وادي لِيّة ، وابرق العُبَيْلاء ، وضلع الخَلَص ، وشرقاً : صحراء رُكْبة — وفي أقصاها جبل حضن — وشمالاً : طرف رُكْبة — وهو من عكاظ — والجبال الواقعة شرق وادي قرآن . وتشمل هذه الأرض وادي الأُخيضر (وهو المعروف قديماً باسم وادي عكاظ) ووادي شرب ؛ حيثما يفيضان في الصحراء ، ويخرجان من الجبال ، وما بينهما من الأرض ، وما اتصل بهما من طرف ركبة الشمالي الغربي .

---

(١) هذه القرى الثلاث سكانها قبيلة عدوان .

د – المواضع التي بقرب عكاظ

ذكر المتقدمون مواضع كثيرة ، يستدل بها على موقع سوق عكاظ ، منها ما هو معروف في هذا العهد باسمه القديم ، ومنها ما هو مجهول ، فمن المواضع المعروفة :

١ – بُسٌّ : وهو جبل أسود (طرف من الحرة) مشرفٌ على منهل عشيرة ، التي هي المحطة الأولى بعد قرن المنازل ، للذاهب الى نجد ، ويقع هذا الجبل شمال موقع عكاظ ، بمسافة لا تزيد على مسيرة نهار للابل .

٢ – جلدان : وهي أرض سهلة واسعة ، تقع بين وادي لِيَّة ، ووادي بَسْل ، وفيه هضبة سوداء تسمى «بَتْعَةُ» قال ياقوت عن الأصمعي (١) أن بها نُقُباً ، كل نَقْب قَدْر ساعة ، كان يلتقط بها السيوف العادية والخرز ويزعمون ان فيها قبوراً لعاد ، وكان يعظمون ذلك الجبل . وتسمى هذه الهضبة في عهدنا الحَلاة – حَلاةُ جَلْدَان – ومن كلام بَدْو تلك الناحية : مَنْ ملك نَزْهان بن نَزْهان ، وأتانة وأتان ، وخمسين من الضّان ، ومَرْعى في جنب حلاة جلدان ، فهو سلطانٌ ما عليه سلطان ، أي من ملك كلباً أصيلاً ، وحمارين ذكراً وأنثى ، وخمسين شاة يرعاها في ذلك الموضع فقد بلغ الغاية في العزّ .

٣ – حَضَن : وهو الجبل المعروف الذي ورد فيه المثل : «من رأى حضناً فقد أنجد» . ويقع شرقي موضع عكاظ ، ويشاهد منه عن بُعد ، مسيرة يوم للابل .

٤ – رُكْبَة : وهي فلاةٌ واسعة تبلغ مسيرة أيام للابل ، وعكاظ في طرفها الغربي الجنوبيّ ، متصل بها .

---

(١) معجم البلدان (ج ٢ ص ٣٦٣) وقد نسب صاحب التاج هذا الكلام الى البكري ، ولكنه لا يوجد في معجمه المطبوع .

٥ – شَرِب : وهو واد عظيم ، أعلاه وادي العقيق الواقع غرب الطائف وشماله ، ثم ينحدر ماراً بمزارع القَيْم وأُمّ الحَمْض والقُدَيْرة ، ثم يلتقي به وادي الحَوِيّة من الغرب ، ثم يمرّ بقرية «شِرْب» أسفل الحَوِيّة ، بينهما ميل واحد ، ثم يجوز السلسلة الجبلية ويفضي الى الأرض البراح ، فَشَمّ عكاظ ، حتى تنتهي الى وادي الأخيضر في طرف رُكبة . وقد يطلق على سوق عكاظ اسم شرب كما في قول الكميت [1] :

وفي الخيفـــة فاسأل عن مكانهم
بالموقِفَيْن ، ومُلْقَى الرَّحْل من شَرَبِ

٦ – العبلاء [2] : قرية ذكر الهمداني أنها خربت ، وتقع بقرب العُبَيْلاء ، قرية عدوان المعروفة ، وتقع جنوب عكاظ .

٧ – عُنّ : جبل يقع يمين المتجه نحو تَرَبَة ، ويشاهد على مسافة بعيدة من طرف رُكبة الجنوبي ، ويقع جنوب عكاظ ، يميل الى الشرق . وفي هذا الجبل وَشَلٌ يرده بعض المسافرين .

٨ – قَرْان : واد ينحدر من الأرض الواقعة بين الحوية وبين السيل الصغير وما حولها ، حتى يجتمع بوادي العَقِيق الكبير ، الذي هو أعظم الاعقة وأطولها . ويقع وادي قَرْان غرب عكاظ ، يفصل بينهما آكامٌ تمتد من الجنوب الى الشمال ، وقد عدّ الهمداني قُرْان من أرض عكاظ ، والظاهر أنه خارج عنها ، وفي العقيق يقول الصمة الجشمي [3] – ابو دريد – في حرب الفجار التي وقعت في عكاظ :

---

(١) معجم البكري ص ٩ ٨ .

(٢) في ترجمة ابن الدمينة من كتاب «الأغاني» انه كان ينشد شعره في سوق العبلاء .

(٣) كتاب شعراء النصرانية ج ١ ص ٧٦٩ .

ولاقت قريش غداة «العقيـ ق» أمراً لما وجدته ويلا
وجئنـا اليهم كموج الأتيّ — يعلو النجاد وعلا السيلا

و «العقيق» و «قرّان» مجاوران لعكاظ من الجهة الغربية الشمالية .

٩ — كلاخ : قرية فيها مزارع ، أسفل وادي يَسْل ، وتقع جنوب عكاظ يميل الى الشرق .

المواضع المجهولة :

١ — الأُثيداء : ذكر الأصمعي أن سوق عكاظ يقام في هذا الموضع ، وهو غير معروف في هذا العهد .

٢ — بقعاء : يفهم من كلام عَرّام انها في أصل بُسٍّ ، انها بئر عُشَيْرة القديمة أو بقربها ، اذ هي في أصل بُسّ .

٣ — جَبجب — نقل البكري عن ابن الأعرابي أن جُبْجُباً من عكاظ .

٤ — الحُرَيْرَة : تصغير حرّة — يدلّ كلام المتقدمين أنها هي المعروفة في هذا العهد بضِلْع الخَلَص ، وهو جُبَيْلٌ أسود صغيرٌ ، يقع في الجنوب يميل قليل نحو الشرق من موقع عكاظ . وان لم تكن هو فهي مجهولة .

٥ — الحُدُود — أو الحُدَد — : يفهم من كلام ياقوت والزبيدي ، وقبلهما قدامة الكاتب وقد تقدم كلامه — أنها تقع شمال موقع عكاظ ، فيما بينه وبين منهل عُشَيْرة .

٦ — دَخْم : الجبل الذي لجأت اليه بنو كنانة ، يوم شمطة فسلموا — لا يبعد ان يكون الجبل المسمى بالصالح ، بقرب قرية «العقرب» لعدوان ، ويسمونه الصالح لاعتقادهم بأن رجلاً صالحاً قبر فيه ، وهم يعظمون ذلك الجبل في العهد الماضي . ويقع بقرب عكاظ في الجهة الغربية .

٧ — شَمطة : موضع في عكاظ غير معروف .

٨ — عَيْن خَلَيْص : غير معروفة ، ولعلها كانت بقرب ضلع الخَلَص ، جنوب عكاظ .

٩ — الفتق : بلد قد اندرس كما ذكر ذلك الهمداني ، ويفهم من كلام المتقدمين انه جنوب عكاظ بينه وبين العَرْج .

١٠ — القَفَا : جبل يفهم من كلام عرام انه أحد الجبال المجاورة لجبل عُنّ . وهو غير معروف . وأورد عرّام فيه هذا البيت :

وقالوا خرجنا م القفـا وجَنُوبه وعنٍّ ، فهمَّ القلبُ أن يتصدّعا

هـ — سكان هذه النواحي

أشار المتقدمون الى أن هذه الجهات ؛ من منازل هوازن ، ثم صارت لبني هلال ، والظاهر ان بني هلال حلّوها وقت انتشارهم وقوّتهم ، في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ثم لما هاجروا بعد ذلك الى مصر ، ثم الى بلاد المغرب عاد سكانها الأصليون اليها ، ولا يزالون بها . فمن سكانها :

١ — الجُشَمَة : واحدهم جُشَامِيّ — وقد يقال: جشامي — وهم بنوجُشَم بن بكر بن معاوية بن هوازن اخوة بني نصر ، و « الجثمة » تحريف « الجشمة » بالثين ، لتقارب الحرفين في بعض صفات النطق . وتسكن هذه القبيلة في وادي « قرْان » ووادي « العقيق » وفي السَّيْل الصغير .

٢ — عَدْوان : القبيلة القديمة التي منها حكيم العرب ، عامر بن الظرب ، ومنها ذو الاصبع الشاعر ، وتسكن في وادي « شرب » وفي قرية « العَقْرب » وهي قرية على ضفة وادي الأخيضر في أعلاه فيها نخل ، وفيها عين أوشكت أن تغور . وفي قرية « العبيلاء » .

٣ — العُصَمَة : وهم خلطاء لبني جُشَم وهم منهم ، كما في المقتضب وغيره من كتب النسب — ويسكنون أسفل وادي لِيّة ، في وادٍ يسمى باسمهم .

و — آراء المتأخرين في تحديد موضع عكاظ

١ — رأي الأستاذ خير الدين الزركلي :

قال في رحلته «ما رأيت وما سمعت» : وعلى ذكر السيل أو اليمانية ، لا أرى أن تفوتني الاشارة الى أشهر سوق من أسواق العرب ، أعني سوق عكاظ ، لوقوعها في تلك الطريق ، على مرحلتين من مكة للذاهب الى الطائف عن طريق السيل ، يميل قاصد عكاظ نحو اليمين ، فيسير نحو نصف ساعة ، فاذا هو أمام نهر في باحة واسعة الجوانب ، يسمونها «القانس» بالكاف المعقودة ، وهي موضع سوق عكاظ — الى ان قال — والواقف في القانس أو عكاظ يرى على مقربة منه موضعين مرتفعين ؛ أحدهما يسمى الدّمة بكسر فتح ، والآخر البهيتة ، بصيغة التصغير ، وعكاظ هو الفاصل بين الدمة والوادي الموصل الى الطريق التي يمرّ بها سالكو درب «السيل» اليمانية — ثم قال الأستاذ بعد ايراده لكلام ياقوت في المعجم — وسمعت كثيراً من أهل الطائف يقولون ان عكاظاً كان في مكان يعرف اليوم باسم «القهاوي» في وادي ليّة من الطائف ، غير ان الشيوعَ يؤيد ما قلناه آنفاً من انه القانس نفسه ، وعليه اكثر العارفين ، من أهل هذه الديار .

٢ — رأي الامير شكيب أرسلان — رحمه الله تعالى — :

قال — بعد أن أورد كلام الأستاذ الزركلي المتقدم — «في الارتسامات اللطاف» ص ١١٠ — : أفلا يحتمل أن يكونوا أقاموا السوق مرة في القانس ، ومرّة في المكان المسمى اليوم بالقهاوي ؟ على أن قول الأخ الزركلي ان القهاوي هي في وادي ليّة فيه نظر ، لأن القهاوي ليست في وادي ليّة ، ولا وادي ليّة هو قريب من هناك . وقال — ص ١١٧ — : إن المسافة من

المكان الذي كانت فيه سوق عكاظ الى مدينة الطائف في نحو من ساعة بسير الكهرباء .

٣ – رأي الأستاذ عبد الله فلبي :

قال الدكتور حسين هيكل باشا في كتاب « منزل الوحي » ص ٣٨٠ – : أما المستر فلبي فيرجح السيل الصغير موقعاً لعكاظ ، وقد وضعها على خريطته في مكان هذا السيل .

٤ – رأي الدكتور حسين هيكل باشا :

قال في « منزل الوحي » ص ٣٨١ – : انفرجت الجبال عن السيل الكبير ، فتخطت السيارة اليه ... واستدرنا بالسيارة فيما وراء الجبل ، ثم اعتدلنا نقطع بطناً من الأرض ... ووقفنا في موضع يقال له « الحُرّ » من واد يقال له « عَسَلة » وراء جبل سيمر « دما » وهبطنا من السيارة ، وسرنا خطوات ، ثم وقفنا عند آثار بناء في تخوم الأرض ، مستوية مع سطحها ، يدل وجودها على وجود عمارة قديمة في المكان ، تتألف من ثماني غرف حسنة البناء ، ليست في شيء من منازل البدو . قال صاحبي ، بعد ان زرنا هذه الآثار : أشهد أني أميل الى ترجيح قيام عكاظ بهذا المكان ، وأحسب هذه الغرف الفسيحة كانت مقام سادة السوق ، قلت : لعلك لم تبالغ اذ رجّحت – ثم وصف الدكتور البناء ، وقال – انه يرجّح عندي قيام عكاظ بهذا المكان ، وان لم يُقِم سنداً علمياً على هذا الترجيح – انتهى باختصار .

وهذه الآراء تدور حول موضعين : السيل الكبير ، المعروف قديماً بقرن المنازل ، في رأي الأستاذ الزركلي والدكتور محمد حسين هيكل ، والسيل الصغير ؛ الواقع بين الطائف وبين السيل الكبير – على مسافة تقرب من ثلاثين كيلو متراً من الطائف – في رأي المستر فلبي . وقد أغرب الأمير شكيب

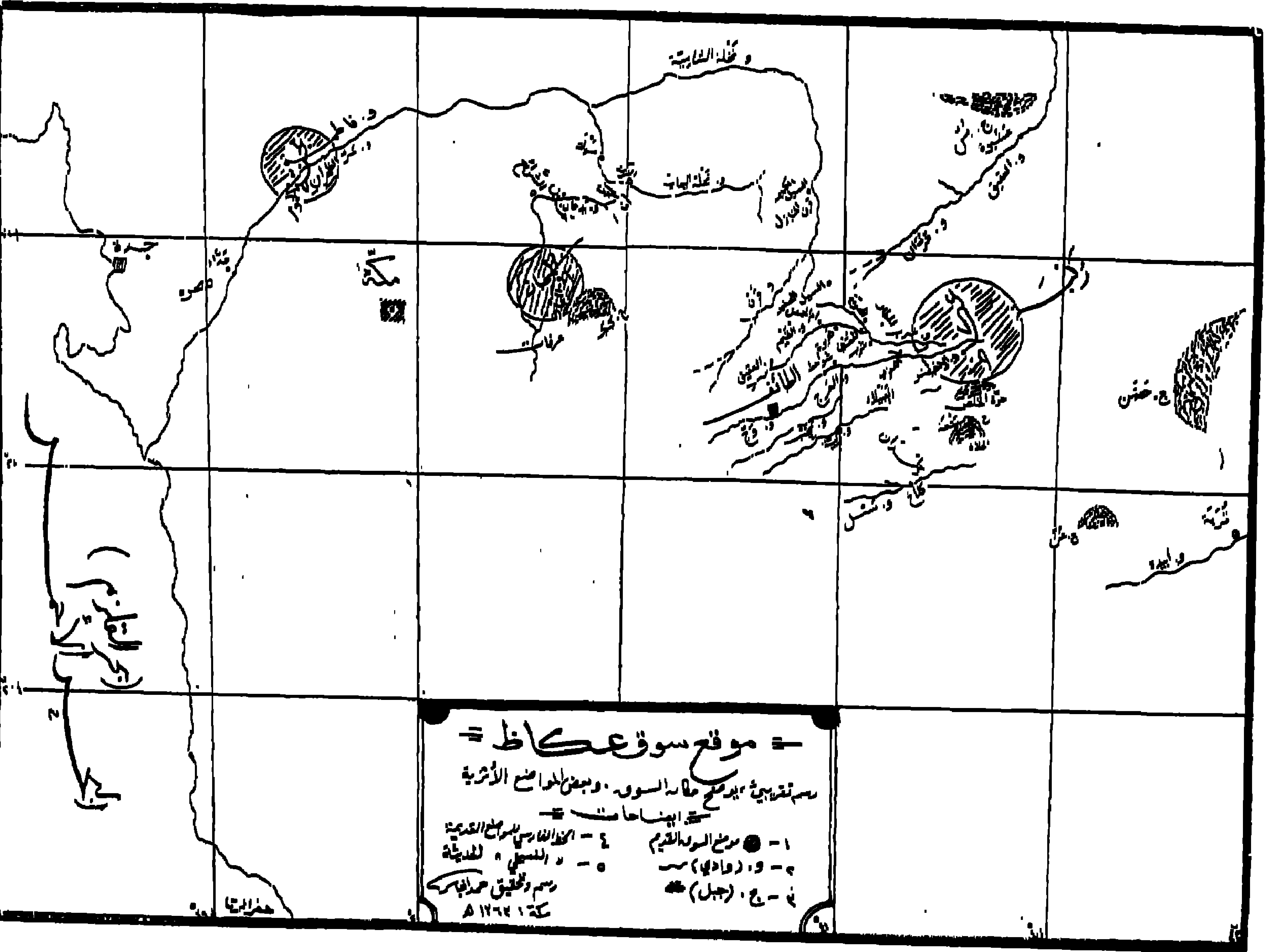
- رحمه الله - حينما حاول الجمع بين القولين بقوله بامكان اقامة السوق في الموضعين ، مرةً هنا ، ومرّةً هناك !

الخاتمة

هذه آراء بعض مشاهير متأخري الكتاب ، وتلك أقوال بعض متقدمي المؤرخين - من القرن الثاني الهجري الى القرن الثامن - وللباحث أن يدرسها وأن يقارن بينها ، لتظهر له الحقيقة ، وليرى أي الآراء أصوب ، وأي الأقوال أكثر انطباقاً ، وأوضح دلالة ، في تحديد ذلك الموضع التاريخي «عكاظ» .

وقد رسمتُ هذا البحث رسمًا مقربًا ، أوضحت فيه موقع عكاظ - في رأيي - وبيّنتُ بعض الأمكنة التي لا تزال معروفة بأسمائها في هذا العهد .

(الرياض) حمد الجاسر



= موقع سوق عكاظ =
رسم تقريبي يوضح مكان السوق . وبعض المواضع الأثرية
= ايضاحات =
١ – ● موضع السوق القديم
٢ – و . (وادي)
٣ – ج . (جبل)
٤ – الخط الفارسي للمواضع القديمة
٥ – " النسخي " الحديثة
رسم وتحقيق محمد المبارك
مكة ١٣٦٢ هـ
مكة
جدة
عرفات
الطائف
البحر الأحمر
(بحر القلزم)

إقالةُ عثرةٍ من عَثَرات الأقلام [1]

أو

بحثٌ طريفٌ في (أيّ) الشرطية

عددت من (عثرات أقلام) الصحافيين قولهم (لم يصدر عني أيُّ تصريح) فقلت إن (أي) لها معان واستعمالات عدة ، سردها صاحب (المغني) . واستعمال الكتّاب لها في مثل الجملة المذكورة ليس من تلك الاستعمالات في شيء . والأفصح أن يستعاض عن (أي) في مثل تلك الجملة بحرف (ما) التي تفيد المبالغة في الإبهام والتنكير : فيقال (لم يصدر عني تصريحٌ ما) .

على أنه اذا دقّق المرء النظر في مثل هذا التركيب وهو قوله : (لم يصدر عني أيُّ تصريح) وطريقةِ إرجاعه الى قواعد النحاة ـ وجده مختصراً أو منحوتا من كلامٍ أطول منه ـ وكأنّ الكتاب المصريين إنما عالجوا طوله بطريقة الاختزال المستعملة في هذا الزمن :

(أيّ) في التركيب المذكور لا يُمكن أن تكون استفهاميةً ولا اسمَ موصول ولا للدلالة على الكمال (زيدٌ رجلٌ أيُّ رجل) ولا وصلةً لنداء الاسم المحلّى بأل (يا أيُّها الرجل) بقي من المعاني الخمسة التي ذكرها (المُغني) (أيّ) الشرطية الجازمة . وبعد التأمل وجدت أنه يمكن ارجاع (أي) في مثل قولهم (لم يصدر عني أيُّ تصريح) الى (أي) الشرطيّة هذه . ويتأوّلون

(١) إحدى محاضرات الأستاذ المغربي التي ألقاها في مجمع فؤاد الأول اللغوي المصري في جلسته المنعقدة في ٣ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٥١ م وتلوها ما قاله اعضاء المجمع في موضوعها .

لها بقولهم : (أيًّا تفعلْ أفعلْ) : فأيّ الشرطية تتركب جملتها من فعلين يأتيان بعدها ، مجزومين بها ، وهي منصوبة بفعل الشرط الذي بعدها ، ولها الصدارة في جملتها ، فأصل (أيًّا تفعل أفعل) : (تفعل أيًّا أنت أفعله أنا) والتنوين في (أيًّا) عوض عن محذوف استُغني عنه بدلالة المقام : تقديره (أيَّ شيءٍ تفعلْ أفعلْ) ويُلحقون بأي هذه حرف (ما) فيقولون : أيًّا ما تفعل أفعل . وقال شراح الألفية إن (ما) هذه صلة (أي زائدة) لتأكيد الإبهام في (أي) ويريدون بالإبهام التنكير ، ويجوز التصريح بالمضاف اليه المحذوف . فتقول مثلاً : (أيَّ طعامٍ تأكلْ آكل) واذ كان (طعام) نكرة مستغرقة لجميع أنواع الأطعمة جاز ان يكون المضاف اليه جمعًا فتقول : أيَّ أطعمة تأكلْ آكل ، وأيَّ لحوم تأكلْ آكل ، وقد يُعرَّف المضاف اليه بأل الدالة على الجنس أو الاستغراق ، فتقول : أيَّ الأطعمةِ وأيَّ اللحوم . وانما جاز ذلك لوجود الابهام والتنكير في الأطعمة واللحوم ، حتى لو قلتَ أيَّ اللحمين ـ لحم سمكٍ أو لحم طير ـ تأكلْ آكل جاز أيضًا : لأن التثنية أو الاثنينية لا تمنع التردّد والابهام في المأكول ما دام غيرَ معين بذاته : إذ أن (ال) في اللحمين للعهد الذهني المُفيد للتنكير ، على حدّ ما ذكره النُحاة في مثالهم المشهور : (انزلْ السوق واشترِ اللحم) وكما يُحذف المضاف اليه اختصاراً فيقال (أيًّا تأكلْ آكلْ) يحذف جواب الشرط ، ففي آية (أيًّا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) تقديره أيَّ اسم تسمّوا الله به فهو حسن : فقولنا (فهو حسن) جوابُ الشرط حذف ودل عليه قوله تعالى : « فله الأسماء الحسنى » ، ومثله آية (أيَّ الأجلَيْنِ ما قضيتَ فلا عُدوان عليّ) وهي قراءة ذكرَها البيضاوي ، وقال إن (ما) الواقعة بعد(الأجلين) مزيدةٌ لتأكيد الفعل ، والقراءة المشهورة (أيَّما الأجلين قضيتَ) وجواب (أي) في هذه

الآية محذوف قدَّره البيضاوي بقوله (أيَّ الأجلين قضيتَ وفيتك إياه) وقد دل على ذلك المحذوف المقدَّر قوله تعالى (فلا عدوان عليَّ) أي لا يُعتدى عليَّ بطلب الزيادة . ومن هذا القبيل قولُ أبي الطيب المتنبي في فرسه .

(وأصرعُ أيَّ الوحشِ قفَّيتُه به وأنزلُ عنه مثله حين أركبُ)

(أيَّ الوحش) شرطية وقفّيته به (أي أتبعته به) فعل الشرط . وجوابه محذوف والتقدير : أيَّ الوحش أتبعتُه به أصرعْه . فَحَذَفَ جواب الشرط وهو (أصرعه) وأقام دليلاً عليه قولَه (أصرع) الواقعة قبل (أيّ) . وبذلك أفقدها حقَّها من الصدارة أو يقال إن ضرورة الشعر جوَّزت له ذلك .

وما قلناه في بيت أبي الطيب نقوله في بيت أبي تمام :

(هو البحر من أيِّ النواحي أتيته فلجته المعروف والجود ساحله)

يؤول بقولنا : أيّ النواحي تأته منها تجده أو تلقه بحراً . وقد حذف جواب الشرط لدلالة قوله في صدر البيت (هو البحر) عليه وأقام مقامه قوله (فلجته المعروف الخ) والإتيان بالفاء زاد الدلالة دلالة .

تحصل معنا أن جوابَ (أيّ) أعني جواب الشرط يُحذف اختصاراً . وهل يُحذف فعلُ الشرط نفسُه يا ترى ؟ لمْ أظفر له بمثال في كلامٍ فصيح . وهل يُحذفان معاً : أي فعل الشرط وجوابه ؟؟ لم أظفر له بمثال أيضاً . ولكن ما ذكرته آنفاً من الحذوف والاختزالات التي تقع في تراكيب (أيّ) الشرطية يُمهد لي سبيل الجرأة الى القول بأن ما أنكرته على الصحافيين والكتّاب المعاصرين من قولهم : (لم يصدر عني أيُّ تصريح) هو صحيح على تأويل جعل (أي) شرطية حُذف جوابها لدلالة المقام عليه وحُذف فعلها الشرطي نفسه أيضاً لدلالة قوله (لم يصدر) الواقع قبلها . ويكون أصل تركيب الجملة هكذا : (أيّ تصريحٍ نسبوه إليَّ لم يصدر عني) أو فهو باطل . أو فهو مختلَق ونحو ذلك : (أيُّ) شرطية

جازمة و (نبوه إليَّ) فعل الشرط حُذف لدلالة السياق عليه و (لم يصدر عني) جواب الشرط حُذف أيضاً لدلالة قوله قبله (لم يصدر عني) عليه كما دل قول المتنبي (وأصرعُ) على (اصرعه) الواقع جواباً للشرط في شعره السابق وهو

(وأصرعُ أيَّ الوحش قفيّته به وأنزل عنه مثله حين أركب)

هذا ماعندي أيها السادة في تأويل قولهم (لم يصدر عني أي تصريح) وهو كما ترون اختزال عجيب : هُدى اليه الصحافيُّون والكتّاب الذين تأثّروا بهم بطول ممارستهم الكتابة . واضطرارهم الى السرعة فيها . وليس في هذا الاختزال ما ينافي قواعدَ النحاة سوى سلب (أيّ) حقها في الصدارة . وربما كان المتنبي في قوله (وأصرعُ أيَّ الوحش) هو الذي جرّأ الصحفيين على مثل صنيعه واختزاله . وتكون هذه الجملة أي (أيّ تصريح) في اختزالها على نَمَط ما ورد في كلام العرب من الجُمل المختزلة أمثال (أيضاً) (فصاعداً) (وهلم جرّا) فان أصلها جمل ثم اختزلت .

وبناء على هذا إذا كَتَبَ احد الصحافيين في صحيفة له قوله (ولم تُنشر أيّةُ تفاصيل عن محتويات مذكّرة وزير خارجية انكلترا) ثم سُئل عن صحة هذا التعبير . كان له أن يجيب بأن (أيّة) شرطية جازمة لشرطها وجوابها وقد حذف فعل الشرط لدلالة السياق عليه كما حذف جواب الشرط أيضاً لدلالة قوله قبله (ولم تُنشر) ويكون أصل الجملة هكذا : أيّة تفاصيل يزعموا نشرها لم تُنشر .

مثال آخر : كنتُ قلتُ في بعض ما كتبتُه قديماً (وليدعوا الاستغاثةَ بالبشر . أو أيّةَ قوةٍ أخرى من القُوى والقُدَر) فيقال في تأويله (أو أيّة قوةٍ يستغيثوا بها يدعوها) .

وقال زميلنا الأستاذ ابراهيم مصطفى بك في محاضرته التي ألقاها في مؤتمر المجمع

(بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٥٠) وجعل عنوانها في أصول النحو - ما نصه (لم نجد في كتاب سيبويه أيّ رأيٍ نحوي منسوب الى أبي الأسود الدؤلي) تأويله (أيّ رأيٍ ينسبه إلى أبي الأسود لم نجده) وهكذا نؤول ما جاء في مصطلحات القانون الدولي التي أقرها المجمع بالأمس مذ عرّف لفظ (الوفاق) (Accord) فقال: (هو اصطلاح يُطلق على مختلف الاصطلاحات الدولية في أيّة صورةٍ كانت) وقوله أيضاً في تعريف (التوفيق) Conciliation (ومثل هذا الاقتراح ليس من شأنه أن يكون لأيّةٍ من الدولتين المتنازعتين).

وهذا الصنيع في اختزال جملة (لم يصدر عني أيُّ تصريح) والإلحاح عليها بالحذف والبتر حتى لم يبق منها سوى أداة الشرط - إن كان يُرضي أتباع النحاة المتسامحين من الصحفيين - فاني لا إخاله يُرضي أتباع الجاحظ من بلغاء الزمان وحماة لغة القرآن، الذين اذا نطقوا جملة (ولم تنشر أية تفاصيل عن محتويات المذكرة) اكتفوا بقولهم (ولم تنشر تفاصيل عن المذكرة) بحذف (أية). وإذا أرادوا فضل تأكيد قالوا (لم يُنشر تفصيلٌ ما عن المذكرة) بزيادة (ما) التي تفيد المبالغة في الإبهام والتنكير فيستغنون بها عن (أي) مرةً واحدة.

انتهى أيها الاخوان ما تجرأت على إلقائه على مسامعكم من هذا الموضوع الذي أرجو أن تنظروا اليه بعين الاهتمام والسلام.

المغربي

وقد اطلع على هذا البحث زميلنا العلامة الفاضل الأستاذ ابراهيم مصطفى بك فكتب بخطه ما يلي: ١٨ يناير سنة ١٩٥٠.

قرأتُ هذا البحث الدقيق القيّم الواسع المحيط :

وأرى تخريج استعمال «أي» في مثل قولهم (لم يصدر مني أي تصريح) على أنها صفة لنكرة محذوفة أي لم يصدر تصريحٌ أيّ تصريح . ثم حذف الموصوف لفهمه ولتكرار لفظه .

وفي كتاب (ارتشاف الضرَب) في باب الموصول ما نصه :

«أي صفة لنكرة مذكورة نحو (مررت برجل أي رجل) فلا يكون الا نكرة . وقد جاء حذف موصوفها في قول الشاعر :

(اذا حارب الحجاج أيّ منافق) يريد (أي الشاعر) منافقاً أيّ منافق

وظاهر كلام ابن مالك جواز حذف موصوفها هكذا . وهذا عن أصحابنا في غاية الندور . وقالوا : فارقتْ (أيّ) سائر الصفات في أنه لا يجوز حذف موصوفها واقامتها مقامه لا تقول مررتُ بأيٍّ رجل) . اهـ بنصه

والارتشاف موجز جداً وتفصيله في (التذييل والتجميل بشرح التسهيل) لنفس المؤلف . ومن هذا نرى أن لبعض الاستعمالات أجلًا وإبّانا تكثُر ثم تندر . وقد تندُر ثم تكثر : كما ندر هذا الأسلوب عند المتقدمين حتى أنكره بعضهم . ثم شاع وألف حتى جرت به الأقلام بغير استنكار وحتى أبَى استنكاره بعضُ الكتّاب . وغضب ان يرد عليه .

حاشية :

(١) أعود فأقول إن سبب استنكار النُحاة حذفَ موصوف (أي) انهم قصروها على إفادة معنى الكمال في الموصوف وهو موضع تقتضي المبالغة فيه بذكر الموصوف — أما غيرهم فرأوا فيها أيضاً معنى الابها الذي يدل على كمال الدعوى لا كمال الموصوف . والله أعلم .

(٢) وفي الارتشاف أيضاً في نفس الباب :

«ولا تقع أي نكرة موصوفة فلا يجوز مررتُ بأيٍ معجبٍ لك وأجازه الأخفش» .

(٣) وقال :

وهي في الاستفهام والشرط بمنزلة (كل) مع النكرة وبمنزلة (بعض) مع المعرفة تقول : (أي رجال تضرب أضربهم) و (أيّ الرجال تضرب أضربه) . ابراهيم مصطفى

واننا أجد في هذه المناقشة ظاهرتين ـ الأولى دقة حسّ استاذنا المغربي بالأسلوب العربي القديم السليم حتى استنكرت أذنه ما أنكره المتقدمون وما قلّ في كلامهم ـ الثانية أن الكتّاب المحدثين أخذوا يُطلقون أقلامهم لا يُطيقون لها قيداً ما استطاعوا البيانَ وما رَسَمَتْ ألفاظهم معانيهم ـ ومن خصائص العربية هذه السعة والمطاوعة حتى عاشت الأجيال . وسايرت الأمم . وطغت بغير جهدٍ على كثيرٍ من اللغات . وفي مرونتها وطواعيتها سر خلودها وغلبتها .

ابراهيم مصطفى

وبعد أن أتم الأستاذ المغربي تلاوة بحثه في (أي) وقرأ الأستاذ ابراهيم مصطفى تعليقه المذكور عليه عاد أعضاء المجمع فأداروا الكلام حول البحث فقال:

الشيخ ابراهيم حمروش : ما ذكره الأستاذ ابراهيم بك مصطفى في توجيه قولهم (لم يصدر عني أي تصريح) لا ينطبق على قصد المتكلم من هذا التعبير : لأن المتكلم لا يقصد انه لم يصدر عنه تصريحٌ كامل بل أراد النفي المطلق . أما توجيه الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي فهو غير صالح أيضاً : لأن النُحاة لا يجيزون حذف الشرط والجواب إلا مع «ان» واستشهدوا بقول الشاعر :

(قالت بناتُ العم يا سلمى وإن كان فقيراً معدماً قالت وانْ)

الأستاذ ابراهيم بك مصطفى : حذفُ الموصوف للدلالة عليه كثير . وقد يكون أقرب من تقدير حذف الشرط والجواب وأما قولهم : ان (أي) يراد بها الكمال فهو تطور في تعبيرهم . انما المراد المبالغة في وصف الشيء أو كمال الموصوف في صفته . ومن هنا جاء معنى الاطلاق في (لم يصدر عني أي تصريح) معناه لم يصدر عني اي كلامٍ يمكن أن يسمى تصريحاً : على أوسع معاني كلمة «التصريح» وأقواها . والنُحاة أنفسهم يتسمحون في استعمال (أي)

موصولة مع انها لم ترد موصولة في القرآن الكريم الا في موضع واحد في قوله تعالى : (ثم لننزعنّ من كل شيعةٍ أيّهم أشد على الرحمن عتيا) وقد عدّها بعض المفسرين استفهامية ٠

وخلاصة القول : ان هذا الاستعمال (لم يصدر عني أي تصريح) صحيح سائغ ٠ واذا اختلفنا في التأويل فلكلٍ رأيه ٠

الأستاذ عباس محمود العقاد : أضاف الصحفيون الى اللغة العربية تلك العبارة ليدلوا على المعنى الذي تدل عليه كلمة Any في اللغة الانكليزية دون أن يُخلوا بالمعنى الأصلي لكلمة (أيّ) ولو لم يبتكروا هذا التعبير لبقي مقابل كلمة (Any) ناقصاً في العربية ٠ وليس من واجبنا أن نترك لغتنا عاجزةً عن الدلالة عما تدل عليه اللغات الحية الأخرى ٠

وكانت الساعة الأولى بعد الظهر فأعلن معالي الرئيس انتهاء الجلسة ٠

المغربي

الموفي في النحو الكوفي

للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي الحنفي

علق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

- ٨ -

إنّ وأخواتها : تنصب المبتدأ ، ذا فاعل كان (١) ، أو ذا خبر ، موافقاً كان أو مخالفاً ، نحو : إن زيداً قائم ، وكأنّ قائماً زيد ، وليت عندك عمرو (٢) .

---

(١) نحو : إنّ قائماً زيدٌ أو الزيدان ، والكوفيون جوزوا رفع الصفة الظاهر على أنه فاعل لها ، من غير اعتماد على الاستفهام أو النفي ، نحو قائم الزيدان ، كما يجيزون نحو : في الدار الزيدان بعمل الظرف بلا اعتماد ، فقائم وفي الدار كلاهما مبتدأ عند الكوفيين ، وزيد أو الزيدان فاعل أغنى عن الخبر ، فاذا دخلت (إنّ) أو احدى أخواتها نصبت المبتدأ وبقي الفاعل على حكمه ، وقد قال المؤلف في تعريف « المبتدأ الموافق ذي الفاعل » (ص ٢٩ من هذه الرسالة بشرحها) : هو شبه فعل أسند الى فاعله الظاهر ، وكتبت : « المراد بشبه الفعل : اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل والمنسوب » .

(٢) ذكر المؤلف هنا ثلاثة أمثلة ، فالأول : (إن زيداً قائم) مثال لنصب المبتدأ ذي الخبر الموافق « بإنّ » ، وهو ما كان عين المبتدأ في المعنى ، لأنّ معنى (قائم) ذات اتصفت بالقيام ، والمراد بها في هذا المثال ، (زيد) موصوفاً بالقيام ، والوصف في المعنى هو الموصوف ، وهذا معنى كون الخبر موافقاً . والثاني (كأنّ قائماً زيدٌ) مثال لنصب المبتدأ الموافق ذي الفاعل (بكأنّ) (وتقدم المراد بالموافق) وحكمه حكم الفعل مع فاعله الثالث (ليت عندك عمرو) —

« فإنَّ » لتحقيق مضمون الجملة و « أنَّ » لتأويلها بالمصدر [١] ، و « كأنَّ » للتشبيه ، و « لكنَّ » للاستدراك [٢] ، و « ليت » للتمني [٣] ، و « لعلَّ » للترجي [٤] ، ويجرّ بها في عُقيل [٥] .

— مثال المحلّ المخالف ، وهو « عندك » المنصوب « بكأنّ » . ولا يخفى أنّ لفظ « عندك » ليس هو عمراً في معناه ولذا سموه (المخالف) ، ففي (عندك عمرو) المحل أو المبتدأ الذي هو (عند) منصوب وناصبه معنوي وهو المخالفة ، فصار بعد دخول (ليت) منصوباً بعامل لفظي . وقد ينصب « ليت » الجزءين عند الفراء نحو ليت زيداً قائماً ، لأنّه بمعنى : (تمنيت) ومفعوله : مضمون الخبر ، مضافاً إلى الاسم ، نحو : تمنيت قيام زيد . (انظر ص ٤٥ من هذه الرسالة) .

(١) (إنَّ) هي موضوعة لتأكيد معنى الجملة فقط غير مغيرة لها ، و (أنَّ) المفتوحة موضوعة لتكون بتأويل مصدر خبرها مضافاً الى اسمها ، فمعنى بلغني أن زيداً قائم ، بلغني قيام زيد . (٢) هو تعقيب الكلام بنفي ما يتوهم ثبوته ، أو إثبات ما يتوهم نفيه ، قال الأشموني : وليست مركبة على الأصح ، وقال الكوفيون : مركبة من « لا » و « إنَّ » والكاف الزائدة لا التشبيهية ، وحذفت الهمزة تخفيفاً . (٣) أي في الممكن والمستحيل نحو : ليت لي مالاً فأحسن ، وليت الشباب عائد . (٤) الترجي في المحبوب نحو : « لعلَّ الله يحدث بعد ذلك أمراً » والإشفاق في المكروه ، نحو : (لعله أصابته حرفة الأدب !) وتكون عندهم للاستفهام نحو : « وما يدريك لعله يزكّى ؟ » . (٥) نحو :

فقلت ادع أُخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريبُ

وهو لكعب بن سعد الغنوي (نحو ١٠ ه) من قصيدة يرثي فيها أبا المغوار ، واسمه هرم ، والشاهد في قوله : (لعلّ) حيث جرّ بها لفظ (أبي) والجرّ بها لغة (عُقيل) وهو أبو قبيلة .

كما أنّ «متى» في هذيل حرف إضافة بمعنى «مِن» [1] . ولا يدخلن على الفعلية أبداً ، ولها الصدر [2] إلاّ أن المفتوحة ، لأن الجملة معها كالمفرد ، فتقع في محل المفرد ، كالفاعل ، والمفعول ، والمضاف اليه [3] ، والمفعول لغير

(١) كقول أبي ذؤيب الهذلي (توفي نحو ٢٧ هـ) يصف السحاب :

شربن بماء البحر ثمّ ترفعت متى لججٍ خضرٍ لهنّ نئيجُ

ترفعت : تصعدت وارتفعت . لجج : جمع لجة ، وهي معظم الماء . نئيج : صوت عال . والضمير في «شربن» للسحب ، وقد ضمّنه معنى رَوِين فعدّاه بالباء ، أو هي بمعنى (مِن) . و (متى) : حرف جر ، ولجج مجرور بها على لغة هذيل ، وهو الشاهد ، وجملة (لهن نئيج) صفة للجج ، أو حال من النون في شربن على زعم العرب . والمعنى : قال شراح هذا البيت إنه جاء على عقيدة العرب من أن السحب خراطيم تدنو من البحر في بعض الأماكن فتأخذ من مائه بصوت مزعج ، ثم تصعد في الجو ، فيعذب ذلك الماء ، وينتقل الى حيث يريد الله فينزل مطراً . ولا مانع من أن يكون ذلك كنايةً عن تصعد الماء بواسطة حرارة الشمس ، وتنقله من جهة الى أخرى بالهواء ، ثم نزوله على هيئة مطر ، وبذلك يتفق مع ما قرره علماء الطبيعة اهـ من منار السالك قلت : وهذا المعنى الأخير يتفق مع قول القائل :

كالبحر يمطره السحاب وما له فضل عليـه لأنه من مائه

(٢) كل ما يغير معنى الكلام ويؤثر في مضمونه وكان حرفاً فرتبته الصدر كحروف النفي ، وكحروف التنبيه ، والاستفهام ، والتشبيه ، والتحضيض ، والعرض ، وغير ذلك ، وانما لزم تصدير المغيِّر الدال على قسم من أقسام الكلام ، ليبني السامع ذلك الكلام من أول الأمر على ما قصد المتكلم .

(٣) لمّا كانت «أنّ المفتوحة» ـ مع جزئيها في تأويل المفرد ، لكونهـا مصدرية ـ وجب وقوعها مواقع المفردات كالفاعل والمفعول وخبر المبتدأ والمضاف اليه نحو : بلغني أنّك قائم ، أي قيامُك ، وعلمت أنك قائم أي علمت قيامك الخ .

قول وجوباً[١] . وجواب القسم بلا لام ، فيجوز كسرها ، والفتح أحسن[٢] ، وعن الطوال[٣] ايجاب الفتح . وتكسر في محل الجملة كالابتداء[٤] ، والصلة[٥] ، ومقول القول[٦] ، وما في خبره لام[٧] ، وما بعد واو الحال[٨] فان احتملها فوجهان نحو : مَن يأتي[٩] فاني أكرمه[١٠] . ولا تخفف

(١) إذا قُصد بالقول الاعتقاد الشامل للظن والعلم ، فإنها تفتح إذن كما تفتح بعد الظن والعلم ، وأما إذا قُصِد بالقول الحكاية ، فانها تكسر لأنه ابتداء الكلام المحكيّ . (٢) في الرضي الذي لخصنا عنه ما تقدم ، وكذا كسرت في جواب القسَم ، لأنه جملة لا محالة نحو : بالله إنك قائم ، (قال) وقد تفتح إنّ في جواب القسم عند المبرّد والكوفيين إذا لم يكن في خبرها اللام ، ولعلّ ذلك لتأويلهم لها بالمفرد ، أي أقسمت بالله على قيامك .

(٣) محمد بن أحمد بن عبد الله الطوال النحوي من اهل الكوفة ، أحد أصحاب الكسائي ، حدث عن الأصمعي ، وقدم بغداد ، وسمع منه ابو عمرو الدوري المقري ، قال ثعلب : وكان حاذقاً بالقاء العربية ، مات سنة ٢٣٤ هـ . (بغية الوعاة ص ٢٠) من الطبعة الأولى .

(٤) نحو : «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً» .

(٥) في التنزيل : «وآتيناه من الكنوز ما إنَّ مفاتحه لتنوء بالعصبة» (أي تثقلها) . (٦) نحو : «قال : إني عبد الله» .

(٧) نحو : «إن ربهم بهم يومئذ لخبير» . (٨) نحو : «كما أخرجك ربّك من بيتك بالحق ، وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون» .

(٩) في الأصل تأتيني ، وهو سهو .

(١٠) فالكسر على جعل «إنّ» ومعموليها جملة أجيب بها الشرط فكأنه قال : مَن يأتني فهو مكرم ، والفتح على جعل «أنّ» وصلتها مصدراً مبتدأ ، والخبر محذوف ، والتقدير : من يأتني فاكرامه موجود ، ومما جاء بالوجهين قوله —

المكسورة[1] ، وقد تخفف المفتوحة ، فتُلغى ، فتدخل الاسمية والفعلية[2] .
وأكثر دخولها على الفعلية بالسين أو سوف ، أو قد ، أو لا ، أو إنْ ، أو لن ، أو لم[3] .

تعالى « كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح ، فأنه غفور رحيم » قرئ (فأنه غفور رحيم) بالفتح ، والكسر ، فالكسر على جعلها جملة جواباً لمَن ، والفتح على جعل أن وصلتها مصدراً مبتدأ خبره محذوف والتقدير : (فالغفران جزاؤه) .

(١) في الرضي : ولا يجوز عند الكوفيين إعمال المخففة . وفي المغني : فان دخلت على الاسمية جاز إعمالها خلافاً للكوفيين وتعقبه الأمير فقال : وظاهره أنَّ خلافهم في الإعمال مع الموافقة على المخففة ، مع أنهم يجعلونها نافية ، ولام الفرق بمعنى « إلاّ » وفي منار السالك : نقل عن الكوفيين أنهم لا يجيزون تخفيف (إنْ) المكسورة ، ويؤلون ما ورد من ذلك على أنْ (إنْ) نافية ، واللام إيجابية بمعنى (إلاّ) . (٢) كتب الأستاذ الغلاييني رحمه الله : إذا خففت (أنْ) المفتوحة ، فذهب سيبويه والكوفيين أنها مهملة لا تعمل شيئاً ، لا في ظاهر ولا مضمر ، وتدخل حينئذ على الجمل الاسمية والفعلية ، وهذا ما يظهر أنه الحق ، وهو منهب لا تكلف فيه ، والجمهور يرون أنها عاملة كالمشددة ، غير أنَّ اسمها يجب أن يكون ضميراً محذوفاً ، ولا يجوز إظهاره إلاّ في الضرورة ، وفي قولهم ما فيه من التكلف اه باختصار قليل (ج ٢/٣٢٧) من جامع الدروس العربية .

(٣) إذا وقع خبر (أن) المخففة جملة اسمية لم يحتج الى فاصل ، فتقول : « علمت أنْ زيد قائم » وإنْ وقع خبرها جملة فعلية ، فان كان الفعل غير متصرف لم يؤت بفاصل نحو : « وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى » « وأن يكون عسى قد اقترب أجلهم » وإن كان متصرفاً دعاء لم يفصل أيضاً ،

ويحسُن دخولها بلا هاء أيضاً كقراءة ابن محيصن «لمن أراد أن يتمُّ الرضاعة» [1]
وقول الشاعر :

أن تقرآن على أسماء ويحكما مني السلام وأن لا تشعرا أحدا [2]

— نحو : «والخامسة (أنْ غَضِبَ الله عليها) في قراءة من قرأ بصيغة الماضي ، وإن لم يكن دعاء فقال قوم يجب أن يفصل بينهما إلا قليلاً ، وقالت فرقة منهم ابن مالك : يجوز الفصل وتركه ، والأحسن الفصل ، قال في الألفية :

وإن يكن فعل ولم يكن دعا ولم يكن تصريفه ممتنعا
فالأحسن الفصل بقد أو نفي أو تنفيس، أو لَو ، وقليل ذكر (لو)

ونحن الآن نتبع ترتيب «الموفي» في ذكر الشواهد على ما ذكر من الحروف الفاصلة نحو : «علم أن سيكونُ منكم مرضَى» .

واعلم فعلم المرء ينفعه أنْ سوف يأتي كلُّ ما قُدِرا

«ونعلمَ أنْ قد صَدَقتنا» «أفلا يرون أنْ لا يَرْجعُ إليهم قولاً» «أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه» «أيحسب أن لم يره أحد» ولم أر مثالاً للفصل بلن وانما رأيت بمَن . قال الرضي : أو بأداة الشرط نحو : (علمت أنْ مَن يضربك أضربه) أو برُبَّ نحو : (علمت أنْ رُبَّ خصم لي) على مذهب الكوفيين اهـ .

(١) برفع «يتمّ» . (٢) (ويح) كلمة ترحّم ، وقبل البيت :

يا صاحبيَّ فدت نفسي نفوسكما وحيثما كنتما لاقيتما رشَدَا
أن تحملا حاجة لي خف محملها وتصنعا نعمةً عندي بها ويدا

وهذه الأبيات لا يعرف لها قائل . في المغني : وزعم الكوفيون أنَّ (أنْ) هذه هي المخففة من الثقيلة ، شذَّ اتصالها بالفعل ، وقوله هذا ، بناء على أن الفصل واجب ، والذي في الخلاصة أنه أحسن «فقط» (وفي الأمير) وقال مؤلفنا هنا : وأكثر دخولها على الفعلية بالسين الخ أي ومن الأقل ، دخولها —

ويجوز رفع المعطوف على منصوبها نحو : إن زيداً وعمرو قائمان ، خلافاً للفرّاء فيما ظهر إعرابه ، دون ما خفي ، كقولنا : إن هذا وزيد قائمان [1] .

وقلّ إعمال « كأنْ » مخففة كقوله :

ويوماً توافينا بوجه مقسّم كأن ظبية تعطو إلى وارق السَّلَمْ [2] .

— على الفعلية من دون فصل ، ومنه قوله :

علموا أن يؤمّلون فجادوا قبل أن يسألوا بأعظم سُؤْل

والمعنى : علموا أن الناس يرجون معروفهم ، فلم يخيبوا رجاءهم ، ولم يحوجوهم الى السؤال بل تكرموا عليهم قبل أن يسألوهم شيئاً بأعظم مسئول . والشاهد في قوله : (علموا أن يؤملون) حيث استعمل فيه (أنْ) المخففة من الثقيلة ، ولم يفصل بين (أنْ) وجملة الخبر بفاصل من الفواصل المعروفة ، وهي ملغاة بالتخفيف لا عمل لها عند الكوفيين كما علمت .

(١) ذهب الفرّاء إلى أنه لا يجوز رفع المعطوف على منصوبها قبل تمام الخبر إلاّ فيما لم يظهر فيه عمل (إنّ) بأن يكون مبنياً كمثال المؤلف ، أو مقصوراً نحو : إن الفتى وسعيد متطلان ، ومثل ذلك لو خفي إعراب المعطوف نحو : إن محمداً ويحيى مسافران ، وانظر ما كتبناه في رفع تابع منصوب إنّ وأخواتها (ص ٤٥ و ٤٦) من هذه الرسالة .

(٢) هو لكعب بن أرقم اليشكري يذكر امرأته ويمدحها . توافينا ـ تأتينا . مقسّم ـ مُحَسَّن ، يقال : رجل قسيم الوجه ، أي جميله . تعطو ـ تتطاول إلى الشجر لتنال منه . وارق ـ مورق . السَّلَم ـ شجر ذو شوك ، واحدته سلمة .

والمعنى ان هذه المحبوبة تأتي الينا في بعض الأحايين بوجه نضر كأنها في قدها واعتدالها وخفتها ظبية تتناول الشجر المخصوص . قال في الأوضح : يروى (أي البيت) بالرفع على حذف الاسم أي كأنها (ظبية) وبالنصب على حذف الخبر ، أي كأنّ ظبية هذه المرأة ، وبالجر على أن الأصل كظبية ، وزيد «أنْ» بينهما .

وقوله: وصدر مشرق النحر كأنْ ثدييه حُقّان[1]

وقد رويا بالرفع ، وهو الأشهر[2] .

حروف العطف[3] : الواو لجمع بلا ترتيب[4] ، وقال بعضهم ترتب ، وهو منقول عن الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، وعن الشيخين أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي ، وأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء . وقيل إن النحاة اتفقوا على أنها لا ترتب[5] .

---

(١) البيت لم ينسب الى قائل معيَّن ، وهو أحد الأبيات الخمسين التي لم يعرف قائلها كما قال البغدادي في خزانته . النحر - أعلى الصدر أو موضع القلادة . حقان تثنية حقة بعد حذف التاء ، وهي الوعاء المعروف . والمعنى أن هذا الصدر مضيء عنقه ، كأن الثديين فيه حقان (من العاج) في الاستدارة والاكتناز وثدييه اسم (كأنْ) وحقان خبر .

(٢) أشرنا في البيت الأول الى وجوه الإعراب الثلاثة ، وعلى رواية الرفع في البيت الثاني ، يكون اسم (كأنْ) ضمير الشأن ، وثدياه مبتدأ وحقان خبر ، والجملة خبر كأنْ . وهذه الرواية أشهر كما قال المصنف .

(٣) أي عطف النَّسَق ، من نسقت الكلام ، إذا عطفت بعضه على بعض ، فالمعنى العطف الواقع في الكلام المنسوق بعضه على بعض ، بتوسط أحد الأحرف الآتي ذكرها . (٤) أي الاجتماع في الحكم بلا تقييد بمعية أو زمان أو مكان ، لا دليل في الواو على شيء منها . (٥) هذا مذهب جميع البصريين والكوفيين ونقل بعضهم عن الفراء والكسائي وثعلب والربعي وابن درستويه - وبه قال بعض الفقهاء - انها للترتيب . دليل الجمهور ، استعمالها فيما يستحيل فيه الترتيب نحو : المال بين زيد وعمرو ، وتخاصم زيد وعمرو ، وفي التنزيل : « واسجدي واركعي » (انظر الرضي ٢/٣٣٨) .

والفاء للتعقيب[١]، وثم للتراخي[٢]، وأو وأم لواحد منهم[٣] . وتجيء أو للإضراب[٤]،

---

(١) هو أن يكون المعطوف بها متصلاً بلا مهلة ، والتعقيب في كل شيء بحسبه نحو : « أماته فأقبره » ونحو : « فوكزه موسى فقضى عليه » .

(٢) نحو : « أماته فأقبره ثم إذا شاء أنشره » .

(٣) أي لامتناع الجمع بين المتعاطفين في التخيير كقوله : تزوج هنداً أو أختها . وبعد الخبر الشك نحو : « لبثنا يوماً أو بعض يوم » أو للإبهام نحو : « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » والمعنى أن احد الفريقين منا ومنكم لثابت له احد الأمرين كونه على هدى أو كونه في ضلال مبين ، وأخرج الكلام في صورة الاحتمال ـ مع أنَّ مَن وحّد الله وعبده فهو على هدى ، وأنَّ مَن عبد غيره فهو في ضلال مبين ـ توطيناً لنفس المخاطب ليكون أقبل لما يُلقى إليه . (منار السالك) . (٤) في الأوضح : وللإضراب عند الكوفيين وأبي علي ، حكى الفراء : اذهب الى زيد ، أو دع ذلك فلا تبرح اليوم (فأو للإضراب بمعنى بل) . وبمعنى (الواو) عند الكوفيين ، وذلك عند أمن اللبس كقوله :

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم ما بين ملجم مهره أو سافع

وهو لحميد بن ثور (في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي أنه مات في حدود السبعين للهجرة ، وفي معجم الأدباء لياقوت : مات حميد بن ثور في خلافة عثمان رضي الله عنه ج ١١ ص ١٣) أو سافع : آخذ بناصية فرسه . و (أو) هنا بمعنى الواو ، لان البينية من المعاني النسبية التي لا يعطف فيها إلا بالواو ـ وهو الشاهد . والمعنى أن هؤلاء القوم أولو شجاعة ونجدة ، اذا سمعوا صوت المستغيث أسرعوا لإجابته ، فبعضهم يلجم الأمهار ، والآخر يأخذ بنواصيها (المنار) .

ومثلها الواو مع إمّا [١] ، و (بل) لإيجاب النفي ، فلا يعطف بها على الثبيت [٢] . و (لكن) للاستدراك [٣] . و (أم) المتصلة لا تفارق الهمزة

(١) عبارة الكافية : وأو وإما وأم لأحد الأمرين مبهماً ، وأم المتصلة لازمة لهمزة الاستفهام يليها أحدُ المستويين ، والآخر الهمزة بعد ثبوت أحدهما لطلب التعيين ، ومن ثم لم يجز : أرأيت زيداً أم عمراً ، ومن ثم كان جوابها بالتعيين دون نعم أو لا . والمنقطعة كـ « بل » الخ .

وفي الشرح : اعلم أن الاحرف الثلاثة لأحد الأمرين أو أحد الأمور ، وأو وإما العاطفتان في المعنى سواء ، إلا في شيء واحد ، وهو أن (أو) يجيء بمعنى إلى أو إلا ، وتجيء (أو) للاضراب بمعنى (بل) .

وفي الأوضح وشرحه : وزعم أكثر النحويين أن (إمّا) الثانية في الطلب والخبر ـ نحو : تزوج إمّا هنداً وإمّا أختها ، وجاءني إمّا زيد وإمّا عمرو ـ بمنزلة (أو) في العطف والمعنى ، فتكون بعد الطلب للتخيير والإباحة ، وبعد الخبر للشك والإبهام ، والتفصيل نحو : « إمّا شاكراً وإمّا كفوراً » والواو زائدة لازمة . (٢) قال المغني : ومنع الكوفيون أن يعطف بها بعد غير النفي وشبهه ، قال هشام : محال : ضربت زيداً ، بل إياك اهـ ومنعهم ذلك مع سعة روايتهم دليل على قلته . وفي ابن عقيل : يعطف بل في النفي والنهي فتكون كلكن في أنها تقرر حكم ما قبلها وتثبت نقيضه لما بعدها نحو : (ما قام زيد بل عمرو ، ولا تضرب زيداً بل عمراً) .

(٣) وفي ابن عقيل عند قول الناظم : « وأولِ (لكن) نفياً أو نهياً » البيت أي : إنما يعطف (بلكن) بعد النفي ، نحو : (ما ضربت زيداً لكن عمراً) وبعد النهي نحو : (لا تضرب زيداً لكن عمراً) وفي الرضي : أجاز الكوفيون مجيء لكن العاطفة للمفرد بعد الموجب أيضاً نحو : جاءني زيد لكن عمرو ، حملاً على (بل) .

الاستفهامية (١) ، والمنقطعة للإضراب مع الشك في الثاني (٢) ، و (إما) يجب تكرارها خلافاً للفراء (٣) . وقد يجيء (أو) بمعنى الواو كقوله (٤) :

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قتلت أولادي

ومن العواطف : (أي) للتفسير (٥) و (إلاّ) المثبتة (٦) .

---

(١) تقدم قول الكافية (وأم المتصلة لازمة لهمزة الاستفهام) الخ وفي المغني : أم المتصلة التي تستحق الجواب إنما تجاب بالتعيين لأنها سؤال عنه ، فاذا قيل : أزيد عندك أم عمرو ، قيل في الجواب زيد أو قيل عمرو ، ولا يقال (لا) ولا نعم .

(٢) قال الفراء يقولون : هل لك قِبَلنا حق أم أنت رجل ظالم ؟ يريدون بل أنت . ونقل ابن الشجري عن جميع البصريين أنها أبداً بمعنى بل والهمزة جميعاً ، وان الكوفيين خالفوهم في ذلك قال ابن هشام في المغني : والذي يظهر لي قولهم ، إذ المعنى في « أم جعلوا لله شركاء » ليس على الاستفهام (١/ ٤٠) .

(٣) في المغني : « إمّا » يبنى الكلام معها من أول الأمر على ما جيء بها لأجله من شك أو غيره ، ولذلك وجب تكرارها في غير ندور ... وقد يستغنى عن (إمّا) الثانية بذكر ما يغني عنها نحو : إمّا أن تتكلم بخير وإلاّ فاسكت . ... وقد يستغنى عن الأولى لفظاً ، وبعد أن أورد شاهدين لذلك (قال) : والفراء يقيسه فيجيز : زيد يقوم وإمّا يقعد ، كما يجوز أو يقعد .

(٤) أي جرير ، يمدح معاوية بن هشام بن عبد الملك ، وقبله :

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم لم أحص عدّتهم إلاّ بعدّاد

والعيال جمع عيّل بوزن سيد ، وهو من عاله يعوله : إذا قام بمصالحه ، وبرمت : تعبت وزناً ومعنى . وقد أورده في المغني شاهداً للكوفيين على أن (أو) تأتي للإضراب ، (١/٥٨) . (٥) تقول : عندي عسجد أي ذهب ، وغضنفر أي أسد .

(٦) وهي عندهم بمنزلة (لا) العاطفة في أن ما بعدها مخالف لما قبلها ، لكن ذاك منفي بعد إيجاب ، وهذا موجب بعد نفي .

حروف الشرط : إنْ لمستقبل غالباً ، وإن دخلت على الماضي[١] .
وقد تفتح همزتها[٢] ولو للماضي[٣]

(١) يعني سواء دخلت على المضارع أو الماضي ، وكذا (لو) للمضي على أيهما دخلت قال تعالى : «لو يطيعكم في كثير من الأمر» هذا وضعها كما مرّ في الظروف المبنية (٢/ ٣٦٢ الرضي) . وقد تستعمل (إن) الشرطية في الماضي على أحد ثلاثة أوجه : إمّا على أن يجوز المتكلم وقوع الجزاء ولا وقوعه فيه ، كقوله تعالى : «إنْ كان قميصه قُدَّ من قُبُلٍ فصدقت» وإمّا على القطع بعدمه فيه ، وذلك المعنى الموضوع له (لو) كقوله تعالى : «إن كنت قلتُهُ فقد علمتَه» وإما على القطع بوجوده نحو : زيد وان كان فقيراً لكنه كريم ، وأنت وإن غضبت حليم ، واستعمالها في الماضي على خلاف وضعها انظر الرضي (٢/١٠٣) . (٢) في المغني : (تنبيه) وقد ذكر (لأنْ) معان أربعة أخر ، (أحدها) الشرطية كإنْ المكسورة ، واليه ذهب الكوفيون وفي الرضي : والكوفيون جوزوا جزمه بأن المفتوحة الشرطية .

(٣) ذكر المغني لها أوجهاً خمسة (أحدها) : لو المستعملة في نحو : لو جاءني لأكرمته ، وهذه تفيد ثلاثة أمور أحدها الشرطية ، أعني عقد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها . (والثاني) : تقييد الشرطية بالزمن الماضي (قال) : وبهذا الوجه وما يذكر بعده فارقت (إنْ) فانَّ تلك لعقد السببية والمسببية في المستقبل ، ولهذا قالوا الشرط (بإنْ) سابق على الشرط (بلو) وذلك لأنَّ الزمن المستقبل سابق على الزمن الماضي ، عكس ما يتوهم المبتدئون ، ألا ترى أنك تقول : إنْ جئتني غداً أكرمتك ، فاذا انقضى الغد ولم يجيْ قلت : لو جئتني أمس أكرمتك . (الثالث) : الامتناع ، وقد اختلف النحاة في افادتها له ، وكيفية افادتها إياه على ثلاثة أقوال الخ (١/ ٦٨٩) .

وكثر اللام في جوابها (١) . وتدخلان على الفعلية والاسمية (٢) . و «أما» لتفصيل ما أجمل في الذكر أو الذهن (٣) .

حروف الاستفهام : الهمزة وهل ، ولها الصدر (٤) . والهمزة تكون للإنكار (٥) . ويجوز حذفها كقوله «شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر (٦)»

(١) نحو: «لو نشاء لجعلناه حطاما» ومن تجرده منها : «لو نشاء جعلناه أجاجا» .

(٢) أمّا دخولها على الجملة الفعلية فقد رأيت أمثلته هنا ، وأما دخولها على الاسمية فقد تقدم بحثه في آخر الكلام على (الجوازم) عند قول المؤلف : ويجوز أن يكون الشرط جملة اسمية نحو : «إن امرؤ هلك» . (ص ١٢٢) .

(٣) نحو قولك : هؤلاء فضلاء : أما زيد فعالم ، وأما عمرو فأديب ، وأما بشر فطبيب . (٤) وتدخلان على الجملة الاسمية والفعلية نحو : (أخالد شجاع أم سعيد) ؟ ونحو : أتعلّم خليل ؟ وهل عليّ مجتهد ؟ وهل قرأت النحو ؟ (٥) نحو : «أتعبدون ما تنحتون» «أغير الله تدعون» ؟

(٦) أوله : «لعمري ما أدري وإن كنت دارياً» والهمزة مقدّرة قبل (أم) المتصلة ، والأصل : أشعيث بالهمز في أوله ، والتنوين في آخره ، فحذفها للضرورة ، والمعنى : ما أدري أي النسبين هو الصحيح . وقوله : شعيث ، مصغر ، ومنقر (بوزن درهم) من تميم ، ينتسب له شعيث . وأما سهم ، فمن قيس . أراد الشاعر هجوهم بأنهم أدعياء في نسبهم اخلاط . والبيت للاسود بن يعفر (مات نحو سنة ٢٢ قبل هـ) . ومثله قول المتنبي :

أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا والبين جار على ضعفي وما عدلا

أحيا فعل مضارع ، والأصل أأحيا ، فحذفت همزة الاستفهام ، والواو للحال ، والمعنى : التعجب من حياته يقول : كيف أحيا وأقل شيء قاسيته قد قتل غيري ؟ وذكر المغني له شواهد أخرى (٢/ ٣٦١) .

ويحسن دخولها على الاسم مع وجود الفعل ، بخلاف هل في الكل [١] .

حروف الايجاب : (بَلَى) لإيجاب النفي [٢] ، و (نعم) للتقرير [٣] ، و (إي) كنعم ، ويختص القسم المحذوف فعله [٤] ، وأجل [٥] ،

(١) لا شك أن الهمزة أعم تصرفاً ، أي إنها تستعمل فيما لم تستعمل فيه (هل) ، ويراجع بحثها في الرضي ، وقال النحاة ان (هل) أصلها (قد) وهي من لوازم الافعال ، فان رأت فعلاً في حيّزها مالت إليه ودخلت عليه ، كما قال الشاعر الغزل :

مليحة عشقت ظبياً حوى حورا   فمذ رأته سعت فوراً لخدمته
كـ(هل) إذا ما رأت فعلاً بحيّزها   حنت إليه ولا ترضى بفرقته !

(٢) أي إن (بلى) تنقض النفي المتقدم سواء كان ذلك النفي مجرداً ، نحو : بلى في جواب من قال : ما قام زيد . أي بلى قد قام ، أو كان ذلك النفي مقروناً باستفهام ، فهي إذن لنقض النفي الذي بعد ذلك الاستفهام كقوله تعالى : « ألست بربكم قالوا بلى » أي بلى أنت ربنا . قال في المغني : واعلم أن تسمية الاستفهام في الآية تقريراً عبارة جماعة ، ومرادهم أنه تقرير بما بعد النفي .

(٣) أي مقررة لما سبقها ، أي مثبتة ، سواء كان موجباً نحو (نعم) في جواب من قال : قام زيد ، أي نعم قام . أو منفياً نحو : نعم في جواب مَن قال ما قام زيد أي نعم ما قام .

(٤) نحو : « إي وربي إنه لحق » وفعل القسم محذوف .

(٥) جواب مثل نعم ، فيكون تصديقاً للمخبر ، واعلاماً للمستخبر ، ووعداً للطالب ، نحو : حضر الأستاذ . وهل حضر الأستاذ ؟ ونحو : « اجتهد في دروسك » فتقول : أجل في ذلك كله كما تقول : نعم .

وجير[1] ، وإنَّ[2] .

حروف النفي : لم ولمَّا ، لقلب المضارع ماضياً[3] ؛ ولا ، للماضي المتكرر[4] ، والمستقبل[5] ، وورد للحال[6] ، ولن ، للاستقبال بلا تأبيد

(١) في الرضي : ويقوم مقام الجملة القسمية أيضاً بعض حروف التصديق ، وهو (جير) بمعنى : نعم ، والجامع أن التصديق ، توكيد وتوثيق ، كالقَسَم ، تقول : جير لأفعلن كأنك قلت : نعم والله لأفعلنَّ ، وهي مبنية على الكسر ، وقد يفتح ككيف .

(٢) نحو قوله :

ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت إنَّـه

وهي حرف جواب بمعنى : نعم ، والبيت لعبد الله بن قيس الرقيات ، مدح عبد الملك بن مروان ، ومصعب بن الزبير ، ولقب بالرقيات لأنه تغزل بنسوة اسم كلهن (رقية) وقبله :

بكر العواذل في الصَّبو ح يلمنني وألومهنَّهْ

وبكر بالتخفيف : خاص بأول النهار . والهاء هاء السكت .

(٣) أي قلب معنى الفعل المضارع للمضيّ ، ويجوز انقطاع نفي منفي «لم» ، ومن ثَمَّ جاز : لم يكن ثم كان ، وامتنع في (لمَّا) وقد تقدم هذا في بحث الجوازم (ص ١١٨) من هذه الرسالة .

(٤) نحو : «فلا صَدَّق ولا صلَّى» .

(٥) في المغني : وان كان ما دخلت عليه فعلاً مضارعاً لم يجب تكرارها ، نحو : «لا يحب الله الجهر بالسوء» . (٦) ويتخلص المضارع بها للاستقبال عند الأكثرين وخالفهم ابن مالك لصحة قولك جاء زيد لا يتكلم ، بالاتفاق ، مع الاتفاق على ان الجملة الحالية لا تصدر بدليل استقبال . اهـ

ولا تأكيد [1] . وما وإن ، للحال ، والماضي القريب منها [2] .

حروف الاستثناء : إلاّ ، واللام ، بعد (إنْ) النافية ، كقوله :

شلت يمينك إنْ قتلت لمسلما حلت عليك عقوبة المتعمد [3]

ونصب « كُلاًّ » في قراءة « وإنْ كُلاًّ لمّا لَيُوَفِّيَنَّهم » بتقدير : (أرى) [4] .

(يتبع) محمد بهجة البيطار

---

(١) تقدم مثل هذا للمؤلف في نواصب الفعل المضارع . (ص ١١٤)

(٢) نحو : « وما تنفقون إلاّ ابتغاء وجه الله » « وإنْ أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين » « إن أردنا إلاّ الحسنى » .

(٣) قائلة هذا القول هي عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل صحابية مبايعة مهاجرة ، أخت سعيد أحد العشرة . تخاطب به عمرو بن جرموز قاتل الزبير ابن العوّام ، في وقعة الجمل (أو قبلها) . شلت : يبست وجمدت والقصد : الدعاء على القاتل . حلت : وجبت . والمعنى : أشل الله يدك أيها القاتل ، لأنك قتلت مسلماً ، ووجبت عليك عقوبة متعمد القتل : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً . . . الآية) .

وفي منار المسالك : نقل عن الكوفيين أنهم لا يجيزون تخفيف (إنّ) المكسورة ، ويؤولون ما ورد من ذلك على أنّ (إنْ) نافية ، واللام إيجابية بمعنى (إلاّ) .

(٤) الكوفيون يجعلون (إنْ) نافية ، ويقدرون فعلا ، أي : وما أرى كُلاًّ إلاّ ليوفينّهم ، و (ما) صلة ، أو نكرة بمعنى حقا .

الجزء الثاني

من

الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة

للشيخ نجم الدين الغزي

— ٤ —

ص ٢٠٠ : ٢٢ — مسبياً ببابه .

الصواب : «مسبياً بباب اليزيد» شذ (٢٢٢) .

ص ٢٠١ : ٢ — واليك مرجعنا بأمر حازم .

الصواب : «بأمر جازم» شذ (٢٢٢) .

ص ٢٠١ : ٤ — وعصيت في تمهيد امرّ وحدتي .

الصواب : «وعصيت في جهل الشباب وجدتي» شذ (٢٢٢) .

ص ٢٠١ : ٥ — آنس ميتتي في القبور وجدتي .

الصواب : «آنس ميتتي في القبور ووحدتي» شذ (٢٢٣) .

ص ٢٠١ : ١٤ — علي بن محمد بن عز الدين بن محمد الصغير .

الصواب : «علي بن احمد بن محمد بن» شذ (٢٢٣) ولأن اسم محمد بعد علي قد مضى . ثم أتى بعد ذلك : علي بن احمد كما في الاسم الذي قبله وبعده . ومع ذلك فهذا النسب مشوش حتى في الشذرات .

ص ٢٠١ : ١٦ — بمكتب العدل .

الصواب : «بمكتب العدول» شذ (٢٢٣) أي الشهود العدول .

ص ٢٠٢ : ٩ — الى حلفاء الشيخ . وعلق عليها : في الأصل خلفات . .

الصواب : «الى خلفاء الشيخ» والخلفاء جمع خليفة . والخليفة عند الصوفية

هو الذي يخلف شيخه بعد موته بالارشاد ويكون ذلك باجازة من الشيخ قبل وفاته .

ص٢٠٣ : ٥ — وذكر الشعراوي في طبقاته .

الصواب : «وذكره الشعراوي في طبقاته» .

ص ٢٠٣ : ١٥ — قال فتكفل علي بذلك .

الصواب : «قال فتقل علي ذلك» .

ص ٢٠٤ : ١٤ — واذا تألف بارق من بارق .

الصواب : «واذا تألق بارق من بارق» .

ص ٢٠٥ : ٢ — ابن ماجة .

الصواب : «ابن ماجه» بالهاء .

ص ٢٠٥ : ١١ — من طريق بحر التيسير .

الصواب : «من طريق التيسير» .

ص ٢٠٦ : ٢١ — في مدرسة تتم بمحلة ميدان الحصا .

الصواب : «في مدرسة تم بمحلة ميدان الحصا» .

ص ٢٠٦ : ٢٢ — وأستجازه وآجازه .

الصواب : «واستجاره فأجازه» .

ص ٢٠٧ : ١٨ — من مستهام فعاداه الى الأجل .

الصواب : «من مستهام فقاداه الى الأجل» شذ (٢١٨) .

ص ٢٠٧ : ٢٣ — ان تقطعوا بالنزام الود ماحيلي .

الصواب : «ان تقطعوا بانصرام الود ماحيلي» شذ (٢١٨) .

ص ٢٠٨ : ١ — ماحلت عنكم ولا أبغى لكم بدلاً .

الصواب : «ولا أبتي بكم بدلاً» شذ (٢١٨) .

ص ٢٠٩ : ١٩ — ناصحاً صحباً وعشرة .

الصواب : «ناصحاً صحْباً وعترة» وعترته أهل بيته .

ص ٢٠٩ : ٢٠ — ضعف الفي -الف مرة .

الصواب : « ضعف الف الفَ مرة » .

ص ٢١٠ : ٢٧ — تحصل .

الصواب : « حصل » .

ص ٢١١ : ١٨ — تـكلم بعض الناس .

الصواب : « كلم بعضَ الناس » .

ص ٢١٢ : ١١ — فجاءنا .

الصواب : « فجاء » .

ص ٢١٣ : ٢٦ — وجرّحوه بما هو بريء منه .

الصواب : « وجرحوه » بالتخفيف لا بالتشديد .

ص ٢١٤ : ١٩ — ارتـكبه ديون .

الصواب : « ارتـكبته ديون » .

ص ٢١٤ : ٢٠ — قيل شاهد سيدي اسحاق وانا شاهد نوراً طلع من عنده .

الصواب : « قيل شاهد سيدي اسحاق وشاهد نوراً طلع من عنده » .

ص ٢١٩ : ٥ — تخط بين السورين .

الصواب : « يخط بين السورين » .

ص ٢١٩ : ٦ — يقول الفسقية التي فيها اودك تسع احداً .

الصواب : « يقول : الفسقية التي فيها اولادك تسع احـداً » بدليل قوله س (١٩ — ٢٠) فليس معه احد مدفوناً سوى ولدي محمد الأول واخوه عبد الرحمن فانهما دفنا قبله بسنتين .

ص ٢٢٠ : ٨ — بباب الخرق .

الصواب : « بباب الخلق » محلة معروفة بهذا الاسم الى عصرنا . هذا بالقاهرة . وفيها دار الكتب المصرية ومطبعتها .

ص ٢٢٠ : ١٨ — لا تجد احداً من الخلق يشـكون له .

الصواب : « لا يجد احداً من الخلق يشـكو له » .

ص ٢٢٣ : ١٩ — يتكسب بالشهادة بمركز المدول المشهور قديماً بمكتب الصوفي .
الصواب : « يتكسب بالشهادة بمكتب العدول المشهور قديماً بمكتب الصوفي »
وتقدم الكلام عنه .

ص ٢٢٤ : ١٧ — وقد زادت شيوخه في الحديث بالسماع والاجازة والاجازة الخاصة على مئتين وبالاجازة العامة دون السماع والاجازة الخاصة على مئة .
الصواب : « وقد زادت شيوخه بالسماع على مئتين ، وبالاجازة العامة دون السماع ، والاجازة الخاصة على مئة » . شذ (٢١٩) وهي أحسن انسجاماً .

ص ٢٢٥ : ١٥ — يضارب به برجل . وعلق عليها : في الاصل : رجلاً .
الصواب : « يضارب به رجلاً » كما في الأصل ، ويضارب بمعنى يشارك ، والمضاربة نوع من الشركة لها أحكام وحدود في كتب الفقه .

ص ٢٢٥ : ١٦ — ومختصر تنبيه الوسنان .
الصواب : « ومختصره تنبيه الوسنان » شذ (٢١٩) .

ص ٢٢٥ : ١٧ — منتي الراهب في روض الطالب .
الصواب : « منتي الراغب في روض الطالب » شذ (٢١٩) .

ص ٢٢٥ : ٢١ — المتخب المرضي من مسند الشافعي . علق عليها : كذا في الاصل ولعل الضاد محرفة عن عين .
الصواب ما في الأصل كما في شذ (٢١٩) والمعنى واضح منسجم .

ص ٢٢٦ : ٢ — النبذة الزكية فيما يتعلق بذكر انطاكية .
الصواب : « النبذة الزاكية فيما يتعلق بذكر انطاكية » شذ (٢٢٠) .

ص ٢٢٧ : ١٥ — معروف الجبرتي .... امام الصابونية .
الصواب : « معروف الجبرتي .... امام الصابونية » شذ (٢٦٦) والجبرتي نسبة الى جبرت وهي بلاد الزيلع في الحبشة وتعرف في عصرنا بالصومال . ومن شرط المدرسة الصابونية ان يكون إمامها من الطائفة الجبرتية . انظر تنبيه الطالب للنعيمي ص ١٤ .

ص ٢٢٧ : ٢٤ — طارح التكليف .

الصواب : «طارحاً التكلف» شذ (٢٩٧) .

ص ٢٢٨ : ٢١ — لا يكثر بالدنيا .

الصواب : «لا يكترث بالدنيا» .

ص ٢٢٩ : ٩ — المقيم بالزقوقية .

الصواب : «المقيم بالبرقوقية» (شذ ٢٦٩) .

ص ٢٢٩ : ١٠ — وكان يقول مذهب الشافعي نصب عينه .

الصواب : «وكانت تقول مذهب الشافعي نصب عينيه» شذ (٢٦٩) .

ص ٢٣٠ : ٢٥ — حتى جازاه وأوقع بصره عليه .

الصواب : «حتى حاذاه وأوقع بصره عليه» .

ص ٢٣٢ : ٨ — يخطر لي ان طالما .

الصواب : «يخطر لي انه طالما» .

ص ٢٣٣ : ١٠ و ١١ — فقرأ عليه المختصر والمطول مع حاشية الشريف الى باب التصر .

الصواب : «... الى باب القصر» والمختصر والمطول شرحان للسعد التفتازاني على متن التلخيص للقزويني وهو في علم المعاني والبيان والبديع . وباب القصر، هو أحد أبواب علم المعاني .

ص ٢٣٥ : ١٧ — باحدى الثاني .

الصواب : «باحدى الثان» .

ص ٢٣٦ : ١٨ — احدى الثاني .

الصواب : «احدى الثان» .

ص ٢٣٧ : ٤ — وبقى داراً للفقراء .

الصواب : «وبني داراً للقراء» شذ (٢٦٣) .

ص ٢٣٩ : ٥ — ابن علاء الدين الاقصراني .

الصواب : « علاء الدين الاقصراني » شذ (٢٢٣) .

ص ٢٣٩ : ١٠ — اعانة العارض .

الصواب : « اعانة الفارض » شذ (٢٢٣) .

ص ٢٣٩ : ١٤ — أصله من تهران .

الصواب : « اصله من هراة » شذ (٢٢٩) .

ص ٢٤٠ : ٣ — بمكتب العدل .

الصواب : « بمكتب العدول » .

ص ٢٤١ : ١٨ — الشيخ علي بيك .

الصواب : « الشيخ علي البيري » تقدم ذكره قبل ثلاثة أسطر في الكواكب .

ص ٢٤١ : ٢٣ — محملها رجل جاهل .

الصواب : « فحملها رجل جاهل » .

ص ٢٤٢ : ١٥ — قدم حلب فرأس بها وتزوج .

الصواب : « قدم حلب فراش بها وتزوج » أي صار صاحب مال ورياش .

ص ٢٤٣ : ٥ — كان فلكة مغزل .

الصواب : « كأنه فلكه مغزل » .

ص ٢٤٣ : ١٠ — قاس فيم زائدة .

الصواب : « قاس بميم زائدة » .

ص ٢٤٥ : ٩ — مبارك عبد الله الحبشي .

الصواب : « مبارك بن عبد الله الحبشي » شذ (٢٥٩) .

ص ٢٤٥ : ١٠ — ان المبرد .

الصواب : « ان ابن المبرد » وهو الجمال ابن عبد الهادي تقدم الكلام عنه

ص ٢٤٥ : ١٣ — وأقام على الأتراكِ وقاموا عليه .

الصواب : «وقام على الأتراك ، وقاموا عليه» شذ (٢٥٩) .

ص ٢٤٦ : ٢٠ — تعلقه بكلامه وحمله .

الصواب : «تعلقه بكلامه وحله» شذ (٣٢٢) .

ص ٢٤٦ : ٢٢ — كلام المسنوي .

الصواب : «كلام المثنوي» كتاب شعر صوفي باللغة الفارسية مشهور جداً كل قطعة منه بيتان ولذلك سمي المثنوي من قولهم : مثنى مثنى .

ص ٢٤٧ : ١ — خطيب حمام الورد .

الصواب : «خطيب جامع الورد» والخطيب يكون للجامع لا للحمام .

ص ٢٤٧ : ٢٤ — دخل تيمورلنك .

الصواب : «دخلها تيمورلنك» شذ (٢٣٥) .

ص ٢٤٨ — باحدى الثاني . مكررة ثلاث مرات .

الصواب : «باحدى الثمان» .

ص ٢٤٩ : ١٨ — اصحاب الحديث من الاولياء .

الصواب : «اصحاب الجذب من الأولياء» .

ص ٢٤٩ : ١٨ — لا بد من وقوع فيه .

الصواب : «لا بد من وقوع فتنة» .

ص ٢٤٩ : ١٨ — وكان اذا صبت عليها انقطعت الفتنة .

الصواب : «وكان اذا صب ماء عليها انقطعت الفتنة» .

ص ٢٥٠ : ١٨ — كان يدور في أسواق دمشق .

الصواب : المترجم مجذوب مصري ليس في ترجمته ما يدل على أنه دخل دمشق ولعل الصواب ان يكون «في أسواق دسوق» وهي احدى المدن المصرية .

ص ٢٥١ : ١٤ — المولى التكشاري .

الصواب : «المولى التكساري» الشقائق على هامش تاريخ ابن خلكان ٦١٢/١ .

وهو كذلك في نسخة خطية من الشقائق محفوظة في الظاهرية رقم ٢٨ ق ٧١ .

ص ٢٥١ : ١٦ — باحدى الثاني .

الصواب : « باحدى الثمان » .

ص ٢٥١ : ١٦ — ابن مغتيشا .

الصواب : « ابن متنيسا » المصدر السابق .

ص ٢٥١ : ١٩ — احدى الثاني .

الصواب : « احدى الثمان » .

ص ٢٥١ : ٢٣ — مصطفى الحاقي ... المشهور بحاقي .

الصواب : « مصطفى جاك .... المشهور بجاك » الشقائق (٢/٥٦) المطبوعة والمخطوطة المحفوظة بالظاهرية رقم (٢٨) تاريخ ، ورقة (٨٣) .

ص ٢٥٢ : ٢ — بلدة تيرة .

الصواب : « بلدة تيرة » الشقائق (٢/٥٦) شذ (٢٠٥) .

ص ٢٥٢ : ٨ — ثماني سنوات .

الصواب : « ثمان سنوات » .

ص ٢٥٤ : ١٤ — قوله تعالى (قل من يحيي العظام وهي رميم) .

الصواب : « قوله تعالى (قال من يحيي العظام وهي رميم) » آية قرآنية سورة يس آية (٧٨) .

ص ٢٥٦ : ٨ — ثم بمدرسة مناشير بالمدينة المذكورة .

الصواب : « ثم بمدرسة مناستر ..... » ومناستر مدينة مشهورة كانت احدى الولايات العثمانية ، ثم سلخت عنها لدول البلقان .

ص ٢٥٦ : ٩ — باحدى الثاني .

الصواب : « باحدي الثمان .

ص ٢٦٠ : ١٦ — نائب الشام كان بردي العرابي . وعلق على لفظ « بردي » بما يلي : كذا في الأصل ولعلها مؤذن .

الصواب : « نائب الشام جان بردي الغزالي » راجع ترجمته في شذرات الذهب ٨/١٥٠ واعلام الورى لابن طولون مخطوط في مكتبتنا ومصور في المجمع العلمي العربي . وولاة دمشق في عهد المماليك لدهمان تحت الطبع .

ص ٢٦٢ : ٧ — احدى الثاني .

الصواب : « احدى الثان » .

ص ٢٦٢ : ١٨ — وولي قضاء صفد ثم خربت ولم يذهب اليها .

الصواب : « وولي قضاء صفد ثم خرتبرت ولم يذهب اليها » . أي الى خرتبرت وهي احدى بلاد الجمهورية التركية وتسمى في عصرنا « خربوط » والتصحيح من شذ (٢٥٣) والمعنى على نص الكواكب المغلوط ان مدينة صفد خربت في عصر المترجم وليس ذلك بصحيح .

ص ٢٦٢ : ١٩ و ٢٠ — ثم لما تولى نازع ولديه في العرفة يحيى بن كريم الدين .

الصواب : « ثم لما توفي نازع ولديه في العزية يحيى بن كريم الدين » يعني ان المترجم كان تولى المدرسة العزية الكائنة بالشرف الأعلى المتقدم ذكرها قبل سطر . فلما توفي المترجم أراد ولداه أن يتوليانها فجاء يحيى ابن كريم الدين ونازعهما على التولية والتصحيح من شذ (٢٥٣) .

ص ٢٦٢ : ٢٠ — وأثبت انه من ورثة واقفها .

الصواب : « من ورثة واقفيها » كما وردت قبل سطر وكما في شذ (٢٥٣) .

ص ٢٦٣ : ٤ و ٥ — احدى الثاني .

الصواب : « احدى الثان » .

ص ٢٦٣ : ٦ — طارحاً التكليف .

الصواب : « طارحاً التكلف » .

ص ٢٦٣ : ٩ — في معالجة المرض بدار الشفاء .

الصواب : « في معالجة المرضى بدار الشفاء » .

وهذا آخر ما توفقنا الى تصحيحه في الجزء الثاني من الكواكب السائرة ، وقد فاتني نحو نصف ماذكرته مما لم أهتد الى صوابه . ولو وُجدت الطبقات الوسطى للشعراني وكتاب در الحبب لابن الحنبلي لأمكن تصحيح كثير من نصوصه واني أرجح أن نسخة مكتبة الأزهر أصح من النسختين اللتين طبع عنهما الدكتور جبور هذا الكتاب فعسى أن يقوم أحد فضلاء المصريين بمقابلة نسخة مطبوعة على النسخة المخطوطة المحفوظة بالأزهر ثم ينشر الخلافات التي يجدها بين النسختين ، فيضيف جهوداً جديدة ويسدي يداً مشكورة الى العلماء والمحققين .

محمد أحمد دهمان

التعريف والنقد

في أصول النحو

تأليف سعيد الأفغاني

هذا الكتاب دراسات في اللغة والنحو، يقع في قرابة مئتي صفحة من القطع الكبير. يقول الأستاذ المؤلف في مقدمته: «... حرصت في هذه المباحث، على أن يتزود الطلاب بمادة صالحة فيها مع مسايرة النظرة التاريخية على قدر الامكان، وراعيت فيها مستواهم وحاجتهم، ولولا ذلك لوجب طي بعض ما نشر، ونشر بعض ما طوي، فكثير من القضايا مررت بها قطفاً لأنه بحث باسهاب في دراساتهم السابقة ...»

«... وأنا موقن، بأن بين هذه المحاضرات، والكمال الذي أتصوره لها مراحل فساحاً، وان عمل الانسان أبداً في حاجة الى الاصلاح، وان الخطوات العلمية لا تسدد الا بالنقد يسهم فيه كل من عنّ له رأي صالح، وانه ما من أحد يصغر عن أن يَنقد، كما انه ما من أحد يكبر عن أن يُنقَد، ولست أضمن من عملي هذا أكثر من أني بذلت فيه جهداً باخلاص ...»

وبعد المقدمة الممتعة الرصينة، التي نقلنا هذه القطعة منها، يحصر المؤلف موضوعه في أربعة بحوث:

١ — الاحتجاج في اللغة. يتناول فيه: اللحن وتتابعه — العلوم التي يحتج لها — من يحتج بكلامه، وما يحتج به من الكلام — بعض قواعد في الاحتجاج.

٢ — القياس. وفيه: تاريخ القياس — القياسيون — أثر العلوم الدينية في القياس اللغوي — أحكام القياس — المصريون والقياس ...

٣ – الاشتقاق . معناه – أنواعه – أحكام تتعلق به – كتب الاشتقاق ...

٤ – الخلاف بين نحاة البصرة والكوفة . لمحة تاريخية – نشأة الخلاف – الفروق بين المذهبين – نموذج من خلافهم – أثر العصبية في الخلاف – خلط المذهبين في بغداد والأندلس والشام .

وقد وفّى الأستاذ المؤلف موضوعاته حقها ، من البحث والاستشهاد ، وعزز ذلك بالرأي الناضج . من ذلك قوله في بحث الاشتقاق :

« لا بد من اعادة النظر في باب الاشتقاق ، والوقوف على استعداد اللغة العربية فيه ، والافادة من مرانتها وطواعيتها وكنورها المعطلة ، لتلبي حاجات عصرنا الحديث بل حاجات كل عصر ، فنُطرد (؟) من قواعده ما كان غير مُطرد ، ونكمل المواد الناقصة في المعاجم ، ونشتق من الأعيان وغيرها كل ما تدعو اليه حاجة » .

وتتبين قيمة الكتاب ، مما نوهنا به ، ونقلناه عنه ، فنشكر المؤلف غيرته على لغته ، وخدمته لها بما يضعه فيها من الكتب القيمة .



الوسائل الى مسامرة الأوائل

تأليف جلال الدين السيوطي

حقق هذا الكتاب الدكتور أسعد طلس . وطُبع في مطبعة النجاح ببغداد .

قدم المحقق للكتاب مقدمة ذكر فيها من ألف في هذا الموضوع . ثم وصف المخطوطة التي اعتمد عليها ، ثم ترجم للمؤلف ونوه برغبته في التأليف واكثاره منه ، وما قيل فيه وفي تآليفه .

والمؤلف قليل التدقيق في كثير مما يكتب ، كثير النقل عن غيره ، وفي هذا الكتاب الدليل الواضح على هذين الأمرين .

وعلى الرغم من ان المحقق قال في المقدمة : « ولم أعثر في الكتاب على أخطاء املائية او لغوية الا نادراً جداً مما لا يكاد يخلو منه كتاب » فقد كانت الأغلاط كثيرة منها المطبعية ، وقد أشار الى بعضها في ملحق خاص في آخر الكتاب ، ومنها ماقد يكون في أصل المخطوطة ، وكان يسهل تصحيحها ولاسيما الأبيات الشعرية .
من ذلك :

وهذه تاسعة المئين قد أتت   لا يخلف المادي ما فيها وعد

ولعل صوابه :

وهذه تاسعة المئين قد أتت   ولا يخلف ما فيها وعد

ليستقيم الوزن والقافية .

ومنه : وكسونا البيت الذي حرم الله   ملا معصباً وثوباً برودا

وهو بيت لم يستقم بوزنه ولا مبناه . فلا يصح أن تنعت :
« الملاء بـ « المعصب » و « الثوب » بـ « البرود » .

وقد يكون البيت :

وكسونا البيت الذي حرم الله   مُلاءً وأثوباً وبروداً

أو ما يشبه ذلك ، وأثوب بالهمزة او التسهيل : جمع ثوب . بقي من أين جيء بـ « المعصب » ؟ ولو كان « مُلاءً عُصباً » لصح المعنى فـ « العَصب » على ما في اللسان : « برود يمنية يُعصب غزلها أي يُجمع ويشد ثم يُصبغ وينسج فيأتي موشياً لبقاً ، ما عُصب منه أبيض لم يأخذه صبغ . وقيل هي برود مخططة » غير أن نعت « الثوب » بـ « البرود » لا وجه له ، ومع جمعه لا يستقيم الوزن .
ثم اطلعنا على هذا البيت في كتاب شمس العلوم « تأليف نشوان بن سعيد الحميري » وروايته :

وكسونا البيت الحرام من العَصْب مُلاءً معضّداً وبرودا

وكذلك في الصفحة الـ ٤٣ .

أولُ عبد عمل الحاملا   أخزاه ربي عاجلا آجلا

ولعل الصواب «عاجلاً وآجلا» ليكون الصدر والعجز من بحر واحد .

وأغرب من هذا كله ما جاء في الصفحة الـ ٦٤ :

ألا هل أتى رسول الله الا اني حميت صحابتي بصدور نبلي

ولعل صوابه :

الا هل أتى رسول الله اني

بوصل الهمزة في أتى شذوذاً .

وفي الصفحة الـ ١٣٢ :

عالجتها امرداً حتى اذا شبت ولم تحسن ابا جادها

والصواب :

عالجتهـا أمرد حتى اذا

فيستقيم الوزن ونخرج من تجوز لا وجه له .

الى أمثال لها ، كان يمكن تداركها بالاصلاح .



اليزيديون في حاضرهم وماضيهم

تأليف السيد عبد الرزاق الحسني

رسالة من القطع الكبير تقع في مئة صفحة وتزيد . طبعت طبعاً متقناً في مطبعة العرفان بصيدا : « تبحث في منشأ الطائفة اليزيدية وتتكلم عن معتقداتها الدينية . وعن الشيخ عدي بن مسافر الذي تنتمي اليه . وعن مرقده وصفة هذا المرقد ، وتضم بين دفتيها نصوص كتبها المقدسة لديها . وتصف شرائعها الطقسية وسننها الاجتماعية وأعيادها الرسمية .. »

ثم يقول المؤلف في مقدمة رسالته : « واليزيدية احدى الطوائف التي تكتمت في اظهار معتقداتها تكتماً شديداً ، يعيي المؤرخ ان يعطي عنها نتيجة قطعية ، أو ان يصورها تصويراً نهائياً ... لذا ترى الباحثين في هذا المذهب يختلفون

في نتائج تدقيقاتهم وتباينهم اختلافاً يجعل دارس تاريخ هذه الديانة غير مطمئن الى ما وصلت اليه تحقيقاته ، ولا مؤمن بما وصلت اليه يد البحث ايماناً علمياً » .

وهذا الذي نقلناه ، يعطي فكرة عن موضوع الرسالة ، وأسلوب المؤلف فيها .
وقد زار السيد الحسني اليزيديين في ديارهم ، وقابل أمراءهم ، واختلط بهم . واطلع على ما استطاع أن يطلع عليه من أسرارهم وخفاياهم . ثم اعتمد على من سبقه من الذين ألفوا في هذا الموضوع ، فجاءت رسالته وافية ، يقف المطلع عليها ، على كثير من الحقائق التي تكشف عن بعض حقيقة اليزيديين ، في مختلف نواحي حياتهم : الدينية والاجتماعية .

وزيّن المؤلف رسالته بعدد من الرسوم ، يستعين بها القارئ على تعرف كثير من شؤون القوم وأحوالهم : العامة والخاصة . وهو جهد يشكر المؤلف عليه .

عارف النكدي



تاريخ سورية

للدكتور فيليب حتي

صدر بالانكليزية في لندن (شركة مكميلان) ١٩٥١

لم تكن مهمة الدكتور فيليب حتي حين تصدى لوضع تاريخ شامل لسورية في حدودها الطبيعية منذ العصر الحجري حتى العصر الحاضر من المهمات السهلة . فالبلاد السورية من جبال طورس حتى حدود مصر قد شاهدت مواكب الحضارة قبل أن يبدأ التاريخ ، وتاريخها هو بالواقع صورة مصغرة لتاريخ العالم المتمدن . ففي العصور القديمة نشأت فيها حضارة الأقوام المعروفة بالسامية وتأثرت بحضارات الشعوب الفاتحة التي أتتها من البلاد المجاورة في وادي النيل والرافدين والأناضول وكذلك من بلاد اليونان والرومان ، كما انها أثرت هي بدورها في هذه الشعوب

وقبل الفتوحات الاسلامية عرفت سورية دولاً عربية كانت لها حضارتها المشهورة ثم لم تلبث أن أصبحت في العصور الوسطى وفي ظل الدولة الاسلامية قلب امبراطورية عربية واسعة وساهمت في نشر الحضارة حتى بعد زوال وحدة هذه الامبراطورية . وعندما حكمتها الدويلات الأعجمية التي قامت في مصر ثم أتاها العثمانيون وحكموها في العصور الحديثة لم تفقد البلاد شخصيتها ولا لغتها وظلت محتفظة بهذه الشخصية الى أن قامت فيها الدول العربية الحديثة بالرغم من ظروف الاستعمار الصعبة التي أحاطت بها .

هذه المراحل المختلفة في تاريخ البلاد مع ما رافقها من أحداث سياسية وما ظهر أثناءها من مظاهر في الحضارة تحتاج معالجتها الى جهود كبيرة وذلك لأن تاريخ سورية يقترن من جهة بتاريخ عدد كبير من الدول التي احتكت بها ، ومن جهة أخرى لأن الوثائق المتعلقة بعصور هذا التاريخ مكتوبة بلغات متعددة . وقد تصدى الدكتور حتي لوضع تاريخ سورية بما فيه من صعوبة وتعقيد كما تصدى منذ نحو خمسة عشر عاماً لوضع تاريخ العرب ، وكان توفيقه في كتابه الجديد الذي بين يدينا لا يقل عن توفيقه في كتابه الأول . وقد أصبح المجلد الضخم الذي كتبه عن تاريخ العرب مرجع الأوساط الأجنبية في هذا الموضوع حتى طبع خمس طبعات وترجم الى معظم اللغات الحديثة . والمجلد الجديد في تاريخ سورية قد اضطر الدكتور حتي الى الاطلاع على المراجع الأصلية المتعلقة بعصور التاريخ السوري وكتابات أكابر العلماء المختصين بتاريخ كل فترة فضلاً عن اطلاعه على نتائج الحفريات التي أجراها العلماء الأثريون في طول البلاد وعرضها في القرن الأخير وخاصة منذ ثلاثين سنة . والدكتور حتي وهو أستاذ اللغات السامية وآدابها في جامعة برنستون ومن العلماء العاملين في الدراسات العربية الاسلامية لم يتردد في طرق أبواب الدراسات الكلاسيكية والتعرف الى كبار كتاب اليونان واللاتين والى مراجعة أبحاث العلماء الأثريين

لكي يكتب فصول تاريخه السوري . والكتاب الجديد لا يقتصر على التاريخ السياسي للبلاد السورية فحسب وانما تعتبر ان من أهم مزاياه أنه لا يترك ناحية من نواحي الحضارة الا ويصفها ويعالجها . فهو يكتب عن نظام الحكم والمجتمع في كل فترة وفي كل عصر ، ويبحث عن الأحوال الاقتصادية والعمرانيــة ، ويتناول الحياة الفكرية والفنية ، وفي جميع هذه الأبحاث يرجع الى المصادر الرئيســية الأصلية ويشير اليها في الهوامش ويقارنها بما توصل اليه علماء الآثار والمؤرخون المعاصرون . ومن مزايا الكتاب انه فضلاً عن تعريف القارئ بأهم المراجع التي استقى منها او اعتمد عليها يعطيه صورة حية عن حضارة البلاد بالرسوم الكثيرة التي يتضمنها ، ويسهل على القارئ فهم أوضاع البلاد السياسية بوضع نحو ثلاثين خريطة تاريخية تتعلق بمختلف العصور وجداول الحكام والملوك في مختلف فترات التاريخ السوري . ويزيد في قيمة الكتاب ذلك الفهرس العام الذي يحوي في خمسين صفحة تقريباً أسماء جميع الأعلام والأماكن والمواضيع الواردة في التاريخ حتى أسماء المؤلفات والمؤلفين الذين ورد ذكرهم في الهوامش .

ولقد رأى الدكتور حتي ان تاريخ سورية على شدة أهميته لفهم كثير من مشاكل العصر الحاضر ولمعرفة مصادر حضارة الأمم الغربية لم تدون حوادثه وتطوراته ، ولم تعالج مواضيعه ونواحيه المختلفة في مجلد واحد ، بالرغم من وجود عشرات المؤلفات عن تاريخ كل فترة منه وعن كل شعب من شعوبه وكل ناحية من نواحيه . فقام ينسق هذه المعلومات وينقدها ويأخذ المناسب منها وينسج منها تاريخاً موحداً متسلسلاً لسورية ضمن حدودها الطبيعية وفي مختلف عصورها . ولقد نجح بعرضه للحوادث ووصفه لنواحي الحياة بلغة سهلة واضحة وبعبارات بعيدة عن التعقيد والابهام . ومما يلفت النظر روايته المبسطة لتاريخ سورية القديم بالرغم مما فيه من مشكلات تاريخية وغموض في بعض النواحي . فهو يروي بدون أن يدخل في مناقشات تثقل الموضوع وتعقده ، على أنه يشير الى المراجع

الأصلية والحديثة في الهوامش لمن يريد زيادة البحث والاطلاع . والكتاب يقع في أكثر من سبعمائة صفحة عدا الفهارس ويقسم خمسة أقسام . ففي القسم الأول يصف جغرافية سورية وطبقاتها وتاريخها في العصور الحجرية . وفي القسم الثاني يتناول تاريخ الأقوام السامية التي استوطنت سورية وعلاقاتها بالدول المجاورة حتى نهاية العصر الفارسي ، ثم في القسم الثالث يتناول العصر اليوناني الروماني وظهور النصرانية ودول العرب قبل الاسلام . وهذه الأقسام الثلاثة التي تحوي تاريخ سورية القديم تؤلف القسم الأكبر من الكتاب وتقع في أربعمائة صفحة . ثم في القسم الرابع يتناول تاريخ سورية في زمن الحكم العربي الاسلامي حتى الفتح العثماني ويتضمن نحو ٢٦٠ صفحة . والقسم الخامس والأخير يبدأ بالحكم العثماني وينتهي في مطلع النهضة القومية العربية الحديثة ويحوي نحو خمسين صفحة ، فهو جانب لم يوفه المؤلف حقه وكنا نتمنى ان يوصل تاريخ سورية الى العصر الحاضر وان يتكلم عن مراحل الحكم العثماني في هذه البلاد بنفس التفصيل الذي تكلم فيه عن سورية في العصر اليوناني الروماني أو العصر العربي ؛ على انه يقول ان هذه المرحلة الأخيرة من حياة البلاد تحتاج الى من يضع تاريخها ولا ندري اذا كان سيتحفنا يوماً بهذا التاريخ . وفيما سوى هذه الناحية وكذلك مجاراته في بعض الأحيان لآراء مؤرخي الافرنج في أمور تتعلق بأخلاق السكان مثل الآراء التي أوردها عن سكان انطاكية وأخلاقهم (ص ٣٠٢) وكان قد أوردها الألماني مومسن والانكليزي جبن – أقول فيما سوى هذه الأمور فإن الكتاب هو حقاً تحفة رائعة من العلم وحسن التنسيق والاحاطة مع جمال وبساطة في الأسلوب وغزارة في الوسائل الايضاحية . وهو مأثرة اخرى تضم الى سائر مآثر الدكتور حتي الذي عمل في سبيل تعريف شعوب أوربا وأميركا بالعرب وحضارتهم وبالاسلام وتراثه الشيء الكثير وها هو يعرفهم اليوم بسورية والسوريين ومآثرهم خلال العصور .

جورج حداد

وحي الأمومة

مما أجمع عليه أهل الفكر والرأي أن رسالة الأمومة هي أبقى رسالة للمرأة على وجه الدهر ، وكتاب «وحي الأمومة» الذي ألفته السيدة الفاضلة روز عطا الله شحفة سجل حافل بالشواهد على هذه الرسالة الإنسانية الخالدة ، وإذا كانت المؤلفة الحصيفة قد أودعت مؤلفها هذا نفحات قلبها وخواطر نفسها التي فاضت بحنان الأم وإخلاص الزوجة ووعي المرأة الراجحة فإنما كان ذلك منها عن إحساس ومراس ومرانة وعيان .

لقد لمع اسم المؤلفة في أفق النهضة النسائية العربية منذ ربع قرن فكانت من الرائدات السابقات في بلاد الشام إلى إرسال الدعوة وبذل المعونة في سبيل المرأة وتعليمها وتوجيهها وجهة سليمة قوية .

وكتابها هذا بما فيه من حرية الفكر وحرارة القول يخفق بالدعوة الى تقدير المرأة وإنصافها ، فهو جهاد سنين وصور تطور وتحرر ، خرجت فيه المؤلفة من غمار معركة المجتمع كما يخرج البطل المظفر وبيده علم خفاق ، وقد اشتملت صفحات الكتاب على موضوعات متنوعة تتصل بحياة البيت والمجتمع ، وتمس الأهداف التي تسعى المرأة الى تحقيقها متعلمة ومثقفة ، وفي مقدمتها اسعاف الانسانية البائسة ، والتخفيف من ويل المحرومين والكادحين ، وهذه المساعي أول ما ينبغي أن يظهر من المرأة الواعية ، فمن أولى منها بالعطف على الانسانية الشقية التي أضلها الجهل والحرمان ، وأصابها التشريد والهوان ؟

وقد أضافت المؤلفة الفاضلة إلى هذا البر الاجتماعي دعوة وطنية خالصة كانت فيها ملحة بالحفاظ على منتوج البلاد ، وما يبقي على حياتها الاقتصادية ، فكانت في هذا المذهب ذات رأي سديد بأن يكون ما تقيمه المرأة في منزلها من بناء الاقتصاد هو الدعامة الأولى لاقتصاد الوطن واستقلاله وكرامته .

وإنه لحق أن نجد منبع الحياة الروحية لكل وطن من المنزل ، وقد ضل السبيل أكثر المصلحين حين جهلوا هذه الناحية أو أغفلوها ، ولقد كان من تعاليم الإغريق والإسلام أن يكون البيت أساس البنيان الوطني الكبير ، فلا عجب اذا دعت مؤلفة «وحي الأمومة» الى الاقتصاد المنزلي وجعل الأسرة منبعاً للفضائل الروحية والاجتماعية ، فانها أم قبل كل شيء ، ولذلك كانت موفقة في تسمية كتابها الذي نمّ عليها ، وكان وحيه داعياً الى نشاطها المعهود .

وما أعجب بشيء مثل إعجابي بالمؤلفات والمؤلفين الذين لا يكونون غرباء عن موضوعاتهم وآثارهم ، إذ يجعلونها مرايا صادقة تعكس شخوصهم ونفوسهم وتطبع آراءهم وشعورهم دون تزيد أو تمويه .

وما أمقت شيئاً مثل مقتي لأقلام يكون أصحابها في واد وآثارهم في واد ...

أما صياغة المؤلفة وأداؤها ـ وهل عني مجمعنا العلمي قبل كل شيء بمثل الفصحى وتقد الركاكة وإحكام التعبير ـ فانها لا يشفان عن صبر على أساليب الأقدمين من كتابنا والمحدثين الذين جروا على غرارهم وجمعوا بين الطرافة والجزالة في التعبير والأداء ، لقد أرسلت المؤلفة قلمها على سجيتها وطاقتها دون أن تطبعه بطابع أدبي أو أسلوبي ، وقد غلب عليها بيان صحافي وخطابي اكتسبته من عنايتها بالصحافة وإيثارها مخاطبة الجمهور ، وهي تشكر وتقدر لما صنعت من أجل جنسها وقومها ، لا سيما وأمثالها قليل في رائدات الجيل الحديث .

(القاهرة) وداد سكاكيني

Miniatures de la Renaissance

تأليف (Anselmo M. Albaredo M. B.) أمين مكتبة الفاتيكان ، ويحتوي هذا الكتاب على (٩٢) صفحة من القطع المتوسط و (٣٣) صورة طبع في مدينة الفاتيكان سنة ١٩٥٠ .

احتفلت مدينة الفاتيكان في السنة الماضية بذكرى مرور خمسمائة عام على انشاء المكتبة البابوية التي أسسها سنة ١٤٥٠ البابا نقولا الخامس ، وكان مولعاً بجمع المخطوطات لا سيما الكتب الدينية ، وقد بذل آلاف الدنانير لمن يأتيه بنسخة آرامية من انجيل متّى . ولم يكن في المقر البابوي لما ارتقى كرسيه الا (٣٥٠) مخطوطة يونانية وعربية وهذا كل ما خلفه له أسلافه خلال عشرة قرون . وقد نشط بدوره بجمع نفائس المخطوطات حتى بلغ عددها في عهده نحو (١٥٠٠) مخطوطة بذل في سبيل اقتنائها جهوداً طيبة وأثماناً مغرية . وهذه المجموعة هي نواة مكتبة الفاتيكان العظيمة التي تحوي اليوم (٦٠٠٠٠) مخطوطة و (٧٠٠٠٠٠) كتاب مطبوع و (١٠٠٠٠٠) صورة وخريطة وآلاف الاضبارات والوثائق التاريخية .

وقد نظمت المكتبة البابوية لهذه المناسبة معرضاً فنياً عرضت فيه نفائس مخطوطاتها المصورة بريشة أبرع المصورين خلال خمسمائة عام أي من القرن الثالث عشر الى القرن السابع عشر . وقد وضع المؤلف هذا الدليل ليستعين به الجمهور على تفهم المعروضات ، وصف فيه أهم التصاوير المعروضة وصفاً علمياً دقيقاً وزين كتابه هذا برسوم أروعها . وافتتح الدليل بمقدمة عن تاريخ هذه المكتبة وتطورها . وشرح فيها الغاية من هذا المعرض وفوائده الفنية والثقافية .

جعفر الحسني

مصادر الدراسة الأدبية

وفقاً لمناهج التعليم الرسمية

صفحات الكتاب مع المقدمة والمشتمل ٣٩٢ ، مطبعة دير المخلص ، صيدا ، لبنان .

لمؤلف هذا الكتاب السيد يوسف أسعد داغر عدة كتب قيمة بعضها باللغة الفرنسية وبعضها باللغة العربية وقد أورد المؤلف ثبتاً بها في نهاية الكتاب .

والمؤلف أمين دار الكتب اللبنانية وخريج معهد المكتبات في باريز وعضو اللجنة الوطنية اللبنانية للأونسكو . وأعتقد أن كتابه هذا جزء من كتابه : « دليل الأعارب الى علم الكتب وفن المكاتب » .

موضوع الكتاب ايراد مصادر الدراسة الأدبية للمواضيع العامة والشخصيات الأدبية والعلمية المدرجة في كل من مناهج البكالوريا في لبنان وسوريا والعراق ومصر .

يأتي المؤلف بكلمة مختصرة مكثفة في الموضوع العام ثم يورد مصادر دراسته ، ويترجمة موجزة للشخصية الأدبية ثم يورد مصادر دراستها .

وفي الكتاب ١٢٥ بحثاً ، تسعة منها في مواضيع عامة ، والباقي في الشخصيات الأدبية ، وهو يرشد الى عشرين الف مصدر للبحث والدراسة الادبيين .

خطته في الحديث عن الأديب أن يترجم له ترجمة واقعية موضوعية يذكر فيها :

١ — أهم مراحل حياة الأديب . ٢ — مؤلفاته المطبوعة . ٣ — المصادر والمراجع العربية العديدة التي تتعلق به . وتشمل في أوسع الحالات :

آ — المصادر القديمة . ب — مؤلفات خاصة تتعلق بالشخصية الأدبية المقررة . حـ — مؤلفات عامة تناولتها بالبحث . د — مقالات المجلات العربية مأخوذة من ١٢٥ مجموعة مختلفة .

ويتبين من هذا أن الكتاب جليل الفائدة للباحثين والأدباء والأساتذة والمدرسين وطلاب الجامعة والطلاب المجدين من المدارس الثانوية فهو يرشد

الى المراجع الضرورية وبعوّد الطلاب المطالعة والاعتماد على أنفسهم وتكوين رأيهم الشخصي بالبحث والتنقيب ، وندرك زيادة فائدته اذا لاحظنا النقص في مكاتبنا من ناحية إهمالها الفهارس التفصيلية لمواضيع الكتب والمجلات وإدراجها ضمن ثبوت المراجع الخاصة بأشخاصها أو بحوثها . ومن محسناته تقديمه بعض الأبحاث العامة ملخصة تلخيصاً جيداً كأبحاث الاعتزال والصوفية والموشحات وما شاكلها .

وقد قدّم له صاحبه بمقدّمة مستفيضة بيّن فيها فائدة المطالعة الشخصية والرجوع الى المصادر الرئيسية في حياة دارس الأدب وضرر الطريقة التلقينية في قتل المواهب الشخصية والملكات الأدبية والعلمية .

ولنا على خطة التأليف الملاحظات الآتية :

١ً — اقتصر المؤلف على ذكر المطبوع من آثار الأديب وحبذا لو ذكر المهمّ من غير المطبوع أيضاً ، لا سيا وأنه لم يخصصه لطلاب المدارس الثانوية فقط بل جعله مرجعاً للأساتذة والمدرسين وطلاب الجامعات أيضاً .

٢ً — لم يذكر المراجع غير العربية التي تتعلق بالأديب أو الموضوع العام مع شدة حاجة المدرسين وطلاب الجامعات إليها ، وعذره في هذا رغبته في اخراج الكتاب بسرعة ليستفيد منه مطالعوه ، وأنه لم يتمكن من إعدادها وسيتداركها بعد .

٣ً — عدم استقصائه جميع الكتب الأدبية التي صدرت حديثاً ولا سيا المدرسية منها ولعل هذا راجع إلى أن مؤلفيها لم يقدّموا نسخاً منها الى دار الكتب الوطنية .

٤ً — يظهر أنه اعتمد على المنهاج السوري القديم بعض الاعتماد فقد ذكر أبا نواس مثلاً في منهاج البكالوريا السوري وليس موجوداً في المنهاج الحالي بل في المنهاج القديم وكذلك الشأن في ابن رشد ، وعدّ امرأ القيس وطرفة والأعشى والخنساء وغيرهم في منهاج البكالوريا وليسوا كذلك بل هم في منهاج

الصف الخامس ولعل عذره في هذا أنه عدّ الدراسة الأدبية في مختلف الصفوف الثانوية حلقة واحدة ، ولم يذكر أن المنفلوطي موجود في المنهاج السوري مع وجوده فيه ، وكذلك الشأن في قاسم أمين وربما في غيره أيضاً ...

ومن الهنات التي وقعت في الكتاب ذكر كتب الزوزني والسيوطي بين الكتب الحديثة التي اعتمدها المؤلف ، كان ينبغي ذكرها في مكانها بين الكتب القديمة ، ومنها ذكره أن خالد بن يزيد هو حكيم آل مروان ، وهو في الحقيقة حكيم بني أمية لا بني مروان خاصة لأنه ليس منهم بل من آل أبي سفيان ، ومنها إدراجه ابن المقفع في الدور الثاني العباسي مع أنه في طليعة الدور الأول العباسي ، ومنها قوله عن الشريف الرضي : إنه يتفرّد بالرثاء وليس الأمر كذلك .

ويظهر فرق جلي بين أسلوب المقدمة وأسلوب تراجم الشخصيات والأبحاث العامة فهذا الأخير سهل صحيح واضح ولكن أسلوب المقدّمة لا يخلو من الإبهام والتعقيد وانه أقرب الى الأسلوب الغربي منه الى الأسلوب العربي (مثال ذلك ص ج من المقدمة من قوله : وهكذا حتى قوله لم يستكمل أداتها) ، ويرجع كثير من هذا الى نقص حروف العطف بين الجمل (مثال ذلك ص هـ س ٢ قبل قوله توخّوا فوضع الواو هنا ضروري) وإلى تعدية الفعل غير المتعدي مع ضرورة ذكر حرف الجرّ (مثال ذلك المقدمة ص و س ١٠ فينبغي وضع يبحث مستقل مكان : بحثاً مستقلاً) .

وقد وقع خطأ في ترتيب الصفحات نشأ عنه تشويش واضطراب في الكتاب فجاءت مصادر ومراجع الأعشى مثلاً بعد ترجمة عنترة ومراجع عنترة بعد زهير ومصادر المعلقات بعد ترجمة الأعشى وهكذا ...

وقد وقع في الكتاب من الخطأ المطبعي شيء ليس بالقليل ونرجو أن يتلافاه صاحبه في الطبعة الثانية ، كما جاء فيه بعض الخطأ اللغوي والنحوي وأعتقد

أنه يرجع الى السرعة في طبع الكتاب والى عدم تصحيح الخطأ المطبعي نفسه (مثال ذلك استعمال المؤلف ظهّرها مكان أظهرها ص أ ، ويضمرها مكان يدعمها ص ج س ٧ ، والتقريرية الجافة مكان التقرير الجاف ص د س ١١ ، واليه مكان اليها ص ح س ١٣ ، والتفكيك مكان التفكك ص ل السطر الاخير ، والتعلمية مكان التعليمية ص م س ١ ، والتطوير مكان التطور ص ن س ١ ، وينشد العلم مكان ينشد العلم ص ن س ٣ ، وترك جملة كذلك يبدو ص م س ١ ناقصة المعنى تحتاج الى تكملة .

وهذه الهنات ليست شيئاً يذكر بالنسبة الى الجهود الطيبة التي قام بها المؤلف في هذا الكتاب وسدّه فراغاً كبيراً في المكتبة العربية والدراسة الأدبية فإليه أقدّم خالص تهنئتي وشكري .

نعيم الحمصي



المجموعة الاقتصادية السنوية

لغرفة تجارة حلب

أصدرت غرفة تجارة حلب : (المجموعة الاقتصادية السنوية) لعام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) . وهذه المجموعة السنوية ، قد اعتادت الغرفة على إصدارها ، منذ اثنين وثلاثين عاماً ، وهي سنة حسنة ، لأن فيها فوائد جزيلة ، اذ توضح كثيراً من الأعمال الاقتصادية السورية ، وتدعمها بالأرقام .

وقد صدّرت هذه المجموعة بكلمة من وزير الاقتصادالوطني ، قال فيها :

« لا بد من ايجاد سياسة اقتصادية انشائية قوية وناجحة ، ولا بد من تعاون وثيق بين الشعب والحكومة في الميادين المذكورة » .

وانه يرى :

«أن واجب الحكومة تشجيع تأليف مثل هذه المنظمات وتعزيزها ، ليتسنى لها القيام بما تتطلبه منها اقتصاديات البلاد في مراحلها المختلفة» .

وهي كلمة طيبة نرجو تنفيذها .

وللأستاذ محمد سعيد الزعيم ، نائب رئيس الغرفة ، تقرير ضافٍ عن : (الأحوال الاقتصادية العامة في سورية) بحث فيه عن التجارة والعلاقات التجارية مع الخارج ، والعلاقات الاقتصادية بين الأقطار العربية ، والحالة الاقتصادية بين سورية ولبنان ، وتطرق الى البحث عن هيكل الاقتصاد السوري ، والصناعة السورية ، وما تنتجه معامل الغزل والنسيج والاسمنت ، وحاجتنا الى بعض المعامل ، لتصبح صناعتنا قوية ، ثم بحث عن الزراعة والتوسع الزراعي ، وما يرجى للبلاد من ازدهار الزراعة ، وخاصة بعد ان انتشرت زراعة القطن في شمالي سورية : ونجحت زراعته ، وارتفعت أسعاره كثيراً ، حتى أصبحت مغرية للزارع ، وان الزراعة في حاجة الى آلات وأموال ، ثم ذكر مرفأ اللاذقية ، وفائدته على البلاد ، وهو بمجموعه تقرير حسن .

وقد تعرضت هذه المجموعة للمفاوضات بين سورية ولبنان ، وسردت اسماء تجار حلب ، وبحثت في التجارة العامة ، والودائع والسلف والنقد المتداول ، والأسعار في حلب ، وآراء الغرف التجارية العربية ، والقوة المحركة والوقود ، وشبكة البترول في الشرق الأوسط ، وزيارة المغتربين السوريين واللبنانيين الى حلب ، والمشاريع والأعمال الصحية ، والأشغال العامة في حلب والشركات فيها ، والخطوط الحديدية الشمالية ، والصلة بين التجار والحكومة ، والتجارة بين سورية وتركيا .

وصفوة القول : ان هذه المجموعة هي مفيدة ، وان التجدد الذي تدخله الغرفة التجارية الحلبية عليها ، بين سنة وأخرى ، يوجب التقدير والشكر .

منير الشريف

آراء وأنباء

استقبال عضو عامل جديد

عقد المجمع العلمي العربي جلسة في ١٧ أيار سنة ١٩٥١ والموافق لـ ١١ شعبان سنة ١٣٧٠ لاستقبال العضو العامل الجديد الدكتور منير العجلاني . وقد رحب به الأستاذ شفيق جبري بكلمة نوّه بها بنشاطه الأدبي ، فرد عليه الدكتور العجلاني شاكراً للمجمع انتخابه عضواً عاملاً ، ومترجماً لسلفه المرحوم الشيخ عبد القادر المبارك . وفيما يلي الكلمتان المشار اليهما :

كلمة الأستاذ شفيق جبري

سيدي معالي الأستاذ الرئيس .

سادتي الأساتذة .

سيدي معالي الزميل الكريم .

وددت لو عهد مجمعنا الى غيري من رجاله أن يقدمك وما خطر ببالي هذا الخاطر الا بسبب الصداقة التي استحكمت أواصرها بيني وبينك من عشرين سنة فاني أخاف اذا قدمتك أن تظهر آثار هذه الصداقة على تقديمي ولماذا أخاف هذا الخوف ، أفلا أجد من صفات شخصيتك وأدبك ما يمهد لي سبيلاً الى الكلام دون ان يُحسب للصداقة حساب وعلى ما به اني اشرع في تقديمك بحسب ما عرفت من هذه الشخصية وهذا الادب دون شيء من الخوف .

أما شخصيتك وأرجو أن يغفي مجمعنا على استعمال هذا اللفظ ، فالذي جوز لأبي الفرج الاصبهاني ان يستعمل الأستاذية ولامامنا الجاحظ أن يستعمل النارية

يجوز لنا أن نستعمل الشخصية ، أما شخصيتك يا سيدي فما أظن ان العشرين السنة التي قضيتها في صداقتك مكنتني من الاحاطة بها ، فقد كنتُ في خلال هذه السنين الطويلة أشعر اذا جمعتنا المجامع باني بمحضر من لغز من الألغاز ؛ كنت أشعر باني ، اذا كنت لا تستهجن هذا التشبيه ، بمحضر من صندوق مقفل ولكنه صندوق مطلي بالذهب ، مرصع بالياقوت يشغلني بريق ذهبه ولمعان ياقوته عن التفكير في معرفة داخله ، كنت اذا حدثتك بحديث أشتهي أن تقع عينك على عيني حتى أعرف مقدار نفوذ هذا الحديث أذنَك وقلبك ، كنت تصغي الي بأذنك وكان قلبك يشتغل بأمور ثانية ، وما أظن أنك تنفق دقيقة من دقائق عمرك دون التفكير في شيء واذا لم تشغلك يقظة النهار عن هذا التفكير فلم يشغلك عنه نوم الليل ، قد يظنك الانسان مغفياً ولكن اغفاءك لفكرة من الفكر فان لك ذهناً وقاداً يظهر نشاط الحياة على كل ناحية من نواحيه والعهد بيني وبين هذا الذهن ليس ببعيد ، أفلا تذكر لما كنا من سنتين في بيروت نسمع أقوال الذين يردون على العرب في اعتراضهم على دخول اليهود هذا المؤتمر الذي سموه « الاونيسكو » كنت أصعد النظر وأصوبه في الخطباء الانكليز والاميركان وأستمع الى أقوالهم ويشغلني الاستماع عن كل فكرة وكنت الى جانبي لا تنظر الى واحد منهم ولكنك كنت تلهو بورقة أمامك بيضاء تحشد ذهنك وتجمع فكرك حتى تطلع على الخطباء بأقوال بديعة اذا هي لم تنجح في جمهور القوم فقد نجحت في نفسك لأنك أرضيت بها فكرك وشعورك وعاطفتك حتى لا يعتب عليك هذا الفكر الوهاج وهذا الشعور اليقظ وهذه العاطفة اللاهبة وما أحسست بجرأتك على الكلام مقدار احساسي بهذه الجرأة في « الأونيسكو » فاللغة التي تكلمت بها لم تكن لغتك ومع هذا لم تبال بالأمر وهذا شأنك في أول دخولك مجلس النواب من خمسة عشر عاماً ، يخطب الخطيب الذي لا يجمع بينك وبينه حزب من الأحزاب أو مبدأ من المبادئ فتلهو في غضون خطبته

بورقة في يدك أو بقلم ويظن جليسك أنك منفف حتى اذا فرغ الخطيب من خطبته وسمعت في هذه الخطبة ما لا يرضيك نهضت من إغفائك الظاهر وانقضضت على المنبر ولئن لم يكن لك على هذا المنبر زئير الأسد أو هدير الموج فقد كان لك عليه عندلة العندليب ، فما غردت الا سحرت النواب بأغاريدك ولست أدري ما الذي حملك على الانقطاع عن هذا التغريد في مجلسك اليوم .

وكما كنت اذا حدثتك بحديث أشتهي ان أعرف مقدار صلة قلبك بهذا الحديث كذلك كنت اذا أغضبتك او أرضيتك بلفظ من الألفاظ أشتهي أن أحيط بمبلغ هذا الغضب وهذا الرضى ، فعبثاً كنت أحاول هذه المحاولة فقد رزقك الله تعالى مناعة في ظاهرك دفعت عنك كل بلاء ، رزقك الله وداعة في خُلُقك تشغل صاحبك عن النظر في معرفة ما وراء هذه الوداعة وأعطاك رقة في قلبك تلهي صديقك عن الاهتمام بما بعد هذه الرقة ، فكنت اذا أرضيتك أو أغضبتك لا أرى بعد هذا الارضاء وبعد هذا الاغضاب الا الوداعة والرقة فاقتصرت على هذا الظاهر ولن أجهد نفسي في معرفة الباطن ونعمت بصحبتك عشرين سنة كما ينعم الناظر الى صندوق مذهّب مرصّع ، بذهبه وترصيعه .

ولماذا تشغل أذهاننا بمعرفة البواطن اذا كنا ننعم بالظواهر ، لماذا هذه الفلسفة المتعبة في الحياة ، لماذا لا نأخذ من الأمور صفاءها وحده اذا كان لنا في هذا الصفاء ما يرضي ذوقنا وشعورنا .

لقد اخذت منك يا سيدي صفاء الظواهر ولم أتعب ذهني بالوقوف على البواطن وأظن أن أكثر أصدقائك نعموا مثلي بنعمتك ولكني أعتقد أن نعيمي بها كان أشد من نعيمهم فقد كانت الصداقة بيننا تشتد حيناً وتفتر حينا ولكنها كانت صافية في الشدة والفتور ، فاستمرت في طبيعتها وما السر في هذا الاستمرار الا رقتك التي تدفع عنك غضب الغاضبين والا النعمة التي كنت أنعم بها في هذه الرقة ثم دارت بنا الأيام دورتها واذا بنا يجمعنا هذا المجمع فنطرح فيه أثقالنا فما نبالي

يعد اليوم بالظواهر والبواطن وانما يهمنا أمر واحد وهو الأدب الذي تاسب بيننا معاشر رجال المجمع ، فجئنا نذوق لذته ونعيش بنعمته ونفخر بسلطانه .

ولئن شعرت بعجزي عن معرفة شخصيتك فهل أشعر بمثل هذا العجز عن معرفة أدبك .

من حسن الاتفاق أن أستقبلك في مجمعنا في شهر أيار في غمرة الربيع فاني أرى بين الربيع وبين أدبك صلة قوية ونسبة شديدة ، هذه أوراقك يا سيدي بين يدي لم أطرحها إلا قبل بضع ساعات ، كنت أطالع هذه الأوراق في أواخر الصيف الماضي في كوخي في بلودان وفي جوار هذا الكوخ فلاح من أهل القرية يربي النحل في بيته ، كنت ألهو برؤية هذه النحل كل يوم ، كنت ألهو بها في الصباح اذا طارت لتتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون وكنت ألهو بها في الظهيرة اذا أكلت من كل الثمرات ثم دوّت حول خلاياها وكم كنت أقول في نفسي : ما أشبه أدبك يا سيدي بهذه النحل ، تطوف النحل فتقف على شجر التفاح أو المشمش أو الاجّاص او السفرجل ثم تعلو فتصعد في الجبال فتجني من زهر الجرود ثم تعود الى خلاياها فيكون العسل خاتمة المطاف .

وهكذا أدبك يا سيدي ما فيه إلا أزاهير وأثمار وعسل فكأن هذه الرقة التي اختصك الله بها انعكست على أدبك في أوراقك فتحولت الى زهر وثمر وعسل فكنتُ اذا تفيأتُ هذه الأوراق واستظللت بظلال غصونها وضربت بعيني في الجداول التي تجري من تحتها وفي الحاشيب التي تنبسط من حولها أشعر بهذه الرقة في كل ورقة من الأوراق وفي كل غصن من الأغصان وفي كل عشب من الأعشاب .

ولكني لما وجدت شبهاً بين أدبك في أوراقك وبين النحل لم أجد الشبه في الشهد وحده ، انك تعلم يا سيدي ان للنحل ابراً وما أظن ان أدبك خلا من أشباه هذه الابر .

لقد باركت لي في قصيدتي «نجوى آدم» من عشرين عاماً وقلت: ان في الأفق الأحمر خيوطاً ذهبية تبشر بالفجر الرائع ثم قلت فيّ اني أعلنت اني ثرت على تقاليد الشعراء فما عدت أحل في المكان الأسمى لا المدح ولا الرثاء ولا الحكمة ولا النكتة ولكني أصف الجمال حيث وجدته وستكون قصائدي صوراً كاملة مثل صور الرسام وقطع الموسيقى .

لقد أبطأت عليك ياسيدي في الشكر ومن قلة وفائي أن لا أشكر لك هذه المباركة الا بعد عشرين عاماً لقد كان في كلامك شهد مثل شهد النحل ولكنا لم نصل الى هذا الشهد الا بعد أن غمس فينا صاحبه ابراً مثل ابر النحل نحمد الله تعالى على ان ابرك ممزوجة بالعسل فهي لا تشبه ابر العقارب الممزوجة بالسم الزعاف ، انك لا تلسع لسعاً ولكنك تقرص قرص النحل وهذا ما يزيد في محبتك الى الناس وفي منزلتك منهم ، أنك لا تبطش بطش الجبارين ولا تعصف عصف الرياح العاتية ولكنك تحف حفيف الورق وتنسم نسيم الصَّبا ، فأنت رقيق في غضبك ورضاك ، في فرحك وحزنك ، في انقباضك وانبساطك .

وكأني بك تقول وما هي الابر التي غمستها فيك لما ذكرت قولي الذي ذكرته انك ياسيدي لم تغمس ابرك فيّ وانما غمستها في المتقدمين .

انك تعلم ياسيدي باني مولع بأولئك المتقدمين ، فعلى الرغم من اطلاعي على يسير من أدب الغرب وعلى الرغم من شغفي بهذا اليسير منه لا أعق الذين أورثوني أدبهم ولغتهم فلولا هذا الميراث الضخم ما كنا شيئاً في العالم لولا هذا الميراث الذي انتقل الينا من الجاهلية والاسلام ثم من بني أمية وبني العباس ما كان للعرب شأن في هذا الدهر فلا تعتب عليّ اذا أولعت ببعض أدب القدماء ولا تلمني اذا كنت أدافع عن بعض مدحهم ورثائهم وحكمتهم ونكتتهم .

اني ياسيدي لا أرى في المدح فناً باطلاً اني اذا قرأت أماديح المتنبي في سيف الدولة لا أشغل ذهني بسيف الدولة نفسه وانما أشغله بالبطولة التي صورها

المتنبي فأبو الطيب في أماديحه كان يصوّر البطولة في أروع صورها وأكمل أشكالها وأتم صفاتها ثم يفتش له عن بطل يفرغ فيه هذه الصور وهذه الأشكال وهذه الصفات ، فالبطل الذي وجده في عصره انما هو سيف الدولة فما كانت أماديح المتنبي الا المثل الأعلى في البطولة وما أظن أنك تنكر شيئاً من هذا المثل الأعلى لقد كانت أماديحه درساً في الأخلاق فان أخلاقنا في حاجة الى البطولة في كل حين وخاصة في هذه الساعات .

أظن أنك تستغرب قولي وتستعد للانقضاض على استعدادك للانقضاض على خصمك في مجلس النواب وقد كنت خفت هذا الأمر منك ثم أمنني من أن أخافه رجوعك عن رأيك او تعديلك لهذا الرأي فقد قلت : وليس يجب علينا اذا أعجبنا بلون من العبقريات الغريبة ان تنتقص عبقرياتنا الوطنية وترميها بالسُخف والجمود بل يجب علينا أن نعجب بالصورة البارعة مهما يكن أسلوبها والى أية مدرسة ينتمي صاحبها .

عندنا صور بارعة ولكنها لا تنتمي الى المدرسة اليونانية التي يُكبّرها بعض متأدبينا تقليداً لأدباء غربيين ... فهل نرمي بها بالبحر اكراماًلليونان المقلدين المجددين .

نحن أنصار الجديد لا نصير له أكثر حماسة منا ولكننا لسنا أعداء لعبقرية العرب ونحن مؤمنون بما آمن به «غوتي» من قبل ، ومؤمنون بأن أوفر الناس حظاً من الانسانية هو الذي يحسن الافادة من عبقرية وطنه .

لا ريب يا سيدي في أن ذكري لهذا الكلام البارع الذي عدلت به رأيك يدخل الفرح على قلوب الذين يتلقونك في هذا المساء فهم على ما أظن مثلي لا يريدون أن ينقلبوا على المتقدمين ، ان مجتمعنا يعيش بالماضي وبالحاضر ولا يجوز له ان يقتصر على واحد منهما فثق يا سيدي باني بعد قولك الكريم وكلامك الطيب لا أفرط في عتابك ، اني أغلق باب العتاب وأعود الى عسلك المصفى والى ابرك الحلوة .

اعذرني اذا كنت لا أترك اوراقك ، هذه الأوراق التي تضمنت أفكاراً تنكرها اليوم واساليب تعافها ، هذه الأوراق التي اردت ان يسموها اوراق الخريف حتى تتعرى منها كما يتعرى الشجر ولكنك لن تتعرى منها ولن تستطيع ان تتعرى الا اذا استطعت ان تتعرى من قلبك وروحك فهي تلازمك كما يلازمك ظلك ، قد تتبدل افكارك ويزيد علمك وتمتد ثقافتك ولكن روحك واحدة في اوراقك ، سواء أسميتها اوراق الخريف ام أزاهير الربيع .

وقد ظهرت آثار هذا العلم الزائد وهذه الثقافة المديدة على كتابك الجليل عبقرية الاسلام في أصول الحكم فانك لما رأيت كما قلت ياسيدي في هذا الكتاب نفراً من المستشرقين يزعمون ان العرب المسلمين خرجوا من البادية لا يعرفون ادارة ولا نظاماً فلما استقروا في الشام والعراق ومصر أخذوا عن شعوب هذه البلاد نظمها الادارية والمالية والقضائية بل أخذوا منها حتى الموظفين الذين يقومون عليها لأن العرب كانوا رجال حرب وما كانوا يصلحون الا للحرب لما رأيت هذه المزاعم قلت في صدر كتابك : هذه المزاعم وأضرابها هي التي حفزتني الى الكتابة في تاريخ الحكم الاسلامي ذلك انني التمست جواباً عليها مقنعاً في الكتب التي تتداولها الأيدي في هذا الفن فلم أجده وانما وجدته متفرقاً في كتب الأدب والتاريخ والتفسير والحديث والسير .

انك ياسيدي لم تظهر في كتابك الجليل عبقرية الاسلام وحدها وانما أظهرت عبقريتك ، واذا كنت تجتزىء مني بهذه العبارة في تعريف كتابك عبقرية الاسلام في أصول الحكم أو في التنبيه على قدر هذا الكتاب فدعني أرجع الى روحك فهي واحدة في أوراقك سواء اسميتها اوراق الخريف أم سميتها عبقرية الاسلام في أصول الحكم .

لقد منحك الله ياسيدي قدرة على نوع من تنسيق الكلام لم يمنحه الا قليلاً من الكتاب واني أحار في اسم هذا النوع من التنسيق ، انك تتدفع في الكلام

على رجل الدولة بوجه عام فعرفه وتصفه وتحصي ما يفتقر اليه من علم او خطابة او استقامة او كتمان او شجاعة او اناة او تجرد من الهوى او معرفة بالرجال هذا كله يمليه عليك علمك وثقافتك وقد تهتدي في هذا اليوم الى صفات ثانية أكثر من الصفات التي ذكرتها ولكنك لا تهتدي الى شيء أكثر مما أوحاه اليك قلبك انك لا تستطيع ان تختم مقالك الا بمثل هذه العبارة :

« أيها السياسي لا يكن همك ان يقدرك الشعب وليكن همك أن تحسن ليقدرك خالق الشعب » .

لقد تنتقل من الكلام على رجل الدولة بوجه عام الى الكلام على أحد رجال الدولة واني لأشعر بأنك لا تريد أن اسميه وأنا اشاركك في هذا الشعور وأطوي مقالك فيه حرمة للموتى ولكني أستأذنك في ذكر عبارة منه وهي العبارة التي تدل على طرز روحك في أدبك ، أرجو ان تسمح لي بأن أقول لاخوانك في المجمع ان هذا المقال ينتهي بهذه العبارة :

« فاذا جاء وطني الى الحكم بعد اليوم فليذكر انه ملك للدولة وان الدولة ليست ملكا له » .

بمثل هذه الروح خفّ أدبك على القلوب فاستلذته واستطابته وثق يا سيدي بأني أول المستلذين المستطيبين وكم كنت أود لو ثبتنا على الصحافة في الجرائد التي تعاونا على انشائها وما أتمنى ما تمنيت الا لأمر واحد ، لهذه الخفة في أدبك وأسلوبك واظن انك آسف في أعماق قلبك على ترك الصحافة وانك ذاكر قول احد رجال فرنسة « الصحافة أكبر من كل وزارة » .

انك يا سيدي في ترك الصحافة حيناً وفي التفكير في الرجوع اليها حيناً آخر حملتني على ان اقول انك لم تشبه النحل في أدبك وحده ، وانما اشبهتها في حياتك كلها ، فكما ترى النحل مولعة بالانتقال من شجرة الى شجرة ومن ثمرة الى ثمرة فكذلك رأك الناس مولعاً بحب هذا الانتقال في حياتك كلها آخذاً بقول « فيكتور هوغو » في بعض كتبه :

انك لا تمدح الرجل اذا قلت فيه ان رأيه في السياسة لم يتغير من أربعين سنة ، معنى هذا انه لم يستفد تجربة في أيامه ولا قلب فكره في الأمور ، اذا مدحت رجلاً على هذا الشكل فكأنك تمدح الماء الراكد او الشجرة الميتة ، كل شيء يتغير في الرأي فلا شيء مطلق في أمور السياسة ما خلا الناحية الأدبية الباطنة في هذه الأمور وهذه الناحية انما هي مسألة ضمير لا مسألة رأي فمن الممكن ان يغير الانسان آراءه دون أن يثلم شرفه ، على شرط ان لا يتغير ضميره وسواء أكانت الحركة الى الأمام أم كانت الى الوراء انها حيوية انسانية اجتماعية .

المخجل ان يغير الرجل رأيه لمنفعة ، المخجل أن ينتقل الانسان فجأة من الأبيض الى الأسود سواء أكان الدافع الى هذا الانتقال درهماً أم كان ديناراً .

لم تكن يا سيدي في سياستك ماء راكداً ولا شجرة ميتة انك مولع بالحركة ، لأنك وجدت فيها مظاهر الحياة والانسانية والاجتماع واذا انتقلت فجأة من فكرة الى فكرة في سياستك فلم يتغير ضميرك في هذا الانتقال ويشهد الله ان الناحية الأدبية الباطنة في أمورك لم تثلم ، فقد كنت في حياتك وسياستك ووزارتك عفيف اليد ، عفيف القلب ، ولم تجتمع هذه المنة لكثير من الناس !

ما لنا والسياسة .

ما لنا والوزارات .

سادتي أساتذة المجمع !

لقد دوّت في خليتكم نحلة جديدة ، فالعقوا عسلها وعوذوا بالله من إبرتها .

شفيق جبري

كلمة الدكتور منير العجلاني

سيدي معالي الرئيس الجليل ، صاحب المجمع ، سادتي الأجلاء

ما أخطأ العميد شفيق بك جبري التشبيه ولا ظلمني ، ولكنه أصاب وأنصفني ، فأنا نحلة ... نحلة طوفت في السهول والحقول ، والرياض والغياض ، تطلب الزهر الندبان والعشب الريان ، لتحمل منها ، جنى طيباً ، الى أمراء ينتظرونها في مملكة الخالدين ، نحلة لم تنس موعدها ولم تخن سيدها ؛ ولكنها تكثرت ، فتأخرت ؛ بدأت كتاباً في التاريخ أسمته « علي ومعاوية » وبدأت كتاباً آخر في القصص أسمته « المطلقة » وبدأت كتاباً ثالثاً في السياسة أسمته « الفقه الدستوري » يقع في ازيد من ألفي صفحة : كتب ثلاثة كانت ترجو ان الحاجب الواقف على بابكم يعرفها بها ، فيدخلها عليكم موفورة الكرامة ، ولكنها ادركت بأخرة سوء فكرها ، فجاءت اليكم بضعفها وبفقرها ، كما جاءت الهدهدة الى سليمان : هديتها على مقدارها ، لأنه ليس في الدنيا هدية على مقداركم .

سادتي ،

من هذه المدينة ، خرجت طلائع المجد التي فتحت اسبانيا وصنعت معجزة الأندلس ، من هنا طار صقر قريش ، من هنا خرج القادة والسادة ، والعلماء والفقهاء ، والشعراء والأدباء ، والصناع والفلاحون ، يحملون مشعل الحضارة العربية الى الغرب الغارق في الجهالة والضلالة ، فاذا جاءت الى بلادنا بيوتات كريمة من المغرب ، فانها لا تفد علينا جالية أجنبية ، وانما هو المغترب يرجع الى الوطن ، بل الطير يعود الى عشه الأول ، تسوقه غريزة لا تخطئ .

منذ مئة وعشرة أعوام ، استقبلت دمشق قبضة من أشراف الجزائر وعلمائها ، فروا من الوطن الى الوطن ، وكان جد فقيدنا الكبير في مقدمة هؤلاء النازحين

أو العائذين الذين توارثوا العلم والفضل كابراً عن كابر ، وقد ولد له ولد أسماه «محمد» علّمه فأحسن تعليمه ، فكان عالماً أديباً متديناً زاهداً ، يقبل الناس على دروسه اقبالاً منقطع النظير ، وولد فقيدنا من محمد هذا ، رحمهما الله .، وقد سمي عبد القادر ، تيمناً بالأمير عبد القادر الجزائري ، وكان أبوه راضياً عنه ، معجباً بذكائه وخلقه وجده ، وهو الذي علمه مبادئ اللغة والدين ، ونشأه تنشئة صالحة ، ثم أرسله الى المدرسة الرشدية العسكرية فلم يلبث فيها الا قليلاً ، ثم عاد يقرأ على أكابر الشيوخ التفسير والحديث والفقه وعلوم اللغة ، وبرع في كل أولئك ، ولكنه آثر الاختصاص باللغة ، وأدرك أبوه ذلك فطلب منه التوفر على شرح مقصورة ابن دريد ، ففعل ، وفي عام ١٩١٠ أقامت الحكومة مسابقة لاختيار أستاذ لتدريس اللغة العربية في المدرسة السلطانية بدمشق ، ففاز فقيدنا فوزاً مبيناً ، وبقي أستاذاً للغة في هذه المدرسة نحواً من ثلاثين عاماً ، لم ينقطع عنها الا مدة يسيرة ، درس خلالها في المدرسة الحربية وفي مدرسة الأدب العليا ثم درس في دار المعلمين العليا ، وتذكر لنا مقالة نشرتها مجلة المجمع انه انتخب عضواً في لجنة التعريب (التي كان لها أثر جليل في تعريب كثير من المصطلحات الادارية والعسكرية وغيرها ، وانه كان من أجل أعضاء المجمع وأقدمهم ، رافق المجمع منذ تأسيسه وساعده بعلمه وعمله .. واشترك في كثير من لجان التصحيح والتعريب .. وكانت اللغة أبرز نواحي الشيخ .. فقد شغف بدراستها منذ حداثته واشتهر باطلاعه الواسع عليها وتفوقه فيها حتى عرف بالقاموس السيار ، وكان له ولوع خاص بالشعر الجاهلي والغريب من اللغة ، وكانت معرفته باللغة معرفة تحقيق وتدقيق ، فقد يستدرك على كتب اللغة والمؤلفين وأصحاب المعاجم ، فكان حجة في هذا الباب ، فلا تكاد تسأله عن لفظة حتى يذكر لك معناها وما ورد فيها من الشواهد من كلام العرب وما يدور حولها ويناسبها من النوادر الأخرى ، ومن نواحيه التي اشتهر بها أيضاً ، السيرة

وتراجم الرجال ، فكان راوية حافظاً للأخبار والتراجم ، كثير الولوع بمطالعة كتب التاريخ والتراجم ، حتى يكاد يعرف ما ورد في ثناياها من الطرف والأخبار ، أمثال وفيات الأعيان ومروج الذهب وابن عساكر) الخ ..

سادتي ،

ذلك ما كتبته مجلة المجمع ، وهو قول حق ، فقد كان أستاذنا الكبير من أعلم الناس بفقه اللغة ، ومن أحفظهم لشواهدها وشواردها ، لا يمل طلبها في مظانها ، ثم لا يمل تأديتها الى جمهور طلابه واخوانه ، كان زنجي اللغة ، وأسألكم العفو عن هذا التعبير أصف به سيداً حلاحلاً ، انما أحيي بذلك وصفاً لابن عبدون ، وجدته في رسالة الرقيق ، قال : لو وقع الزنجي من السماء الى الأرض ، ما وقع الا بايقاع .

أفعرفتم وصفاً أبلغ في الدلالة على غلبة الصنعة ، تغلغلت في كل ذرة من ذرات الجسم ، وعلى قوة الطبع ، يبرز في كل حركة من حركات النفس ؟ كذلك كان فقيدنا الكبير ، لو وقع من السماء الى الأرض ، ما وقع الا بلفظة يهجيها ، أو كلمة يفسرها ، أو بيت ينشده ، أو مثل يردده ، كان فقه اللغة ، صنع رجلاً .

سألتني مجلة « الأديب » ، يوماً ، من هو الكاتب ؟ فاستعرت لها كلمة منذر ابن واصل ، قيل له كيف شهوتك الى الأدب ؟ فأجاب : أسمع بالحرف منه لم أسمعه ، فتود أعضائي لو أن لها أسماعاً تتنعم مثلما تنعمت الآذان .

لقد حقق فقيدنا المبارك أمنية ابن واصل ، فكانت أعضاؤه تتنعم بما يلذه من لفظ أو معنى مثلما تتنعم أذناه ، وكان يؤدي هذه الألفاظ والمعاني الى الناس على صورة مخصوصة ، هي : « الصورة المباركية » . كان كلامه الحركة تتكلم ، وكانت حركته الكلام يتحرك ، بل الكلام يرقص ، حضرت بعض مجالسه ،

رحمه الله ، فكنت كمن يرى أمواج البحر تتلاطم ، ولو رأيته ساكتاً صامتاً ، لبقيت له في نفسي صورة البحر المائج .

كان يدرس اللغة في قاعات كبيرة ، بين أيدي طلاب خبثاء ، فجعلت سعة القاعة يتكلم ككبير الصوت ، وجعله خبث الطلاب أشد منهم مكراً ، فان رغبوا عن العلم فقد عرف كيف يرغبهم في العلم ، باسلوب بارع يفتح به مغاليق نفوسهم ، وينشط عقولهم ، وهذا الأسلوب يتنقل به بين نصح الواعظ ، ومجون المضحك ، ونكتة الظريف ، ومنطق العالم ، ولعل سر نجاحه العميق انه كان مؤمناً برسالته ، مبشراً بمعتقداته ، ينزل الى مستوى طلابه ، ولا ينتظر منهم أن يصعدوا الى مستواه . من الأساتيذ من يجلس على المنبر لا يفارقه ، أما المبارك فكان يذرع قاعة الدرس ، شمالاً وجنوباً ، وشرقاً وغرباً ، كان كل مكان في القاعة مكانه ، ولم يكن مكان في القاعة مكانه ، ولو أن طالباً في أقصى الصف همس في أذن رفيقه همسة ناعمة لسمع لها من فم الأستاذ الجواب الذي يرتضيه التلاميذ كلهم ، ولا يرون جواباً أحلى منه ، وانهم ليتضاحكون له مهما يكن شديداً عليهم ، فقد حببه اليهم انه يحبهم وانه صريح لا حد لصراحته .

ترك لنا الأستاذ المبارك كراسات صغيرة مدرسية ألفها في أول عهده بالتدريس ، ولا يصح في رأيي أن يعول عليها في تقدير مبلغ علمه واطلاعه ، ولكنها تدلنا على ناحية لطيفة في (تحول) أسلوبه فقد كانت كتابته سهلة جداً ، لا أثر التكلف فيها ، وانك لتطلب فيها اللفظة الغريبة فلا تجدها ، بل ان المبارك ليدعونا هو نفسه الى اطراح التكلف ونبذ الغريب . قال لطلابه في المدرسة الحربية ، يعلمهم واجبات الخطيب : ليكن أول ما يطرق أسماع مخاطبيه لذيذ الألفاظ ومأنوسها لأنها مغناطيس القلوب . وقال لهم في دروس الانشاء الرسمي : «يشترط فيه ان يكون بلغتها الرسمية مع تجنب الكلمات الغريبة والوحشية ،

والعامية والأجنبية ، وان تكون عبارته جزلة ، متينة ، جدية ، صريحة في افادة المرام » .

لقد جنت على فقيدنا النالي قصيدته القافية المشهورة :

(لم يا مهيب الجد هيب الراقي الحسن منظر ثوبه البراق ؟)

وما زال الناس يجدون فيها الدليل على تكلفه وولعه بالغريب . يقول قدامة ابن جعفر ، في كلامه على عيوب اللفظ وحوشي الكلام : « هذا الباب يجوز القدماء ، ليس من أجل انه حسن ، لكن من شعرائهم من كان اعرابياً قد غلبت عليه العجرفة ، ومست الحاجة الى الاستشهاد بأشعارهم في الغريب ، ولأن من كان يأتي منهم بالحوشي لم يكن يأتي به على جهة التطلب والتكلف ، لما استعمله منه ، لكن بعادته وعلى سجية لفظه ، فأما أصحاب التكلف لذلك فهم يأتون منه بما ينافر الطبع وينبو عنه السمع » .

وفي اعتقادي ان المبارك ، رحمه الله ، عاش في دنيا هذا الشعر القديم ، يفسره لتلامذته ، وأصحابه ، ويظهر لهم ما خفي من محاسنه وجعل ذلك ديدنه وهجيراه ، حتى استأنس بغريبه ، فاستعمله في شعره غير متكلف ولا متعجرف .

سادتي ،

كانت اللغة العربية معشوقة المبارك ، ولولا التقى لقلت مع الحريري : معبودته جلت قدرتها ، واني لشديد الحرص على أن أقرأ لكم صفحة نشرتها له مجلة المجمع في عنوان لغة المتنبي ، فان هذه المقالة لا تصف المتنبي ، وانما يصف فيها المبارك نفسه . قال : « أبو الطيب له ولع ودربة باستعمال الفصيح في شعره ونثره وسائر كلامه ، فاذا حاول العدول عن منهاج اللسان المضري القديم لم يستطع اليه سبيلا فما أصدقه في قوله :

وكلمة في طريق خفت أعربها فيهتدى لي ، فلم أقدر على اللحن

... فالمتنبي يستسهل بذل نفسه في سبيل صيانة لغته التي يفديها بروحه ، وكأنه يقول ، لا بارك الله في الحياة بعد ضياع اللغة - من أجل ذلك رأى ارتكاب ما فيه خطر على حياته أهون من ارتكاب ما فيه خطر على لغته .

... ومن أشباهه في الشنشنة ذلك الأمير جبلة بن عبد الرحمن الذي كان يكتب باللسان المبين أسماء الأطعمة التي يريدها في رقاع يبعث بها الى طاهيه ، وكان هذا لا يقدر على الاستقلال بفهمها لضعف عربيته فيراجع ابن ابي اسحق الحضرمي أو يحيى بن يعمر العدواني للاستيضاح عما كتبه له سيده جبلة في تلك الرقاع ، فاذا عرف ما فيها من أنواع الأطعمة أتاه به ، وكان من أجل ذلك يبطئ عليه في احضارها فقال له : ويحك أيها الطاهي ما بالك تبطئ كأنك تريد بابطائك أن تحملني على الصيام .

فقال له الطاهي : سهل كلامك أسهل طعامك .

فقال له سيده : يا ابن اللخناء ، أفأدع عربيتي من أجل عيك !

... لا جرم ان لهؤلاء المطبوعين في كلامهم أن يعجبوا ممن يلحن ويتهاون بالاعراب ويحيد في كلامه عن سنن الصواب ، كالاعرابي الذي كان يقول :

عجبت للتجار الذين يلحنون فيستطيعون مع لحنهم أن يربحوا في متاجرهم ، وكالذي سمع بعض الخلفاء في العهد العباسي يلحن في كلامه ، فقال : لولا القضاء والقدر لما قدر أن يكون هذا خليفة ، ولكن قدر فكان .

* * *

هذه هي نظرة المبارك الى اللغة ، كانت عنده معيار عظمة الرجل أو حقارته ، فمن ربح في تجارته أو ساد في امارته ولم يكن يعرف اللغة فانه غني حرب ، على حد التعبير العصري ، لم يتأدب بأدب الفضلاء ولا استحق الثروة التي له ، وينبغي للناس أن يحتقروه .

ترك لنا الفقيد كتاباً واحداً ، يصح ان يسمى كتاباً هو ، شرح مقصورة ابن دريد ، ولم يطبع حتى اليوم ، يقع هذا الكتاب في نحو ٨٠٠ صفحة ولعله لا يزيد في الطبع على ثلاثمائة صفحة ، وفيه فوائد كثيرة لغوية وأدبية ولا يخلو من فوائد تاريخية ، كقصة الزباء وغيرها ، وأرجو ان يطبعه مجمعنا الحبيب ، فان لم يفعل استأذنت أبناءه بالاقدام على طبعه ، حتى ينتفع به الناس ويقف شاهداً على فضله ، أما الشهود الآخرون ، فهم طلابه ، لأن الفقيد كان معلماً قبل كل شيء ، وفوق كل شيء ، مثله في ذلك كمثل سقراط في الروم ، لم يخلف كتاباً ، ولكنه خلف طلاباً .

سادتي ، قرأت في بعض كتب الأخلاق ان رجلاً دخل روضة جميلة ، تمهدت طرقها ، وتناسقت أشجارها ، وتألقت أزهارها ، فوجد على كل شجرة لوحة كتب عليها اسم الذي غرسها او اهداها ، تنطق بفضله وتدعو الى التشبه به ، ولكن الذين علقوا هذه اللوحات نسوا شيئاً واحداً ، نسوا ان هذه الروضة كانت مستنقعاً موبوءاً ، تحيط به التلال والأخاديد ، ويغمره الشوك والحشيش والفطر ، وان الذي أعدها للحياة ، واستحق ان يذكر اسمه مع كل الأسماء ، هو شيخنا عبد القادر المبارك ، فان كان لم يغرس شجرة ، فقد مهد الأرض التي غرست فيها الأشجار ، وغذاها ورواها ، رحمه الله .

* * *

سيدي العميد جبري ،

كانت خطب الجامع في فرنسا خطباً متزمتة ، متكلفة ، ليس فيها معنى بكر ولا فكر حر ، وانما هي قطع بيانية وبديعية ، حتى قيل في وصف كل خطاب ضخم الألفاظ ، هزيل المعاني انه خطاب مجمعي (اكاديميك) ، بل ذهب «ده موسه» الى أبعد من ذلك ، فشبه عراء حسن ، في قصيدته «نمونه» بعراء الخطب

الجمعية . فأين هذا من خطبنا ؟ ان كلامك ياسيدي العميد لو قيل في عصر دي موسه ، لشبه به كل شيء جميل وكل معنى لطيف . لقد قلبت تقاليد المجامع رأساً على عقب ، وجعلت استقبال المجمع شبيها باستقبال مدرسة سان سير ، فان كان المثل يقول : رب رجل يقاد الى الجنة بالسلاسل ، فانك قادر على ان تقود الرجل الى الجنة بل الى النار ، على نغمات مزمارك الملهم وهو راض وقرير عين .

سيدي العميد ،

لا أجيز لنفسي ان انبه على عبقريتك وان ارد ثناءك بمثله ، فالثناء في المجمع يوهب ولا يباع ، وقد أوكل اليك التعريف بي ، وأوكل إليَّ التعريف بالأستاذ المبارك ، وما ينبغي لأحدنا ان يخرج من الدائرة التي رسمت له ، ولكني أستأذنك في توضيح بعض ما خفي من امري ، وليس في العالم شيء يلتبس عليك ... ، ولكنك أردت ان تدفع عني شيئاً مما توهمه بعض الناس ! بدأت بتغير الرأي ، فأغدقت عليه من الثناء ما حببه الي وجعلني اتعلق به . بالغ (روسو) في وصف الطبيعة الوحشية والتغني بمفاتنها ، حتى قال له (فولتير) مداعباً : لقد عدت أتشهى المشي على أربع !

وانا ايضاً عدت أتشهى تغيير الرأي كل يوم . ومن أين ؟ وانا اكثر تمسكاً برأيي مما يظن ، وما ينسب الي من تغير وتحول ، ليس أكثر من وهم ! ان الذين عملت معهم هم الذين غيروا آراءهم او تغيروا ، واما انا فبقيت ثابتاً ، وما بدلت تبديلاً . يقول بعض الكتاب الغربيين ان الناس في المكسيك لا يسألون عن الرجل من أي حزب هو ؟ ولكنهم يسألون : من أتباع أي رجل هو ؟ وهكذا الناس عندنا ، متى عملت مع رجل عدوك من أتباعه فاذا خالفته أو عملت مع آخر ، ارتكبت في نظرهم جناية ، وكنت كمن يهجر جنسيته ويتخذ

لنفسه جنسية وطن آخر ، هذا هو الوهم ، فان العمل مع رجل لا يعني الخضوع اليه او الفناء فيه ومحابته على الخير والشر ، واني لأنزه نفسي عن مثل هذه المبرديات . ان التغير الذي ينسب الي نوع من خداع البصر ، يشبه قول الراكب في قطار ينهب الأرض ان الطريق تمشي ؛ وانا فوق هذا وفي لاخواني فان تنكروا لي لم أتنكر لهم ، ولم أفارقهم الا في مرحلة اليأس ولست أقول مع ابن الرومي :

حبي شديد وكذاك وجدي

للخير والشر بقاء عندي

كالأرض مهما استودعت تؤدي

فانا اؤدي الخير ، ولا أرد الشر بمثله الا قليلاً ؛ ومتى ارتضيت لنفسي حزباً له أهداف ومناهج واضحة ، عرف الناس مبلغ تمسكي بالحزبية الصحيحة . لقد اعتذر لي العميد عن ذنب لم أرتكبه ، جزاه الله خيراً كثيراً .

ويذكر العميد ان لي ورقة أتلهى بالكتابة عليها كلما تكلم انسان امامي ! .. ان هذه الورقة لا تدل على الانصراف عن التحدث والسباحة في بحر الأخيلة ، انما هي عادة قديمة ، قد تكون موروثة وقد تكون مكتسبة ، ولكنها على كل حال تعين على تركيز الانتباه ، وأنا ، بعد ، وان كنت أنجو بقلبي وعقلي من بعض المجالس ، فاني لا افر الا من مجالس الجهلة والثرثارين ولو ملكت اكثر من عقل واكثر من قلب لأحضرتها مجالس العميد جبري ، فليس شيء عندي أجدر بان يحرص عليه ويسار اليه .

أما تشبيهي بالصندوق المطلي بالذهب ، لا يعرف ما في داخله ، واكتفاء العميد بظاهري حتى لا يتعب نفسه ، فليس بالكلام الموجه ، الذي يحتمل المدح والذم ، ولكنه أسلوب خاص في النظر الى الحياة .

كلا يا سيدي العميد ، انا لست لغزاً ، وانما انا رجل كسائر الناس ، وقد أكون أقرب الى الصراحة من كثيرين عرفوا بالصراحة . وليس أدب الحديث مما يؤخذ على دمشق ، « فالتدمشق » عنوان الرقة والمجاملة ، ونحن من دمشق ، شئنا أم أبينا ، وليس تكريمك الضيف ليعني أنك ملزم ، بان تثني على سياسته في مجلس النواب مثلاً ، فحق الوطن عليك فوق حق الضيافة ، ورقة الانسان في مجالسه ، لا تستوجب منه الرقة في عمله الحكومي ، حتى يقال انه « منسجم » السيرة متسقها ، ولو ان احدنا كان مطالباً بان يدير وجهه عن كل رجل لا يحبه او لا يرضيه بعض خلقه او بعض عمله ، لرأيت الناس يمشون في الشوارع ورؤوسهم الى الأرض حتى لا يروا أحداً ، ولو تكاشف الناس بكل ما في قلوبهم لما استطاعوا ان يعيشوا .

وبعد ، فلعل سيدي العميد يصنع بي صنيع الأمراء ، يجرحني ليعطيني مكافأة على الجرح سهماً من ذهب ، أو لعلها مداعبة اليعسوب للنحلة ... يضيع فيها السم القليل في العسل الكثير ، وكأن هذا السم القليل عنصر من عناصر الجودة في العسل ، أو بمنزلة الدواء المقوي او المشهي .

بقيت نقطة أخيرة ، هي انكار العميد علي دعوتي الى أدب جديد وغمزي من قناة الشعراء القدامى ، فليعلم ، سيدي العميد ، أعز الله به الأدب والشعر ، ان الشعراء الأقدمين مفخرة من مفاخرنا القومية ، وقد أدوا رسالتهم كأحسن ما تؤدى الرسالات ، وأنا لا أدعو الى تسفيههم أو تجاهلهم ، ولكني أدعو الى اكمال رسالتهم .

ان الحضارة الحية عمل مستمر ، مبدع ، وليست متحفاً تصف فيه التماثيل صفاً لتعبد . لما أخذ العجوز (روكفيار) ولده الفتى الى مقبرة الآباء ، قال له : يا ولدي عما قريب أموت وترثني ، فانظر ! ها هنا صورة الذي يبقى ، ان تمجيد

الموتى ، سر خلودنا ، ما هي حياة الرجل ؟ ما هي حياتي ؟ ان كان الماضي والآتي لا يرسمان لها معناها ووجهتها » .

لقد ذكره بحق الموتى ، ولكنه لم يعفه من حق الحياة ، ذلك ان الحياة برزخ بين الماضي والمستقبل ، فمن أراد الحياة ماضياً فقط ، فانما يريد الجمود ، ومن أراد الحياة مستقبلاً فقط ، فانما يريد الجنون . ان الكعبة لم تزل من الوجود ، يوم حطم الرسول الأعظم أصنامها ، فقد أودع فيها روحاً أقوى من كل تلك الأصنام التي كانت تسكنها ، وأنا لا ادعو الى تحطيم الكعبة ، كعبة الشعر ، ولكني أدعو دعوة الاسلام : نخاطب الله بقلوبنا وعقولنا ، لا بقلوب الأصنام وعقولها .

ان اجدادنا نقطة انطلاق لنا ، وليسوا نقطة انتهاء ، والزمن لم يقف حيث وقفوا . لقد تركوا لنا لغة جميلة ، غنية ، تسع كل عاطفة و كل فكرة ، فما ينبغي لنا ان نقف منهم موقف ذلك الشاعر الذي أراد معارضة بيت من الشعر ، فأعاده .. كما هو ، ان هذا معناه التحجر والموت . لقد استمد أجدادنا شعرهم من حياتهم ، ويجب علينا أن نستمد شعرنا من حياتنا . هذا ما دعوت اليه ، وانا لا أبشر بعد بالسخافات الشعرية الجديدة ، فان الشعر المتين الرصين هو الذي يكتب له الخلود .

ظهرت في فرنسا في أوائل هذا العصر أربع عشرة مدرسة وهي : (الطبيعية) و (الانسانية) و (الترفية) و (الثروية) و (التركيبية) و (التمامية) و (الاغرائية) و (الاخلاصية) و (الكثيفية) و (الازدواجية او الثنائية) و (التكعيبية) و (الدادائية او الحارية) و (المستقبلية) و (الاجتماعية) ، الى مدارس أخرى فوق الواقعية ، ووراء الخيالية .

كل أولئك مذاهب في الشعر قد نجهل في بلادنا حتى أسماءها ، ولكنها كانت في فرنسا ، مدارس لها قادتها وأتباعها ، ومناهجها ومجلاتها ودواوينها ولها بعد هذا كله نواديها ومقاهيها الخاصة !

أفتعرف أين ولدت هذه المدارس ؟ ولدت في مجالس الحشيش وحانات الخمر ، ذلك ان شعراء هذه المدارس الجديدة يزعمون أن « الواقع » شيء لا يؤبه له ، وان العقل عدو للانسان ، ينبغي له أن يتحرر منه . دخل رجل على جماعة من هؤلاء الشعراء وهم يدخنون السجاير في مقهى ، فقال لهم : لقد أسرفتم يا قوم في الخيال ، فعودوا الى الحقيقة والواقع ، فأجابوه : الواقع ! ما الواقع ؟ انه عقب هذه السيجارة ، وأعقاب السجاير ترمى بها الأرض ، أما الدخان ، أما الخيال ، فهو وحده الذي نكرمه ، وهو وحده الذي يصعد الى السماء .

ما هو العقل ؟ العقل شيء يعقل لسانك وقلبك وجسمك ، شيء يحجر عواطفك ويبلد ذهنك ، العقل هو هذا القالب الفولاذي الذي « يضغط » على الفكرة ويسجنها ويمسخها .

.. ذلك لون من ألوان التفكير ، أو قلة التفكير ، أما أنا ، فمن الذين يؤمنون بالعقل ، ولكن العقل الذي آمنت به هو العقل الذي يجدد ويولد ، لا الذي يسرق ويقلد .

سادتي ،

- يقولون ان حياة الأديب تنتهي في المجمع ، أما أنا ، فلم تكن لي من قبل حياة أدبية ، وقد انتخبتم فيَّ محب الأدب لا الأديب ، إن حياتي تبدأ اليوم ، إن شاء الله . والسلام عليكم .

منير العجلاني

خطاب آغا خان

في مؤتمر العالم الاسلامي (١)

لاتخاذ العربية لغة رسمية لباكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الرئيس ـ اخواني المسلمين ·

باستطاعتي ان أؤكد لكم أنني شاعر بخطورة ما سأقوله الليلة ، عالم تماماً ان هذا الكلام سيثير حولي سخط جماعات من سكان البلاد لها مكانتها وقيمتها · غير انني اكون عاقاً للاسلام اذا أضعت هذه الفرصة الثمينة من غير أن ادلي بآرائي امام اهل هذه الدولة الاسلامية القوية الواسعة الأطراف ، هذه الآراء التي يحفزني واجبي الى أن أذيعها على المسلمين ، مقرونة بما يستوعبه مثل هذا الخطاب القصير من أدلة وقرائن ·

انني أخشى ان يسيء بعض هذه الحجج اساءة شديدة الى أولئك الذين كانوا ـ في أحوال تختلف تماماً من الأحوال الحاضرة ـ قد وقفوا كثيراً من سني حياتهم يعاضدون القضية التي أعتقد أن اهميتها اليوم قد تضاءلت أمام الأحداث العظيمة التي غطت عليها مما لم يحلم به أحد في تلك الأيام السالفة ·

وانا أشعر ان التبعة عليّ في ذلك هي أعظم مما اعتقد انني أستطيع الادلاء فيه بحججي امام اهل الباكستان المسلمين بمجموعهم ـ كل مقاطعة بمفردها ، وكل المقاطعات بمجموعها ـ بينما أرى اننا لم نخط بعد ـ لحسن الحظ ـ خطوة يمكن أن تكون قاضية على دستور هذه الدولة الفتية ·

---

(١) المنعقد في كراتشي في التاسع من شباط ١٩٥١ ·

ان لغة أمة من الأمم ليست وسيلة للتعبير عن صوتها فحسب بل هي طريقة التفاهم بين جميع الهيئات الانسانية الأخرى . وها انا ذا، الرجل العجوز، أتضرع الى اخواني في الاسلام هنا، قبل أن يسبق السيف العذل، ان لا يقرروا الاردية نهائياً كلغة الباكستان الوطنية . بل أن يختاروا اللغة العربية، راجياً ان يصغوا الى حججي في ذلك .

ان أول حججي ضد اتخاذ اللغة الاردية لغة وطنية هو : لو ان القسم الثاني الذي كان يؤلف مع الباكستان امبراطورية الهند البريطانية قد اتخذ الاردية لغته الوطنية، لكان في ذلك للباكستان عذرها في أن تحذو حذوه، إذ تكون الاردية رابطة لغوية ونقطة اتصال عظيمة مع هذه الجمهورية الواسعة في الجنوب .

يشهد الله انني آخر من يريد أن يهدم اي جسر للاتصال والتفاهم بين الباكستان وجارتها الكبيرة . غير ان الواقع هناك، ايها الأصدقاء، هو ان اللغة الهندوكية قد حلت محل اللغة الاردية ومحل اللغة الهندستانية ايضاً، كلغة وطنية .

ولقد كان سكان الهند على حق في اختيار أية لغة شاءوا لجعلها اللغة القومية ما دامت الأكثرية تعتقد أن تلك اللغة موافقة لها وذات صلة بتاريخها القديم . أما اختياركم انتم في الباكستان اللغة الاردية فليس من شأنه أن يحسن ولا أن يوثق صلاتكم مع جارتكم الجنوبية، كما انه لن يساعد الأقليات المسلمة هناك مساعدة كبرى . ومها أضفنا من كلمات عربية او فارسية جديدة الى اللغة الاردية فليس باستطاعتنا ان تنكر أن النحو والتركيب وأسس هذه هندوكية لا عربية .

هل كانت الاردية لغة مسلمي الهند في ابان مجدهم ؟ كلا فهي لم تتخذ لغة

الحكام أثناء حكم الباتان الطويل . وفي زمن المملكة المنولية المجيد لم تعتبر لغة المثقفين ، فهل بامكان أحد من الناس أن يبرز رسالة كتبها احد الاباطرة مثل اورنجزيب أو شاه جهان أو جها نجير أو أكبر أو همايون أو بابار باللغة الاردية ؟

انني أتحدى ! إن لغة البلاط كانت الفارسية وأحياناً التركية .

لقد قرأت الكثير مما كتبه اورنجزيب وكل ذلك باللغة الفارسية الجميلة . ومثل هذا يصدق أيضاً اذا زرنا تاج محل وقرأنا ما نقش على مدفن الامبراطور ومدفن حليلته المشهورة .

وكذلك كانت الفارسية لغة البلاط ولغة الطبقات المثقفة الى أوائل القرن التاسع عشر . حتى في البنغال البعيد فان المثقفين من الهندوكيين اتخذوا الفارسية لغة الأدب والمخاطبة لا الاردية . وحتى أيام «ماكولي» ظلت الفارسية لغة الطبقات الارستقراطية في البنغال بصرف النظر عن اختلاف مذاهب البنغاليين . كما كانت أيضاً لغة الوثائق الرسمية ومجالس القضاء .

لنقف من الحقائق التاريخية وجهاً لوجه . ان الاردية أصبحت لغة الهند الاسلامية بعد ذهاب دولتها ، وهي لغة مرتبطة بعهد الانحلال . ان شعراءها العظام هم شعراء هذا العهد ثم ان ساسة هؤلاء العظام كان محمد اقبال الذي أوحى اليه حب احياء المجد الأدبي أن يهجر الاردية كلغة للشعر الى الفارسية .

حضرت استقبالاً أقيم على شرف اقبال نظمه رجال مثل البروفسور نيكلسون ، وقد قال فيه اقبال نفسه انه اتخذ الفارسية لغة لشعره لأن الشعر الفارسي مرتبط بعظمة الحكم الاسلامي لا بحقبة انحلاله .

وبعد ، أفمن الصواب أن تصبح لغة عهد الانحطاط لغة وطنية لما نتمنى أن يكون أعظم ما نصبو اليه من اليقظة القومية . ان كبار أساتذة الاردية

عاشوا في حقبة الجمود والفشل . وفي ذلك الزمن كانوا على حق في استعمال لغة أصلها هندوكي أضافوا اليها عدداً من الكلمات العربية والفارسية ليجدوا سبيلاً للتفاهم بينهم وبين السواد الأعظم من مواطنيهم يومذاك . أما اليوم وقد انقسمت الامبراطورية الهندية قسمين قام فيها أمتان عظيمتان فان العالم بأجمعه يأمل من كلا الطرفين أن يطمئن نهائياً الى هذا الوضع . أنا أسألكم ، هل الاردية هي اللغة الوطنية الطبيعية لسكان الباكستان الحاليين .. ؟ هل هي لغة البنغال حيث تعيش أكثرية الباكستانيين المسلمين .. ؟ هل هي اللغة التي تسمعونها في شوارع داكا وشيتاغونغ .. ؟ أهي لغة الحدود الشمالية الغربية أم هل هي لغة أهالي السند أم لغة أهالي البنجاب .. ؟

لا ريب في ان المسلمين والهندوكيين قد رأوا من الصواب بعد سقوط الامبراطورية المغولية أن يتخذوا في بعض المقاطعات لغة تجمع ألسنتهم ، ولكننا نحن اليوم في حاجة الى أشكال أخرى من الوسائل للوصول الى تفاهم متبادل .

من ذا الذي خلق الاردية .. ؟ وأين كانت منابعها .. ؟ وعن أي طريق أتت .. ؟

أما الذين خلقوها فهم حواشي المعسكرات ، وأما منابعها فكانت في صفوف المرتزقة الذين تجمهروا حول البلاط الامبراطوري . أولئك هم الذين تبنوا تلك اللغة . وجعلوا — وهم يتسكعون في طريقهم المملة — يحشرون الكلمات العربية والفارسية كلما احتاجوا اليها في نظام النحو من لغتهم الهندوكية كما فعل أحفادهم في الأيام الأخيرة حينما جعلوا يضيفون الكلمات الانكليزية من أمثال «جلاس» و «كب» ، تلك التي أصبحت جزءاً من اللهجة الاردية الحديثة التي تدعى بالهندستانية .

أتريدون أنتم الآن أن تجعلوا لغة المعسكرات أم لغة البلاط اللغة الوطنية لهذه الدولة الجديدة ..؟

كل طفل مسلم ، أهله على شيء من اليسار ، يتعلم القرآن الكريم باللغة العربية سواء أكان من داكا في الشرق أم من كويته في الشمال . ثم هو يتعلم الأبجدية العربية ليتعلم القرآن . ان اللغة العربية هي لغة الاسلام . لقد نزل القرآن عربياً ، وجاءت أحاديث النبي عربية . وكذلك كانت ذروة الثقافة الاسلامية في الأندلس عربية . فعلى أولادكم كلهم أن يتعلموا شيئاً من العربية في كل حين . ثم ان هذا ينطبق على الباكستان الغربية في السند وفي بلوخستان وفي الشمال .

واذا تأملنا الأمر من ناحيته العملية والعالمية وجدنا ان اتخاذنا اللغة العربية لغة قومية لا تتيح لنا فقط اتصالاً وثيقاً باربعين مليونا من العرب الذين يسكنون الى غربنا في دول مستقلة ، بل هو يوثق صلاتنا بستين مليوناً آخرين يتكلمون العربية الى حد ما ويعيشون في بلاد غير مستقلة في افريقية على الأخص . والى سواحل افريقية على المحيط الأطلسي نجد طبقات الشعب العليا تعرف العربية .

هذه المعرفة غير مقتصرة على الشمال بل هي تمتد جنوباً الى نيجيريا وشاطئ الذهب ، وفي جميع الأصقاع السودانية سواء منها تلك التي على ضفاف النيل أو التي تئن تحت الحكم الفرنسي ، نجد اللغة العربية لغة البلاد المنتشرة حتى تخوم الجزء البرتغالي من غربي افريقيا . وكذلك نجد اللغة العربية معروفة في شرقي افريقيا لا في زنجبار وحدها بل بين المسلمين من سكان البلاد المترامية ما بين مدغشقر وبين شرقي أفريقيا البرتغالية .

أما اذا توجهنا الى الشرق لنتعرف الى مقام اللغة العربية فيه وجدنا ان الاسلام قد انتشر وازدهر بين ثمانين مليوناً من أهل اندونيسيا والملايو

ثمانين مليوناً من المسلمين منتشرين حتى جزائر الفيليبين . وفي سيلان نفسها يحرص أرباب الأمر الغنية على تعليم أبنائهم شيئاً من العربية . أو ليس اذن من الفائدة لدولة الباكستان القوية ذات المركز الجغرافي الوسط الذي تصل به بين مائة مليون من المسلمين الى شرقها وبين مائة مليون آخرين الى غربها أي من الفيليبين والدولة العظيمة أندونيسيا فالملايو فبورما ثم غرباً الى افريقيا حيث يعيش مائة مليون سوى من عددنا منتشرين الى ضفاف الأطلسي . أو ليس من الصواب للباكستان أن تجعل اللغة العربية لغة قومية لها بدلاً من أن تعزل نفسها عن جيرانها العديدين وعن سائر العالم الاسلامي باتخاذها لغة أبرز خصائصها أنها تتصل بعهد انحطاط الدولة الاسلامية . وأخيراً ان العربية لغة عالمية للمسلمين تستطيع أن توحدهم بيننا الاردية تفصل بينهم وتعزل بعضهم عن بعض .

سادتي الكرام ، اخوتي في الاسلام ، يا شعب الباكستان ، يا أيها الشعوب المتفرقون في مقاطعاتهم ، إنني أرغب اليكم قبل أن تتخذوا قراراً نهائياً ، وقبل أن تقفزوا ـ وهذا ما أنا مضطر الى ان أقوله لسوء الحظ ـ من على شفير الهاوية ، إنني أرغب اليكم بل أرجوكم أن تدعوا البحث ينضج في ذلك وأن تتيحوا للجميع أن يدلوا بآرائهم . دعوا العجلة جانباً ورددوا الأمر في ما أنتم قادمون عليه .

وأعود ثانية حتى أرغب الى أولئك الذين أعلم أنني قد أسأت اليهم ، أن يلجأوا حباً بالاسلام ، في جميع مناقشاتهم التي ستتلو بلا ريب في هذا الشأن وفي غيره الى أن يعتبروا الحقائق من ناحيتها التاريخية ومن ناحيتها الواقعية في عالمنا الحاضر اليوم .

انني أبتهل الى الله أن يستضيء شعب هذه الدولة بنور الحكمة الالهية قبل أن يبتوا في هذا الأمر الخطير .

كلمة في التضمين

التضمين إشراب فعل وما في معنى الفعل معنى فعل آخر . بحيث يعمل عمله . ويتعدى تعديته : كفعل «عَزَمَ» في قوله تعالى «ولا تعزموا عقدة النكاح» ضمن معنى (لا تنووا) ومثله فعل «أَنِفَ» فانه يتعدى بحرف الجر ، فيقال : أنِفْتُ من كذا . فاذا ضمّناه معنى فعل «كَرِهَ» ، صحّ لنا تعديته بنفسه ، ويقال اذ ذاك : (أَنِفْتُهُ) أي كرهته .

وهل التضمين قياسي؟ نعم . كما يفهم من النصوص التي في كتب اللغة والأدب ، ونصوص طائفة من كبار أئمة اللغة العربية .

كما أن ابن جني في الخصائص قال ما نصه :

«وجدت في اللغة من فن التضمين شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به ، ولعله لو جُمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً ، فاذا مر بك شيء منه فتقبّله وأنس به فانه فصل من العربية لطيف» .

فأنت ترى أن ابن جني لم يصرح بقياسيته ، لكنه أوشك أن يصرح . ولعله لم يجرؤ على التصريح بالقياسية لصعوبة أمر التضمين ، ووعورة طريق استعماله : بدليل وصفه له بأنه فصل لطيف .

وما قلناه في التضمين يقال في إنابة حرف جر عن حرف جر آخر من حيث أن أكثر أئمة اللغة العربية يقولون انه قياسي : لكثرة ما ورد من ذلك في القرآن والحديث وكلام الفصحاء . ومنه قوله تعالى «عيناً يشرب بها عباد الله» أي منها .

لكننا مهما قلنا بقياسية «التضمين» و «إنابة حرف عن حرف» فان مرجعها او عُمدتها توفّر سلامة الذوق الفني اللغوي . ولذا كان من المتعسّر ادخال «التضمين» و «نيابة حرف عن حرف» تحت قاعدة يحتذيها المرء .

فليكتف مجمعنا باعلان أن « التضمين » و « نيابة حرف جر عن حرف جر آخر » قياسيان بتحفظ كالتحفظ الذي قاله علماء العقائد في تعلم علم المنطق ، من أنه يجوز لمن كان :

(ممارس السنة والكتاب ليهتدى به الى الصواب)

وكذا نقول هنا : ان « التضمين » و « نيابة حرف جر عن حرف آخر » قياسيان وجائزان لمن مارس البلاغة والكتابة عملاً لا نظراً . وفعلاً لا وهماً : فهو الذي يفقه أسرار المناسبات والقرائن والمقتضيات حسبما تقرر في علوم البلاغة . وهو الذي يعرف كيف يستفيد من قياسية (التضمين) و (نيابة حرف عن حرف) . وان لم يمارس بلاغة الكلام زعماً حمله وهمه على ان يقول : (نزلت السطح) و (جلست الأرض) و (هربت السبع) .

المغربي

تصويبات

وقعت في الجزء الأول والجزء الثاني من هذا المجلد السادس والعشرين غلطات يجب اصلاحها على الشكل الآتي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٠	١٦	خلية الملحمة	خلية الشحمة
٣٠	١٧	تتألف الملحمة	تتألف الشحمة
١٧٣	٧ و ٩	مشترك ومشتركات	مشترك ومشتركات
١٧٤	١	الشحمة القحوية	الشحمة القحوية

مصطفى الشهابي

فهرس الجزء الثالث من المجلد السادس والعشرين

التعريف والنقد

آراء وأنباء

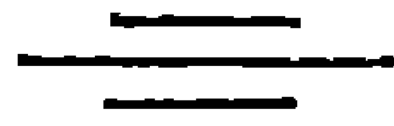
استدراك

يضاف الى فهرس الجزء الثاني من المجلد السادس والعشرين في أول باب (آراء وأنباء) ما يلي :

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — نشوار المحاضرة للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٣ — نشوار المحاضرة للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٦ — تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٧ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٨ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — غوطة دمشق : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١١ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي. قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٢ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٣ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٤ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
١٥ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
١٦ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
١٧ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني .

١٨ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
١٩ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين
٢٠ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي: بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد
٢١ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني: بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
٢٢ — التبصر بالتجارة للجاحظ: بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا
٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الأستاذ يوسف العش
٢٤ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٢٥ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٢٦ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
(٢٤–٢٦) بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي
٢٧ — الرسالة النباتية: للأمير مصطفى الشهابي
٢٨ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية: للدكتور أسعد الحكيم
٢٩ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي: أطروحة الأستاذ أبي عبد الله الزنجاني



تباع مطبوعات المجمع العلمي العربي
في المكتبة العربية لأصحابها عبيد اخوان بدمشق

الجزء الرابع		المجلد السادس والعشرون

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٥١		١ المحرم سنة ١٣٧١

ذيل ثانٍ
للألفاظ السريانية في المعاجم العربية
حرف الخاء
— ٢ —

اضافة الى خَتَن : توافقت فيها الآثورية والسريانية والعربية وهي في الآثورية Hatanu قاله الأب شيل ص ٥٢ ، وارتأى هونتورا ، ٢٩٨ أنها ساميّة .

خس : توافقت فيها الآثورية Casu (هونتورا ٢٨٥) والسريانية : Hasto, Haso, Has : خَس ، خاسو ، خستو (الدليل ٢٨٢) والعربية .

خطيّة : من توافق الآثورية Hit (النحو الآثوري للأب شيل ص ١١) و Hitu (الأدب البابلي لشارل ص ٢٠٠) والسريانية : Htitho, Htoho : خطوهو ، خطيثو ، والعربية .

خَمْر : وبالسريانية Hamro ، حمرو . قال غويدي في رسالته

« بلاد العرب قبل الاسلام ص ٥٠ » كان الخمر يرد من البلاد الاجنبية الى بلاد العرب ، وهذا أشهر اسمائه بالعربية ، وأصل اللفظة خَمَّر ومعناها ، غَطّى ، أخفى ، ولا علاقة له بالخمر ، أما أصل اللفظة الآرامي فيعني خَمَّر (بتشديد الميم) ولا نعني بكلامنا هذا انه لم يكن في بلاد العرب خمر ، لكن شتّان بين عصير الاعناب وبين الخمر . ونستدل من أشعار عنترة وامرئ القيس وزهير ، انهم كانوا يبتاعون الخمر بأثمان غالية ، وكان يُجلب الى بلادهم من الشام وما بين النهرين ، وقد اشتهرت منه خمور حمص وبابل وعانة وأندرين وأذرعات ... والخلاصة ان لفظة الخمر مستعارة من الآرامية » . وجاء في محيط المحيط ص ٥٩٢ « الخمر ما اسكر من عصير العنب أو عامّ .. وما بالمدينة من خمر عنب ، وما كان شرابهم إلاّ من البسر والتمر » .

خَمِير : وقال غويدي أيضاً « وكذلك لفظة خمير ، وهي بالسريانية Hmiro حميرو .

خُلَّر : قال المطران ادى ص ٥٦ « الخُلَّر نبات قيل هو الفول أو الجُلُبان أو الماش ، فارسيته خُلَّر ، من مأكولات الثيران يتفعها ويسمّنها » واما فرنكل فيقول في ص ١٤٢ : ان اصل الكلمة آرامي Hroulo ، حرُولو وكذلك ذهب دوفال ٣ : ١١٤ - واللفظة في الدليل وفي برون Hourlo ، حُورلو ، وفي ابن بهلول ع ٧٣٣ Hourlé ، حُورلي بالجمع وقال فيها : « قال اهل آمد انه الشلطيت ، وهو حبّ أغبر مثلث الشكل يؤكل كالعدس ، المرطان ، الجلبان » .

خِنْزِير : الخنزير : حيوان سمج الشكل صعب المراس ، منه دجون ومنه برّي : توافقت في اللفظة ، السريانية Hzouro, Hziro ، والآثورية ، خُمْسُرُّو ، والعبرية حَزِير ، والحبشية خنزير والعربية . (تاريخ اللغات السامية لولفنسون ص ٢٨٤ وما بعدها) .

حرف الدال

اضافة الى دان : هي بالآثورية Dânu والقاضي Dīn (شيل ص ٢٢) .

الدبّور : الزنبور وهي مولّدة (محيط المحيط ٦٢٢) .

اضافة الى الدجّال : قال البستاني : وعندي انه سرياني الأصل ومعناه كذاب مخاتل (فيه ص ٦٢٧) .

الدُّجْر : اللوبيا (محيط المحيط ٦٢٨) قلنا ونرى أصلها سريانياً Doghro (الدليل ١٣٧) .

الدِفران : (في محيط المحيط ٦٦١) ضرب من الشجر احمر الخشب .

دُمية : سريانية الأصل (رسالة غويدي ٣٧) .

الدنح : قال البستاني ٦٨٤ «عيد النصارى وهو عيد الغطاس معرب دنحا بالسريانية ومعناه الظهور» .

حرف الذال

اضافة الى مذبح : وفي محيط المحيط ٧٠٨ «والمذابح أيضاً المحاريب والمقاصير وهيا كل النصارى» .

ذِئب : الذئب حيوان من فصيلة الكلبيّات ورتبة اللواحم (الشهابي ٣٩٧) توافقت فيه الآثورية ذِيبُو Zêbu والسريانية Dibo والعبرية زْأب Zaab والعربية ذئب ، والحبشية زأْب (ولفنسون ٢٨٤ — ٢٩٣ وهونورا ١٠٦) .

ذُبابة : فيها وفاق في الآثورية Sumbu, Zumbu (شيل ٢٩ وشارل : الأدب ٢٩٧) والسريانية Débobo ، والعربية ، والعبرية Zébub (هونورا ٢٨٣ - وولفنسون ٢٨٧) .

ذَكَر : ضد انثى فهي بالآثورية Zikru, Zikaru (شيل ١٠، ١٢، ٥٢ . وشارل ١٩٨) والسريانية Dikkhro دخرو ، والعربية . وكذلك :

دَنَب : فهي بالآثورية Zibbatu, Zimbatu, Zinbatu (شيل ١٣ و ٢٨) Zibba (هونورا ٢٥٧) وبالسريانية Dounbo دُونبو ، والعربية .

حرف الراء

اضافة الى : رجْز : جاء في كتاب هونورا ١٢٢ « انها بالسريانية والكلدانية والفينيقية Ragaz وبالآثورية Ragazu » ومن بك انها بلغتنا Roughzo .

رَحِم : قال شارل ٣٠٥ انها بالآثورية Rêmtu, Rêmu . فاللفظة مما وقع الوفاق فيها بين الآثورية والآرامية والعربية .

رِخل : الانثى من أولاد الضأن ، قال هونورا ١٥٣ انها بالعبرية ، وفي الآثورية Likaru » توافقت فيها الآثورية والسريانية والعبرية والعربية .

رَسَم : يستدرك على الأستاذ البستاني في قوله في محيط المحيط ٧٨٠ « رسم الأسقف فلاناً أي أعطاه درجة من درجات الرهبانية » والصواب احدى درجات الكهنوت لأن الرهبانية عبارة عن نذر وثوب خاص بها وليست درجة .

تعليق على لفظة رَقّ : ذكر هونورا ٣٦٣ انها « بالآثورية Rakan, Raku ومعناها دبغ صقل دلك حك ، وبالعربية رقّ ، جلد رقّ » فترجح ن هذه اللفظة الواردة في الآرامية والعربية ولا فعل لها فيهما هي آثورية النجار من فعل Raku .

ووجدنا ذكراً للفظة الرَقّ في الشعر الجاهلي ، قال الأخنس بن شهاب :

كما نَمّقَ العنوان في الرقّ كاتبُ

وقال طَرَفة :

كسطور الرقّ رقّشه بالضحى مرقّش يَشِمُه

(شعراء النصرانية للأب شيخو ص ١٨٤ و ٣١٦) .

رَمَكَة : قال المطران ادى شير ص ٧٣ « الرَمَكَة الفرس والبرذونة تتخذ للنسل (محيط المحيط ٨١٩) قال في شفاء الغليل : الرَمَكَة انثى البردون معرّب ، قلت هي تعريب رَمْكا بالفارسية القديمة ومعناها الفرس . وبيان ان الفارسي مأخوذ من الآرامي Ramko رَمْكو » اما برون فذكر ص ٦٣٨ مع (رمكو) رَمِك Rmek العبرية ولم يقل بفارسيتها ، وأوردها هوتورا ٣٠٤ ? Rammak

حرف الزاء

زِبِّيل : قال المطران ادى شير ص ٨٠ « انه مأخوذ من السريانية Zabilo (ابن بهلول ع ١٧٣) والفارسي زنبيل مشتق من الآرامية (راجع فرنكل ٧٨) »[1] .

زيتون : قال غويدي في رسالته ص ٥٠ « ومن أهم الأغراس شجرة الزيتون ولا توجد في بلاد العرب والأنباط ، قال استرابون : كل البلاد خصبة بالثمار ماعدا شجرة الزيتون . ويؤيد الاعتبار الفيلولوجي انها لفظة دخيلة ، لأن ليس في العربية لفظة اخرى بصيغتها ، وانما اقتبست من الآرامية » اه قلنا هي بالآرامية : Zaytounitho, Zaytouno, Zayto زيتو ، زيتونو ، زَيتُونيتو (الدليل ١٩٧ وبرون ١٣٦) .

حرف السين

اضافة الى سبت : توافقت في هذه اللفظة الآثورية Sabbatu والعبرية شَبَّتْ ، والسريانية شبثو ، كما مرّ بك وعنها اقتبستها اللاتينية Sabatti والأرمنية Shabat وغيرها (هوتورا ٣٣٢) .

(١) اضافة الى الحاشية ص ٧٦ وقال الصابي ص ٥٠ « وجماعة من البطارقة والزراوزة والأراخنة والطراخنة » .

تصحيح : المعى المستقيم (لا المعي) .

تصحيح : السطام المسعار لحديدة مفطوحة تحرك بها النار (لا المسمار) .

سِراج : قال المطران ادى ص ٨٩ « انها معرب جراغ وعندي ان جراغ مأخوذ من الآرامي Shrogho شْروغو من فعل Shragh شْراغ : أضاء » وقال هونورا ١١٤ ، سراج لفظة ساميّة . وقال غويدي ان لفظة سراج الفارسية چراغ فجعلها الآراميون شراغ والعرب سراج .

اضافة الى سربال : جرت على لسان اعشى قيس في قوله (ص ٣٦٨) :

مُقَلَّص اسفلُ السربالِ معتَمِلُ

سَطَر : كَتَبَ قال هونورا ٢٢٦ انها سامية Satar وبالآثورية Sataru .

سَفَرجل : توافقت فيها الآثورية Şoupourgillu وهي مركبة من لفظة Soufour, Safar ومعناها : اصفر ، ذهب ، زعفران ، نحاس ، ومن Gala : وتعني تفاح ، شراب التفاح (هونورا ٢٧٠) والسريانية Sfarglo سْفَرْكلو .

اضافة الى سفل : قال هونورا ١٢٩ انها آثورية ، سامية Saphal .

سفينة : قال هونورا ١٨٤ . توافقت فيها السريانية Sfito وتُكتب فيها النون ولا تلفظ (سفينتو) والعبرية Saphîn والعربية : سَفَن وسفينة .

سَكَر : السَكَر كلّ ما يُسكر توافقت فيها البابلية Šikaru (الأدب البابلي لشارل ٢١٠) والسريانية Shakhro شَخرو والعبرية (شكر) والعربية .

اضافة الى سُلاّق وسَلّيح : وصرح البستاني في محيط المحيط ٩٧٨ و ٩٨٤ والشرتوني بسريانيتهما .

اضافة الى سماء : ارتأى الدكتور ولفنسون ص ٢٨٨ انها لفظة تشترك فيها الآثورية البابلية ، شَمُو والعبرية ، شَمَايم (وصوابه شومايم) والسريانية ، شمايو ولغات جنوبي الجزيرة والحبشة ، سَمَاي . والعربية . وقال ص ٨ انها من اللغة السامية الأصلية .

سِمْسِم : السِمْسِم نبات سنوي زراعي دهني من قبيلة السمسمية (الشهابي ٥٧٨) قال هونورا ٢٩٤ توافقت فيه الآرامية Shoushmo (شُوشْمو) والآثورية Samash, Shamu ، والعربية ٠

سَنَة : من وفاق اللغات البابلية Snati, Sati (هونورا ٢٦٣ Sattu) والعبرية ، شَنَت والعربية ، سنة ، (ولفنسون ص ٥٠) والسريانية Shato (وتكتب شَنتو) ٠

اضافة الى سَندان : وصرح البستاني أيضاً بفارسيتها والجمع سنادين (محيط المحيط ١٠٠٨ — ١٠٠٩) ٠

سُوس بمعنى العث : سريانية Soso ، سوسو (المطران ادى ١٣٤ والدليل ٤٨٦) ٠

سنونو : قال الشهابي ٢٣٨ « ذكر صاحب معجم الحيوان انها اعجمية ولم يزد ، قلت وهي اليوم تطلق في الشام على هذه الطيور وهي من الجواثم المشقوقات المناقير وفصيلة السنونيات » ٠

وهي بالسريانية (سنونيثو Snounitho (الدليل ٥٠١) وبالآثورية Sunundu (هونورا ٣٠٠) من وفاق الآثورية والسريانية والعربية ٠

حرف الشين

اضافة الى شَبّور : وورد في كتاب النهاية لابن الأثير ٢ : ٢٠٢ « وفي حديث الاذان : ذكر له الشَّبّور وجاء في الحديث انه البوق وفسروه أيضاً بالقُبْع واللفظة عبرانية » ٠

اضافة الى شتل : توافقت فيها الآثورية Shatalu والسريانية Shlal والعبرية والعربية Shatla ٠ (هونورا ٢٧١) على ان العربية اقتبستها من السريانية ٠

اضافة الى شرش : وقال صاحب محيط المحيط ١٠٧١: « الشِرش ما يسري في الأرض من أصول الشجر ، وأحد عروق البدن ، وهما من كلام العامة » .

اضافة الى شتقلة : وفي كتاب البارع لأبي علي القالي ص ٩٧ « قال الخليل : والشتقلة كلمة حِميرية عِبادية ، قد لهج بها صيارفة العراق في تعيير الدنانير يقولون : قد شتقلناها أي عيّرناها اذا وزنوها ديناراً فديناراً ، وليست الشتقلة بعربية محض » .

شَفَة : الشَفَة من الانسان طَبَق فمه (أقرب الموارد) توافقت فيها الآثورية Šapta (الأب شيل ٥١) و Šaptu (بروكلمان ١٢٥) و Sapatu (هونورا ٢٣٠) والسريانية Sefto سِفتو ، والعبرية Šafo (بروكلمان) والعربية ، واعتبرها هونورا سامية Shaphat, Sapat .

اضافة الى شفنين : هي أيضاً بالآثورية Shifnino (هونورا ٣٥٤) .

اضافة الى شقراق : بما ان هذا الطائر يكون في قول الخليل بأرض الحرم في منابت النخل (البارع ٩٧) وبارض الروم والشام وخراسان ونواحيها في قول الشرتوني (٦٠٢) لا نجزم باصل اسمه فقد يكون من توافق اللغتين .

تعليق على شمس حاشية أولى : قال هونورا ٢٢٣ انها آثورية او بالحري سامية Shamash, Samas . وقال الدكتور ولفنسون ٢٨٨ هي بالآشورية البابلية : شَمْشُو وبالعبرية : شَمَش وبالآرامية شِمْشا (شمشو) وبلغات جنوب الجزيرة والحبشة : شمس ، وكذلك بالعربية .

اضافة الى شيرازة : وأما المعلم بطرس البستاني (محيط المحيط ١٠٧١) والمطران ادي (الألفاظ الفارسية المعربة ٩٩) فقالا بفارسيتها ، ولكن هذا لا يمنع ان تكون الفارسية أيضاً اقتبستها من اليونانية ؟

حرف الضاد

ضأن : هي من وفاق اللغات الآثورية Senu والعبرية (صان) والآرامية (عونو Oono) والعربية (ولفنسون ص ٥٠) .

حرف الطاء

اضافة الى طبل : قال مار اسحق الانطاكي في الميمر السابع والاربعين في الطلبات ص ٥٨٥ ما ترجمته « ان زمرة اخرى من الوثنيين تعبّد للأبالسة بالغناء وتحتفل بها بدُمى صامتة ، على صوت الطبل والبوق » .

وفي الميمر الثامن والأربعين في غزوة قرية بيت حُور ص ٥٨٩ « ان بعلشمين رأس الآلهة الوثنية الذي بادت ذبائحه من مدينة حرّان ، يُحتفل به جهراً في مدينة نصيبين بالطبل والبوق » .

وقال الحارث بن عبّاد :

فكأنّ اليهود في يوم عيدٍ ضربت فيه روقشاً وطبولا

(شعراء النصرانية ٢٧٩) .

وجاء في كتاب هونورا ص ٢٦٩ « طنبور سريانية وبالعربية طبل وبالآثورية Tabulu, Tapalu » فلفظة طبل آثورية الأصل توافقت فيها والسريانية ومن هذه اقتبستها العربية .

حرف العين

تعليق على عُربون : قال الأصمعي : العربون اعجمي معرّب (محيط المحيط ١٣٦٢) وقال هونورا ١٢٦ : توافقت فيها العبرية والكلدانية والسريانية والعربية والآثورية Arabu .

عَرَق : ومعناه القدة وخشبة تُعَرَّض بين سافَي البناء لتمكنه ، وضلع في البناء الخ (وفي محيط المحيط ١٣٨٢) العَرَق كل صف من اللَّبِن والآجر او الحجر في الحائط . وقد بنى الباني عَرَقاً أو عَرَقين أي صَفّاً أو صَفّين . اللفظة آرامية (عَرقو : Arqoᵉ) (الألفاظ الفارسية لمطران ادى ص ١٣٤) .

عَقْرب : جنس حيوانات مضرة من رتبة العقربيات (الشهابي ٥٧٣) قال ولفنسون ٢٩٠ « توافقت فيها الآثورية : عَقْرَبو ، والسريانية عيقَربو Ékarbo - والعربية ، عقرب ، والعبرية والحبشية مثلها » .

عَلَقة : تشاركت فيها العبرية Halukah والسريانيــة (عَلقو Alkoᵉ) والعربية (هونورا ١٨٥) .

عَنْز : توافقت فيها البابلية Enzu (سوس وأكاد ص ٢٨ ، وقصة احيقار التي طبعها الخوري فرنسيس نو بالفرنسية ص٢٠٩) والسريانية Ezoᵉ (Aanzoᵉ) : عِزو (عنزو) ، والعبرية والعربية (عنز) .

اضافة الى عيد : وأفصح هونورا بسريانيتها (٢٩٠) .

حرف الغين

اضافة الى غَرَب : قال هونورا ٢٤٢ « غَرَب سريانية وتوافقها العبرية Harba .

اضافة الى غُرلة : وهي أيضاً بالآثورية Urulati (شارل ٣٠٥) وفي محيط المحيط ١٩ : الأُرلة ، الغرلة .

غزالة : توافقت فيها الآثورية Uzalu (شيل ٢٠) Azlu (هونورا ٢٥٥) والآرامية ، عُوزَيلو Ouzayloᵉ : عُزَيّل ، خشف ، والعربية .

حرف الفاء

تصويب : فخّ : الآية المستشهد بها « فلتكن مائدتهم قدّامهم فخاً » وقد كرر الطابع « مائدتهم » سهواً ٠

اضافة الى فردوس : توافقت فيها الآثورية Paradis والسريانية Pardayso والعبرية Pardès والفارسية Phirdaus ، ومن اللغات القدامى اقتبسته العربية كما فعلت اللاتينية واليونانية والأرمنية وغيرها ٠

فرزل : توافقت فيها السريانية والآثورية Pirzilu (هونورا ١٦٧)[1] ٠

اضافة الى فرفخ : قال المطران ادى ١١٩ « انها معرب (فرفه) بالفارسية ، والفارسي مأخوذ من الآرامي Farphiné وهو مشتق من Farfah أي تفتّت ، راجع فرنكل ص ٢٤٣ » وذكر دوفال أيضاً مريانيتها ٣ : ١٦٤ ٠

اضافة الى فرن : لاتيني التجار من Fornax و Furnus ٠ أما غويدي ص ٥٨ فذهب انه دخل العربية بطريق اليونانية ٠

تصحيح : « القشار المذيان » لا الهذيان ٠

اضافة في تعريف الفلّ : وقال صاحب اللباب ص ٣٢٥ ناقلاً عن محيط المحيط ص ١٦٣٢ ٠

فَلْس : الفَلْس قطعة مضروبة من النحاس يتعامل بها وهي من المسكوكات القديمة (اقرب الموارد ٩٤٢) واللفظة توافقت فيها الآثورية Opelus والسريانية Foulso فُولسو ٠ (هونورا ٢٥٩) ومنها أخذتها اليونانية Obolos واللاتينية Obolus والعربية ٠ وردت في انجيل متى ٥ : ٢٦ « حتى توفي آخرَ فلس » ٠

اضافة الى فُهر : وقال برون ٤٨٢ انها بالآثورية Puhru فقد تشاركت بها الآثورية والعبرية ٠

(١) تصحيح خطأ في ص ١٢٩ س ١ « وللقراني يقطع به الحدّاد الحديد » لا والحديد ٠

فيل : قال الشرتوني ٩٥٦ «الفيل بالكسر حيوان عجيب من أعظم الحيوانات وأضخمها ، له خرطوم طويل يقوم مقام يد الانسان ، يرفع به العلف والماء الى فمه ويضرب به» وقال فيه الشهابي ٢٤٠ «جنس حيوانات من فصلة الفيليات ورتبة الخرطوميات » اهـ . قلنا اللفظة سنسكريتية الأصل Pilu ومنها أخذتها الآثورية Piru, Pilu . فالسريانية Filo, Fil فيل ، فيلو ، فالفارسية پيل Pil فالعربية فيل . (هونورا ٢٥٦ وبرون ٤٨٦ والألفاظ الفارسية ١٢٢ ، وليست آرامية الأصل كما ذهب المطران أدّي اشتقاقاً من فعل فَل Fal ، أي لوّث لطّخ ، لمكث الفيل على شواطئ الأنهر والمستنقعات وشربه الماء بعد تكديره .

حرف القاف

قافلة : القافلة الرُّفقة القُفّال والمبتدئة بالسفر تفاؤلاً بالرجوع (الفيروزابادي) ذهب المطران ادى ص ١٣١ انها معربة من (قوفلو Koflo) بالآرامية . على اننا نراها من توافق الآرامية والعربيـة لوجود الفعل فيهما ، قَفَل : رجَع و (أقفِل Akfel) : ارتحل ، رجع .

قَرْبَشوش : قال المطران ادى ص ٨٩ قاش البيت (محيط المحيط ١٦٨٤) معربة عن الآرامي (قَرُفشوشو Karfshousho) مشتق من فعل قرفش Karfèshe وهو ممات في اللغة الكتابية لكنه مستعمل في اللغة الدارجة ومعناه جمع من هنا ومن هنا .

اضافة الى قِرْصَعنة : نبات من أحرار البقول يؤكل بالخلّ والزيت .

اضافة الى قِطريب : قال البستاني في محيط المحيط ١٧٣٠ « عند ارباب الفلاحة ، خشبة صغيرة ... كما نقلها عنه القرداحي ، وأضاف ، وقطريب الرحى خشبة صغيرة أيضاً تُربط بخيط يُجعل تحت الحبّ في الكور ، فتبقى

معلقة خارج الكور حتى يفرغ الحب عن الخيط فتسقط لعدم تماسكه ، وتنسحب على وجه الرحى ، فتنبّه بصوتها على فراغ الحب ونهاية طحنه » اهـ ٠

قطن : توافقت فيها الآثورية Cittinu والسريانيـة (قوطنو Coutno) والعبرية Ceton والعربية (هونورا ١٩٥) ٠

قفص : قال المطران أدى ١٢٦ « قال فيه صاحب محيط المحيط ١٧٤٤ قيل معرب وقيل عربي (كما ذكر الشرتوني أيضاً ١٠٢٥) وبيان ان الكلمة آرامية الأصل (قفسو Kafso) وهي مشتقة من (قفس Kface ، خزن ، حبس ، قبض ، اختبأ (فرنكل ١١٨ — ١١٩) وفي الرومي Capus » اهـ ٠

قُلّة : من الألفاظ التي عدّ المطران ادى أصلها آرامياً : القُلّة وهي الحُبّ العظيم او الجرة العظيمة ، (قولتو Koullo) وذكر برون ص ٥٨٨ Koleos ٠

قَمح : القمح البُرّ والحنطة والطعام ٠ لفظة سامية وهي بالآثورية (قمُو) ولفنسون ص ٢٩١ والسريانية (قمحو Kamho) المطران أدى ١٣٤ ٠ وجاء في الدليل ص ٦٨٢ : قميحة ، دقيق ، سميذ ، والفعل (قمّاح) طحن البُرّ ، وقمح استفّ الدقيق ٠ وعبرية وعربية قمح ، (برون ٥٩٠ وولفنسون ٢٩١) ٠

قنديل : القنديل المصباح السرج ، لفظة لاتينية Candela اجتازت الى اليونانية ومنها الى الآرامية Candilo قنديلو ، ومن الآرامية أخذها العرب ، قال غويدي ص ٥٢ « ومن الألفاظ الدخيلة في العربية اسماء المصابيح المجهولة عند العرب الأولين الذين لم يكن عندهم للاستصباح سوى ايقاد النار والمشاعل ، وتشهد لنا اللغة ان جلب المصابيح كان من الآراميين » ثم أورد لفظة قنديل فلفظة نبراس ٠

قُوس : قال المطران ادى ١٣٠ « القوس صومعة الراهب وبيت الصائد (محيط المحيط ١٧٧٤) قال في المعرّب انه فارسي لكن فرنكل ص ٢٧٥

ارتأى انه مأخوذ من السرياني Cawsho كَوشو ، ومعناه : عُزلة ، رياضة ، سيرة رهبانية - وأما الفارسي (كوشه) فمعناه : زاوية ، و (كوچه) معناه : زقاق .

اضافة الى قيروطي : وقال فيها المعلم بطرس البستاني ١٧٧٨ « كلمة دخيلة من اليونانية » وكذلك قال برون ٦٠٧ .

حرف الكاف

تعليق على كاهن : أفصح المعلم بطرس البستاني والشرتوني بسريانية هذه اللفظة ، وقال الدكتور ولفنسون ص ٦١ ، ان كُهَنيم بالعبرية ، كُهْنم بالكنعانية [1] فاللفظة مما توافقت فيه الفينيقية والحبشية Kaèn (هونورا ١٢٠) والعبرية والآرامية ، ومنها اجتازت الى العربية .

اضافة الى كبريت : توافقت فيها الآثورية Cuprit والسريانية Kébrito و Kabrito بفتح الكاف وكسرها بإمالة ، والعبرية Gabérit (هونورا ١٧٣ وبرون ٢٢٤) ومنها أخذتها العربية .

اضافة الى كبيسة : واشتقوا منها فعل كبس ووقع في كلام الصابئ قال ص ٢١٢ « في كبس هذا الربع تدبير » .

تصحيح للفظة كتان : قال بروكلمان ١٠٦ « هي بالآرامية Kuttono وصوابها Kétono » وبالعبرية Kuttonet وبالفينيقية Kiton وبالمندائية Kitton وبالآثورية Kattinu فهي مما توافقت فيه الفينيقية والآثورية والآرامية والعبرية والمندائية ، ومن الآرامية أخذتها العربية . والذي أورده الشرتوني في الكتونة نقله من محيط المحيط ص ١٧٩٣ .

كَتَب : لفظة سامية (هونورا ١٧٥) .

(١) ان هذه اللفظة مجموعة أما مفردها فهو Koèn اوكوهين (هونورا ١٢٠)

تصحيح للفظة كَرَزَ عن الشرتوني « فهو كارز ومتناده كاروز » وقد سقطت كلمة كاروز سهواً . وهذا نقله الشرتوني من محيط المحيط ص ١٨٠٤ وأما ظن المعلم البستاني ان اللفظة من « كريّسين » اليونانية فهو وهم وانما نقلت الى العربية من السريانية ليس الاّ .

كَرْكَدَّن : الكركدَّن مشدّدة الدال والعامة تشدّد النون ، حيوان بالهند في جثّة الفيل ، خلقته خلقة الثور الا انه أعظم منه ذو حافر ، على رأسه قرن واحد (الشرتوني ١٠٧٩) وقال فيه الشهابي ٥٤٣ : « كَرْكَدَّنيّات فصيلة حيوانات من رتبة مفردات الأصابع فيها الكركدّن ويسمى وحيد القرن » وضبطها كازيمرسكي في معجمه الفارسي Karkeden ٤٦٩ ومثله كلكيان في قاموسه التركي ١٠٢١ . وفي معجم لاريف ١١٥٨ : « Rhinoséros لفظة يونانية مركبة من Rhinos, Rhis وتعني انف و Keros او Keras ومدلولها : قرن ، جنس من الحيوانات ذوات الثديين تعيش في الأقاليم الحارة من المعمور القديم ، تتميز بقرن أو قرنين فوق الأنف » .

واللفظة بالسريانية Karkdono كَرْكدونو (اللباب ٦٠١ والدليل ٣٥٣ وبرون ٣٥٢ واودو ٤٨٥) ويقال ايضاً Hdhonoy carno : وحيد القرن (اللباب ٤٣٨ والدليل ٧٠٥) وهي بالآثورية Kurkizannu (هونورا ٢٣) .

فترجح انها آثورية الأصل ومنها اقتبستها السريانية ومن هذه أخذتها الفارسية فالعربية .

كُرْكُم : الكُركُم نبات طبي عسقولي من فصيلة الزنجبيليات (الشهابي ٢٠٨) واللفظة مما توافقت فيه الآثورية Karkanu (هونورا ٢٣٠) والسريانية Kourkmo و Kourkomo (كوركو و كوركومو ، اودو ٤٨٥ واللباب ٦٠١

والدليل ٣٥٤) والعبرية Karkom (هونورا ٢٣٠) والعربية · ومن احداها اجتازت الى اللاتينية Krokum واليونانية Kroko ·

اضافة الى لفظة كَفْر : وعن هونورا ٢٠٧ انها بالآثورية Kapru وبالعبرية Kafro · فهي لفظة توافقت فيها الآثورية والعربية والآرامية ومنها اقتبستها العربية ·

تعليق على كروب : وأورد هونورا ٢٢٦ انها بالآثورية Carubu فهي من وفاق الآثورية والعبرية ·

كلب : حيوان أهلي من فصيلة الكلبيات ورتبة الواحم (الشهابي ١٦١) فاللفظة بالآثورية كَلْبُو Kalab, Kalbu (شيل ٥٢) وبالسريانية كَلبو وكليب Kleb, Kalbo ، وبالعبرية والعربية والحبشية كَلْب (ولفنسون ٢٩١) (وهونورا ١٩٠) فهي من اللغة السامية الأصلية (ولفنسون ٨) ·

كِنّ : عشّ العصفور ، وردت في البابلية Kinnu وبالسريانية (قينو Kéno) من وفاق اللغات · (ولفنسون ص ٥٠) ·

تصحيح للفظة كُوب : هي بالآثورية Cabut وبالعبرية Capha (هونورا ١٧٣) فتوافقت فيها الآثورية والآرامية والعبرية ·

اضافة الى كوّة : هي سريانية ، وعبرية Kaw وعربية (هونورا ١١٨) ·

اضافة الى كوثل : قال جابر بن حُنَيّ التغلبي :

يجيء ككوثلّ السفينة أمرُهم الى سَلَفٍ عادٍ اذا احتلّ مُرزِمِ

(والمُرزِم الثابت والذي له صوت وجلبة) ، (شعراء النصرانية ١٨٩) ·

اضافة الى كورة : وارتأى المعلم البستاني انها معرّب خورا باليونانية (محيط المحيط ١٨٥٤) ·

كوكب : ذهب شارل ٣٠٥ انها سومرية Kakkabu : نجم بارق لامع ·

حرف اللام

لِباس : اللباس ما يلبَس ، توافقت في لفظه الآثورية Lubûshu (شيل ٥٢) والسريانية Lbousho لبوشو ، والعربية . والعبرية التي ذكر برون ٢٤٦ ورود فعل لبس فيها (لبش) .

لُبان : اللبان ، الكُنْدُر توافقت فيه الآرامية Lbouto, Lbounto ، لبونتو ، لبوتو ، والعبرية Lébanah والعربية (برون ٢٦٣) والآثورية Lubanu (هونورا ٢١٥) .

لَبِنَة : الآجر المضروب من الطين مربّعاً للبناء واحدته لبنة (أقرب الموارد ١١٢٧) توافقت فيها الآثورية Libbatu (شارل ٣٥٨) والسريانية (ليتو Lbéto ، وتكتب أيضاً لبنتو وتدغم نونها) والعربية ، ومثلها : Lichad, Lichan (هونورا ١١٧) .

لِسان : اللسان فهي بالآثورية Lisânu (شيل ٥٢) والآرامية Léshono والعربية ، والعبرية أيضاً ليشون برون ٢٧٨ Lachon (هونورا) .

اضافة الى لقلق : ذكر هونورا ص ١٧١ انه بالآثورية Rakraak فيكون من وفاق الآثورية والآرامية والعربية .

اضافة الى لقن ، لكَن : اللكن عند صاحب محيط المحيط فارسي .

لَوز : اللوز شجر مثمر مشهور من فصيلة الورديات (الشهابي ٣٩) لفظة سامية Lawz (هونورا ٣٠١) فهي بالآرامية Louzo, Louz وبالعبرية (لوز) برون ٢٦٧ .

اضافة الى لاَك ، مَلَك : وذكر البستاني ١٨٦٨ ـ ١٨٦٩ « وقيل هو سرياني الأصل » قلنا هو كذلك .

اضافة الى لاهوت : ونقل الشرتوني تعريفه هذا عن محيط المحيط ١٩٢٣ .

لوبيا : قال الأمير مصطفى الشهابي ٢٢٨ « اللوبيا من السريانية والأصل يوناني ، وكان العرب يطلقونها هي ورفيقاتها على بضعة أنواع نباتية متقاربة منها الفاصوليا . بقلة حبية من فصيلة القرطانيات الفراشية » . وقال هونورا ٢٥٠ هي بالآثورية Lubbu وبالعبرية Lubab وبالسريانية Lubus وبالعربية Lubia . وذكرها ابن بهلول ع ٩٤٦ Lubias نقلاً عن حنين ، وخلا منها الدليل . فتكون من وفاق اللغات الآثورية والعبرية والسريانية ومنها أخذتها العربية .

حرف الميم

ماء : قال العلامة الرهاوي ، ومثل السماء لفظة الماء معنىً وصيغةً (انظر ص ٢٠٦ من هذه الرسالة) وجاء في تاريخ اللغات السامية لولفنسون ص ٢٩٢ « الماء بالعربية ، ومُو بالآشورية البابلية ، ومايم بالعبرية ، ومايو بالسريانية ، وماي بلغات جنوب الجزيرة والحبشة » فهي من اللغة السامية القديمة مثلما قال أيضاً ص ٨ .

مُرّ : المُرّ صمغ راتينجي يخرج من ساق شجرة المُرّ (معجم الألفاظ الزراعية ٤٣٩) لفظة توافقت فيهـا السريانية Mouro مُورو ، والآثورية Murru والعبرية Merr والعربية (هونورا ٢٣٤) .

تعليق على مَسْك : وهي أيضاً بالآثورية Mašk, Mašku (شيل ٥٢) .

اضافة الى مُسْكان : أما الكرملي فذهب انه عربي فصيح (نشوء اللغة العربية ٩٢) .

اضافة الى مسكين : قال هونورا ١٨٢ « انها بالآثورية Meskinu و Muskin والعبرية Mesken والسريانية Meskino » فتوافقت فيها اللغة الثلاث .

امطر : قال هونورا ٣٩١ انها لفظة سامية Matara فهي بالآرامية Mtar Amtâr, Matar ومثلها بالعربية ، وبالعبرية Mtar .

تعليق على مفريان : نستدرك على قول المعلم البستاني فيه ، « انه اسقف قلاية البطريرك ينوب عنه في مصالحه ويخلفه » اهـ . وصوابه « انه رئيس أساقفة بلاد المشرق يقوم بمصالحها لا بمصالح البطريرك ولا يخلفه » .

تعليق على مَكْس : وقع في كلام الصابئ ١٣٨ قال « ولا يطالبهم بضريبة ولا مكس » .

ملأ : ملأه شحنه وأفعمه توافقت فيها الآثورية Mallû (شيل ٢٣) والسريانية والعبرية Mlo (برون ٢٩٧) والعربية ، وعدّها هونورا سامية ٢٨٨ .

تعليق على ملاّح : شي بالآثورية Mala (هونورا ٢١٥) والعبرية (ملح) برون ٣٠٠ ، والسريانية كما ذكرنا آنفاً ، وقعت في شعر طرفة قال :

عدولية أو من سفين بن يامنٍ يجور بها الملاح طوراً ويهتدي

مَلْك ومَلِك : صاحب المُلك ، توافقت فيها الآثورية Malku, Maliku (شيل ١٠ و ١٢ و ٥٦) ومَلكة Malkatu (ص ١٤) وبالسريانية Malko, Mlèk . (مليك ، ملكو) وبالعبرية Mlèk ملك (برون ٣٠١) والعربية ، والحبشية Melec (هونورا ١٨٥) .

اضافة الى ملكوت : وأفصح البستاني بسريانيته (محيط المحيط ٢٠٠٦) والشرتوني (١٢٤٠) .

اضافة الى ميرون : قال مُدرك بن علي الشيباني :

يحق ما في قلة الميرون (معجم الأدباء لياقوت ١٩ : ١٤٢)

ونستدرك على المعلم البستاني قوله فيه ٢٠٢٣ « انه عند بعض النصارى زيت مقدس يمسحون به المتعمدين والمرضى وغيرهم » وصوابه : انه عند عامة النصارى ما عدا البروتستنت ، يمسحون به المتعمدين والمذابح والهيكل فقط وانفرد الأرمن بمسح أساقفتهم وكهنتهم به . أما المرضى فيمسحون بزيت يسمى مسحة المرضى .

حرف النون

اضافة الى ناطور : وقال غويدي انها آرامية الأصل ، وذكر هونورا ١٦٥ انها بالآثورية Nantaru أي حارس وتراها مقتبسة من الآرامية .

نامَ : توافقت فيها السريانية Nom نوم والعبرية Noum والعربية والحبشية نام (هونورا ٢٢٣ وبرون ٣٣٤) .

اضافة الى نبراس : وأفصح غويدي بسريانيتها ص٥٢ (راجع هنا لفظة قنديل) .

تصويب لفظة نبي : لفظة سامية (هونورا ١١٦ وسمّر وأكّاد ص ٢٥ Nabi) .

نجّار : لفظة سامية وهي بالآثورية Naggaru, Nangaru (شيل ٣٨) و Nagaru (هونورا ٣٤٤) وبالعبرية Macar ولم يذكرها برون . وبالسريانية Nagoro ومنها لفظة Norgo بالسريانية ومعناها : فأس . وهي بالآثورية Nagor و Nagaru (هونورا ٣٥٥) وبالعربية .

نسر : النسر ، جنس طيور من فصيلة النسريات ورتبة الجوارح (الشهابي ٦٣٥) . لفظة سامية تشاركت فيها السريانية Neshro نِشرو ، والآثورية نشرُو ، والعبرية نشر Nesher ، والعربية نسر ، ولغات جنوب الجزيرة والحبشة نْشر (هونورا ١٨٩ ولفنسون ٢٩٣) .

تصويب لفظة نَفْس : توافقت فيها الآثورية والآرامية والعبرية والعربية والحبشية فهي سامية . قال بروكلمان ١٢٧ نَفْس بالعربية ، وبالحبشية Nefs وبالعبرية Nefes ، وبالآرامية نفشو ، وبالآثورية Napištu .

اضافة الى نِفط : قال هونورا ٣٣٧ « هي بالآثورية Napatu ومعناها بترول . وبالآرية Naphte وبالسنسكريتية الزندية Napta, Nappa ، وبالعربية نِفط »

وبالسريانية نفطو Nafto . فهي لفظة آثورية التجار ومنها اقتبستها السريانية فالعربية فغيرها .

تعليق على نَقَس : وردت عندنا ص ١٧٩ ضربه به ، كما هي في محيط المحيط ٢١١٨) .

نمر : النِّمْر والنَّمِر : حيوان مفترس من فصيلة السنوريات ورتبة اللواحم (الشهابي ٣٨٦) وقال فيه الشرتوني ١٣٤٦ « ضرب من السباع فيه شبه من الأسد الا أنه أصغر منه وأخبث وأجرأ ، وهو منقّط الجلد نُقطاً سوداً وبيضاً ، سُمي به للنُّمَر التي فيه » وقال أيضاً : النُّمْرة النُكتة من أي لون كان ج نُمَر ١٠ ه . قلنا لا يصح هذا التعليل فان اللفظة من وفاق اللغات الآثورية Nemri, Nimru نِمْرو ، والسريانية Nemro نيمرو ، والعبرية Namir نمره ، والعربية ولغات جنوبي الجزيرة والحبشة : نِمر نَمِر (ولفنسون ٢٩٣ وهونورا ١٣٦) .

تصويت نون : توافقت فيها الآثورية Nunu (هونورا ١٤٩) والسريانية والعبرية والعربية .

اضافة الى نيّح : وفي محيط المحيط ٢١٥٠ والعامة تقول نيّحه فتنيّح أي أراحه فارتاح ، وتنيّح فلان مات .

اضافة الى نير : قال هونورا انها لفظة سامية وهي بالآثورية نِير ، Nir (٢٥٦ و ٣١٤) .

حرف الواو

وزّ : قال فيها الشهابي ٤٥٥ « جنس طيور من رتبة كَفّيّات القدم صُفَيْحيّات المناقير وفصيلة الوَزّيات ، وقد خلطت معاجمنا بين الوز والبط » وذكر ما يتميز به الطائران بالمنقار والعنق والرجل الخ .

توافقت في هذه اللفظة الآثورية Wzu والسريانية Wazo والعبرية Kazz والفارسية ، قاز (هونورا ٢٤٨ وقاموس قازيميرسكي ٣٤٣) .

وقّر ، تصويب : وقع فيها سهو مطبعي : أكرم وأجلُّ ، وصوابه أجلَّ بفتح اللام .

حرف الياء

يَشْب : حجر كريم أشفّ وأصفى من الزبرجد . وقال الشرتوني ١٤٤٩ اليَشْب حجر قريب من الزبرجد لكنه أصفى منه ، فارسي . قلنا هو بالآثورية Yaspu والآرامية يَشفو ، يَشفه Yashpé, Yashpo ، والعبرية Yaspé ومنها اقتبسته العربية (هونورا ٢٤٥ والدليل ٣١٩ وبرون ٢١٧) ومن هذه الأصول أخذته أيضاً اليونانية Iaspiç واللاتينية Jaspis وورد في سفر الخروج ٢٨ـ٢٠ «وفي الصف الرابع الزبرجد والجزع واليشب» الموصلية .

يَعْميصا : جاء في الدليل ١٣٣ ، يعميصا ، ريباس ، نبات يكون تحت الثلج ، وفي محيط المحيط ٢٣٠٣ اليعميصا ، الريباس ، بالسريانية . والريباس قال فيه المحقق الشهابي ٥٤٤ : « الريباس Rheum Ribes هو المعروف في الشام والمذكور في المفردات ، تؤكل ضلوعه وتربَّب ويصنع من عصيره شراب الريباس » . وفي الألفاظ الفارسية للمطران ادى ٨٩ يعميصا Yaʿmiço استعارتها الفارسية من السرياني .

اضافة الى عمّ : قال ولفنسون ص ٧١ اليمّ كنعانية (فينيقية) .

مار أغناطيوس افرام الأول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس

الايجاز

كانت العرب من أكثر الأمم ولوعاً بالايجاز أكثر من التطويل ، وكان الموجز يُبين عن براعة أكثر من المطيل ، ذلك لأن الكلام الموجز يبقى أثراً في النفوس أكثر من الكلام المطول ، والموجزات تتناقل ولا يكون ذلك الكلام الذي تكثر ألفاظه وتقل معانيه - والكلام المشبع بالمعاني بقليل من الألفاظ يدل على براعة الكاتب والشاعر والخطيب والمحاضر - وكان المعجبون بالايجاز من الكلام أكثر عدداً ممن لا يرضيهم الا التطويل ، واذا كان من يستحسنون الاقلال من الألفاظ تسعين في المئة ، فالذين يجيزون الاكثار لا يتجاوزون العشرة في المئة على ما يستفاد مما دونه علماء هذا الشأن . وأكثر من أعجبهم التطويل جاءوا في قرون الانحطاط من القرن الخامس الى الثالث عشر .

طبيعة العرب في الجاهلية والاسلام ايجاز القول أبداً ، يقصدون بذلك ان يعلق القول بالأذهان ، ويسهل نقله من صدر الى صدر ، وتعيه الذاكرة فلا ينسي بعضه بعضاً . وما ظهرت طريقة التطويل في الأمة العربية الا بدخول صنوف الأعاجم في الدولة ، حملوه الى العرب في جملة ما حملوا من مصطلحاتهم ، ومنها ما حملوه من الأمور التي ألصقوها بالدين وهي ليست منه .

وكأن بعض الدول من خلفاء بني العباس وعلى رأسهم المأمون ، أدركوا ما يحمل التطويل من الفساد في اللغة ، فأخذوا يحرصون على الايجاز فيما يصدر عنهم ويصدر اليهم من الكتب ، وكانت الصدارة في رجالهم لمن يجود في هذا الضرب من الكتابة ، وما عهد أن صدر من دواوينهم رسائل تزيد ألفاظها

عن معانيها ، وما كان ذلك الا في أواخر القرن الثالث وكثر في الدولة البويهية والدولة الفاطمية ودولة المماليك . نجد نموذجات من ذلك في صبح الأعشى للقلقشندي وغيره من الكتب التي ألفت قبله وبعده في هذا المعنى . فحق القول ان المؤلفات المطولة كانت على الأكثر ابنة العصور الأخيرة ، يوم كثر الجماعون والسارقون في المؤلفين وضعفت فيهم ملكة الانشاء وملكة التأليف معاً .

وما أبان التطويل قط عن براعة صاحبه بقدر ما أبان الايجاز ، والتطويل صناعة يراد بها التهويل والتمويه ، وما جوزه البيانيون الا في « الكتب الصادرة عن السلاطين في الأمور الجسيمة والفتوح الجليلة وتفخيم النعم الحادثة والترغيب في الطاعة والنهي عن المعصية ، وسبيلها أن تكون مشبعة تملأ الصدور وتأخذ بمجامع القلوب » .

الايجاز طبيعة وفطرة يستظهر ويروى وتقتضيه حالة عصرنا أكثر من العصور السابقة ، لأن حضارتنا متشعبة الطرق والمناحي فيقتضينا الوقت أن لا نتزيد في كتبنا ورسائلنا وخطبنا وتآليفنا . كثرت الموضوعات واتسعت دائرة العلوم ومطالب الحياة وصار للوقت ثمن ما كان له فيما غبر من الأزمان .

ولا يلائمنا من صيغ القول الا ما كان في طبيعتنا وطبيعة زماننا ، فنجعل كتاباتنا كالتوقيعات كما وصى بذلك شيخ الكتاب جعفر بن يحيى منذ القرن الثاني ، واذ بطلت التوقيعات من دواوين الدول العربية نجعل من البرقيات التي نتراسل بها في البرق نموذجات ننسج على منوالها في كل ما نكتبه وننظمه ونخطب به ، فنتوخى الايجاز في خطبنا في المجالس النيابية والأندية الأدبية وعلى المنابر وفي المعابد والمساجد ، تقلد فيها ما أثر عن بلغائنا في القرون الثلاثة الأولى قبل أن تتغلغل روح التخلاء فينا .

وكان حكيماً يعرف مقدار ما تتحمل النفوس من الاستماع ، من قضى

بألا تتجاوز مدة الحديث في المذياع أكثر من خمس عشرة دقيقة لأن هذا القدر من الوقت يمكن المتحدث أن يجمع فيه أفكاره ، ويقتصر في حديثه على اللباب ويطرح منه القشور ، فلا يدخل الملل على المستمعين حتى لا تضيع بذلك الفائدة المرجوة . وهكذا يقال في المدة المسموح بها للأغاني والأناشيد والأنباء التي تذاع في المذياع .

قال أحد كتاب الغرب المعاصرين لرصيف له : أراني عندما أهمُّ بكتابة مقالة أطيل الكلام ، فاذا لم يكن لديَّ ما أقوله أكتب مائتي سطر وبالعكس اذا وجب عليَّ أن أكتب مقالة تشبعت روحي بموضوعها فاني أكتبها في مئة سطر .

وروى العسكري في الصناعتين عن أصحاب الايجاز قولهم : الايجاز قصور البلاغة على الحقيقة ، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهذر والخطل ، وهما من أعظم أدواء الكلام ، وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة . قالوا اذا طال الكلام عرضت له أسباب التكلف ، ولا خير في شيء يأتي به التكلف . وقيل لبعضهم ما البلاغة ؟ فقال : الايجاز . قيل وما الايجاز ؟ قال : حذف الفضول ، وتقريب البعيد . قالوا : لا تنفق كلمتين اذا كفتك كلمة .

(١) كتب عبد الحميد الكاتب موصياً بشخص : «حق موصل كتابي اليك كحقه عليَّ اذ جعله موضعاً لأمله ورآني أهلاً لحاجته ، وقد أنجزت حاجته فصدق أمله » .

(٢) كتب ابو جعفر المنصور الى عامله على حمص وقد جاء منه كتاب فيه خطأ : « استبدل بكاتبك والا استبدل بك » .

(٣) كتب عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك : « اما بعد فاتق يا يزيد الصرعة بعد الغفلة ، حين لا تقال العثرة ، ولا تقدر على الرجعة ، انك تترك ما تترك لمن لا يحمدك ، وتصير الى من لا يعذرك والسلام » .

(٤) وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز يستأذنه في تحصين مدينته فكتب اليه : « حصنها بالعدل ونقّ طرقها من الظلم » .

(٥) كتب ابن المقفع تعزية : « أعظم الله على المصيبة أجرك ، وأحسن على جليل الرزء نوالك ، وعجل لك الخلف فيه ، وذخر لك الثواب عليه » .

(٦) وكتب أيضاً في تعزية عن بنت : « لا ينقص الله عددك ، ولا ينزع عنك نعمته التي ألبسك ، وأحسن العوض لك ، وجعل الخلف لك خيراً مما رزأك ، وما أعطاك خيراً مما قبض منك » .

(٧) وله تعزية عن ابنة : « جدد الله لك من هبته ما يكون خلفاً لك مما رُزئته ، وعوضاً من المصيبة به ، ورزقك من الثواب عليه أضعاف ما رزأك به منها ، فما أقلّ كثير الدنيا في قليل الآخرة ، مع فناء هذه ودوام تلك » .

(٨) وتعزية له أيضاً : « أعظم الله أجرك في كل مصيبة ، وأوزعك الشكر له على كل نعمة ، اعرف لله حقه بما أمر به من الصبر ، تظفر بما وعد عظيم الأجر » .

(٩) كتب الحجاج الى قتيبة بن مسلم : « اني قد نظرت في سني فاذا أنا ابن ثلاث وخمسين وأنا وأنت لِدَةُ عام ، وان امرأً قد سار الى منهل خمسين سنة لقمين أن يَرِده والسلام » .

فنظمه أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي فقال :

« اذا ذهب القرن الذي أنت فيهم وخلفت في قرن فأنت غريب
وان امرأً قد سار خمسين حجة الى منهل من ورده لقريب »

(١٠) كتب محمد بن سليمان لأحدهم رقعة : « مر الينا ننظر في أمرك ، ونبلغ فيه محبتك ، فاني أرعى لك متقدم حرمتك ، ووكيد أسبابك ان شاء الله » .

(١١) وفد من وجوه أهل الغوطة على المنصور وقد كانوا حاربوه ووالوا

عبد الله بن علي ، فقام عدة منهم فتكلموا ، ثم قام الجرشي فتكلم فقال : « يا أمير المؤمنين انا لسنا وفد مباهاة ، ولكننا وفد توبة ، ابتلينا بفتنة استفزت كريمنا ، واستخفت حليمنا ، فنحن بما قدمنا معترفون ، ومما سلف منا معتذرون ، فان تعاقبنا فبما أجرمنا ، وان تعف وتحسن فطالما أحسنت لمن أساء » . فقال المنصور للوفد : خطيبكم الجرشي .

(١٢) كتب عمرو بن مسعدة عن المأمون الى عامل كتاباً استطاله ، فأخذ المأمون بيده وكتب : « قد كثر شاكوك فاما عدلت واما اعتزلت » .

(١٣) كتب بعض ولاة الأجناد الى المأمون ان الجند شغبوا ونهبوا فكتب اليه : « لو عدلت لم يشغبوا ، ولو وفيت لم ينهبوا » وعزله عنهم وأدرّ عليهم أرزاقهم .

(١٤) كتب عمرو بن مسعدة الى المأمون : « كتابي الى أمير المؤمنين ومن قبلي من قواده ورؤساء أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما تكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم ، فاختلت لذلك أحوالهم ، والتاثت معه أمورهم » فأمر لهم برزق ثمانية أشهر ، وقال لأحمد بن يوسف : لله در عمرو ما أبلغه ، ألا ترى الى ادماجه المسألة في الاخبار ، واعفائه سلطانه عن الاكثار .

(١٥) كثر طلاب الصدقات بباب المأمون مرة فكتب اليه أحمد بن يوسف : « داعي نداك يا أمير المؤمنين ومنادي جدواك جمعا الوفود ببابك يرجون نوالك المعهود ، فمنهم من يمتّ بحرمة ، ومنهم من يدلّ بخدمة ، قد أجحف بهم المقام ، وطالت عليهم الأيام ، فان رأى أمير المؤمنين ان ينعشهم بسيبه ، ويحقق حسن ظنهم بطوله فعل ان شاء الله » .

(١٦) كتب عمرو بن مسعدة الى بعض أصحابه في شخص يعزّ عليه : « أما بعد فموصل كتابي اليك سالم والسلام » . أراد قول الشاعر :

يديرونني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم

أي يحلُّ مني هذا المحل .

(١٧) كتب سهل بن هرون الى صديق له أبلَّ من ضعف : « بلغني خبر الفترة في المامها وانحسارها ، والشكاة في حلولها وارتحالها ، فكاد يَشغلِ القلق بأوله عن السكون لآخره ، وتذهل الحيرة في ابتدائه عن المسرة في انتهائه ، وكان تغيري في الحالين بقدرهما ارتياعاً للأولى وارتياحاً للأخرى » .

(١٨) سعى علي بن عيسى بن ماهان الى الرشيد بالفضل بن يحيى فرمى بكتابه الى جعفر وقال : اجبه ، فكتب على ظهره : « حفظك الله يا أخي ، وحبب اليك الوفاء فقد أبغضته ، وبغّض اليك الغدر فقد أحببته ، ان حسن الظن بالأيام داعيةُ الغيَرَ والله المستعان » .

(١٩) أمر الواثق ابن الزيات ان يتلطف بعبد الله بن طاهر ، ويعلمه انه صرفه عن امر الجزائر والعواصم وفوض ذلك لابن عمه اسحق بن ابراهيم ، فكتب : « أما بعد فان أمير المؤمنين ، رأى أن يخلع ما في يمينك من أمر الجزائر والعواصم فيجعله في شمالك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

(٢٠) كتب العتّابي فكاد أن يخلّ بالمعنى من شدة الاختصار فكتب : « حامل كتابي اليك أنا فكن له أنا والسلام » .

(٢١) كتب طاهر للمأمون لما قتل علي بن عيسى : « بسم الله الرحمن الرحيم . كتابي الى أمير المؤمنين ورأس علي بن عيسى بين يدي ، وخاتمه في اصبعي ، وجنده مصرّفون تحت أمري والسلام » .

(٢٢) كتب الوليد بن يزيد الى والي العراقين حين عتب عليه : « اني أراك تقدم في الطاعة رجلاً وتؤخر أخرى فاعتمد على أيتهما شئت والسلام » .

(٢٣) كتب جعفر بن يحيى الى عامل شُكي : « قد كثر شاكوك ، وقلّ شاكروك ، فاما عدلت واما اعتزلت » .

(٢٤) كتب احمد بن يوسف : « أما بعد فاني لا أعرف للمعروف طريقاً أوعر من طريقه اليك ، فالمعروف لديك ضائع ، والشكر عندك مجحود ، وانما غايتك في المعروف أن تحتقره وفي وليه أن تكفره » .

(٢٥) وكتب احمد بن يوسف الى عامل قد أخّر المال : « قد استبطأتك الاغفال ، وأبطرك الاهمال ، فما تُصحب قولك فعلاً ، ولا تتبع وعدك انجازاً ، وقد دافعت بمال تُجّم لزمك حمله ، حتى وجب عليه مثله ، فاحمل ثلاثة أنجم ليكون ما يتعجل منك ، أداء ما أُخر عنك ان شاء الله » .

(٢٦) ووقّع الى عامل ظالم : « الحق طريق واضح لمن طلبه تهديه محجته ، ولا يخاف عثرته ، وتؤمن في السر مغبته ، فلا تستقلن منه ولا تعدلن عنه ، فقد بالغت في مناصحتك ، فلا تحوجني الى معاودتك ، فليس بعد التقدمة اليك ، الا سطوة الانكار عليك » .

(٢٧) ووقع الى عامل ذكر انه قد أصلح ما تحت يده : « انا لك حامد فاستدم أحسن ما أنت عليه ، يدم لك أحسن ما عندي ، واعلم ان كل شيء لا يزاد فيه ينقص ، والنقصان وان قل يمحق الكثير ، كما ينمى على الزيادة القليل » .

(٢٨) شُكي الى الحسن بن الفرات عامل قطربل واهماله عمل البزندات فوقّع اليه : « ينبغي أن تراعي العمل قبل الوقت للوقت وفي الوقت للوقت » .

(٢٩) وكتب الى عامله وقد أنفذ اليه رجلاً وقلده الخراج : « السيف تابع للقلم ، والقلم متبوع ، وقل سيف غلب القلم ، الا كان داعية الخراب » .

(٣٠) أهدى احمد بن يوسف كاتب المأمون أي وزيره ثوب وشي في يوم نوروز وكتب معه : « قد أهديت الى أمير المؤمنين ثوب وشي يصف نفسه والسلام » .

(٣١) كتب ابو الهيذام زعيم القيسيين الى أهل قرية مزة كلب وقد قطع أهلها الماء عن أهل دمشق : «الى بني استها أهل مزة ، ليسقيني الماء أو لتصبحنكم الخيل» - فوافاهم الماء قبل أن يُعتموا .

(٣٢) كتب المرواني صاحب الأندلس الى نزار العبيدي صاحب مصر ، وكان هذا كتب اليه كتاباً يسبه فيه ويهجوه : « أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك والسلام» .

(٣٣) ومن تهكمات الجاحظ وموجزاته كتاب له في الوصاة : « كتابي اليك مع من لا أعرف ولا أوجب حقه ، فان قضيت حقه لم أحمدك ، وان رددته لم أذمك » .

(٣٤) وكتب أيضاً في هذا المعنى : « كتابي اليك سألني فيه من أخافه لمن لا أعرفه ، فافعل في أمره ما تراه والسلام» .

(٣٥) وكتب الى ابي حاتم السجستاني وبلغه عنه أنه نال منه : « أما بعد فلو كففت عنا من غَرْبك لكنا أهلاً لذلك منك » .

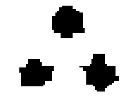
(٣٦) وكتب الى ابن الزيات : «نحن أعزك الله نسحر بالبيان ونموّه بالقول ، الناس ينظرون الى الحال ، ويقضون بالعيان ، فأثّر في أمرنا أثراً ينطق اذا سكتنا ، فان المدعي بغير بينة متعرض للتكذيب» .

(٣٧) كتب ابو فراس الحمداني الى سيف الدولة ، وقد شخص من حضرته الى منزله بمنبج كتاباً صدره : « كتابي أطال الله بقاء مولانا من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل البطن والظهر وفراً وشكراً » .

(٣٨) كتب عبد الملك الى الحجاج : « أما بعد فقد بلغني سرفك في سفك الدماء ، وتبذير الأموال في الباطل ، ومنعك الحق ، فلا يؤنسنك بي الا طاعتك ، ولا يوحشنك مني الا معصيتك » .

(٣٩) فكتب اليه الحجاج : «أما بعد فقد وصل كتاب أمير المؤمنين ، وما قتلت الا فيه ، ولا أعطيت الا له ، فان رأى أمير المؤمنين أن يمضي لي سالفتي ، ويأمر لي بما أحب في مستأنفي ، فعل ان شاء الله» .

(٤٠) وكتب عبد الملك الى بعض ولده وقد خالفه في شيء : «أما بعد فاني أمرتك بأمر فأتيت غيره ، ووصيتك بوصية فأبيت الا عصيته ، وخفت أنك بمنزلة الصبي الذي اذا أمر بشيء أباه ، واذا نهي عن شيء أتاه ، فيحتال له فيما ينفعه بأن ينهى عنه ، وفيما يضره أن يؤمر به ، ياسوأتي لمن هذه حاله والسلام» .



هذه نماذج قليلة مما أثر عن البلغاء في الايجاز تخيرتها من عهود العرب يوم أصبحوا يتعلمون العربية وبلاغة القول على ما نتعلمها نحن في هذا العصر ، أي لم أستشهد بما نقل عن أهل الصدر الأول من الخلفاء الراشدين وكتابهم ، ومن كانت البلاغة سليقة فيهم ، والبلاغة متأصلة في كتاباتهم .

محمد كرد علي

دور النضج

في تاريخ الفلسفة الاسلامية

ليس في تاريخ التفكير الانساني في العصور الوسطى اسمٌ ألمعُ ولا أشهر من اسم ابن رشد . واذا كان القديس اوغسطينوس والقديس ألبرتوس الكبير والقديس توما الاكويني يتمتعون بشهرة واسعة ، فان شهرتهم هذه كانت في بني قومهم ، بل في نطاق معين محدود من بني قومهم ، أي في تاريخ التفلسف الكنسي . أما ابن رشد فكان مشهوراً في الشرق والغرب معاً ، بل كان أكثر شهرة في الغرب منه في الشرق . ثم ان شهرته في تاريخ التفلسف الكنسي أيضاً لم تكن أقلَّ من شهرة القديس توما نفسه . وحسبنا أن نعلم أن الغاية الأساسية من كتابات القديس توما إنما كانت الردَّ على فلسفة ابن رشد تصريحاً وتلميحاً . ولولا ابنُ رشد وفلسفته العقلية التي هزت اوروبة وزعزعت سلطة الكنيسة على العقل الانساني لما احتاجت الكنيسة الى ان تعهد الى البرت الكبير والى تلميذه القديس توما بالاشتغال بالفلسفة .

أما اذا نظرنا الى تاريخ الفلسفة في جميع العصور فلا يمكن أن نرى اسماً أشهرَ ولا أعظمَ من اسم أرسطو . ومع ذلك فان اسم ابن رشد كان دائماً مقروناً باسم أرسطو . وكانت كتب أرسطو تجمع في العصور الوسطى أو تطبع في أول عهد العالم بالطباعة مع شروح ابن رشد . ولا غرو فلقد أقرَّ مؤرخو الفلسفة أن كتب أرسطو لم تكن تفهم في العصور الوسطى حق الفهم ما لم تكن مرفقة بشروح الشارح العظيم كما كان يعرف ابن رشد بين رجال العلم والفلسفة كلهم .

واذا نحن اعتبرنا ان فلسفة أرسطو وصلت الى مفكري العصور الوسطى مشوهة ممزوجة بآراء أفلاطون ومشتقاته بالآراء الاسكندرانية المتأخرة ومشحونة بالأقوال الدينية المحولة ، بينما فلسفة ابن رشد انتشرت بين أولئك المفكرين كما جرت على قلم صاحبها ، أدركنا أن أثر فيلسوفنا كان أعمق وأبرز . وعلى كل فان الذي هز أوروبة في العصور الوسطى كان فيلسوف العرب لا فيلسوف اليونان ، ذلك لأن الذي قبله فقهاء العصور الوسطى في أوروبة على أنه فلسفة أرسطو لم يكن في الحقيقة فلسفة أرسطو ، فكتاب اوثولوجيا المعروف بكتاب الإلهيات كان من عمل أفلوطين الاسكندراني ولم يكن له صلة بأرسطو ، بل لقد كان مناقضاً لرأي أرسطو . على ان الكثير من آراء ارسطو لم يعرف في اوروبة يومذاك الا من خلال الشروح التي وضعها ابن رشد على كتب أرسطو نفسه .

* * *

وابن رشد من فلاسفة المغرب ، اي من الفلاسفة المسلمين الذين اشتهروا في الأندلس وشمالي غربي افريقية منذ القرن الخامس للهجرة أو الحادي عشر للميلاد . من هؤلاء ابن حزم ، وابن باجّه ، وابن طُفيل ، وابن رشد ، وابن خلدون . ولا ريب في أن فلاسفة المغرب هم الذين مثلوا الفلسفة العقلية في العصور الوسطى أحسن تمثيل في بلاد الاسلام وفي بلاد النصرانية . وحسبنا ان نعلم ان اوروبة لم تخرج من عصورها المظلمة حتى اطّرحت أقوال مفكريها وأخذت بآراء ابن باجه وآراء ابن رشد على الأخص : لقد فك ابن رشد عقال الفكر الأوروبي واطلقه في جو فسيح حر ، وقال الحقائق سافرة بعض السفور ووضع مع ابن باجّه من قبله وابن خلدون من بعده ، أساساً جديداً للبحث العلمي أو قل الأساس الصحيح للبحث العلمي .

حتى فلاسفة الاسلام الكبار في المشرق فانهم لم يكونوا في الحقيقة سوى طلائع الفلسفة العقلية على الحصر . لقد كان منهم الرياضيُّ البارع كالكندي والمفكر الماديُّ كالفارابي والطبيبُ العالم كابن سينا والعالم في الطبيعيات كابن الهيثم والفقيه المظيم كالغزالي . ولكنّ لقب «فيلسوف» كان لا يزال ينتظر مجيء الرجل الذي يستحقه . ولم يستحقّه احد قبل ابن باجه .

* * *

واذا كان لكل لقب شروط فان لقب «فيلسوف» يجب ان يكون له شروط بطبيعة الحال . فليس كل من استطاع حلَّ عددٍ من المعادلات الجبرية والأشكال الهندسية خليقاً بأن يدعى «رياضياً» ولا كل من عرف شيئاً من قوانين حفظ الصحة وخواصّ الأدوية كان أهلاً لأن يسمى طبيباً ثم يسمح له بتطبيب المرضى . وليس كل من درس جانباً من أمور الدين عد فقيهاً . وكذلك الحال في الفلسفة ، فليس كل من أبدى رأياً واضحاً أو غامضاً وجب أن يحتل مكاناً في معراج الفلسفة .

هنالك نفر من الناس قويَ تفكيرهم فوق ما ألِفه أندادهم ، هؤلاء مفكرون . ثم إن نفراً من هؤلاء أنفسهم تأتي آراؤهم صائبة صادقة ثم تكون عامة حتى كأنها تمثل جانباً من اختبار الانسانية كلها ؛ هؤلاء هم الحكماء . في هؤلاء أكثر أعلام الفكر الانساني ، ولقد اشتهر عند الناس طاليس الحكيم ولقمان الحكيم وسليمان الحكيم وسقراط الحكيم ودبشليم الحكيم . وكذلك اشتهر في تاريخ الأدب قولهم : أبو تمام والمتنبي حكيمان والشاعر البحتري . على أن الفيلسوف شخص آخر . هو مفكر ، وهو حكيم ، ثم هو فوق ذلك يتصف بصفات أخر . ولقد وضح لنا من خصائص الذين لم يختلف مؤرخو التفكير الانساني في تسميتهم فلاسفةً ، أمثال أفلاطون وأرسطو ، ان ثمة أربعة شروط يجب أن تجتمع في الحكيم حتى يسمى فيلسوفاً :-

١ً — ان يبحث عن الحقيقة بحثاً مجرداً غير خاضع للأحوال النفسانية او الاجتماعية ·

٢ً — ان يكون بحثه هذا نظرياً شاملاً لظاهر الوجود كله ·

٣ً — ان يجري في بحثه على أسس من المنطق المؤيد بالبراهين ·

٤ً — ان يوجد نظاماً متماسكاً خاصاً يستطيع ان يفسر لنا به مظاهر الوجود ·

فاذا نحن تقيدنا بهذه الشروط لم نستغرب اذا رأينا عدد الفلاسفة يتضاءل كثيراً ، ثم اننا واجدون حينئذ ان أمماً بأسرها قد خلت ممن يجوز ان يطلق عليهم لقب «فيلسوف» ·

* * *

بدأ التفكير الاسلامي الأصيل يتبلور منذ أوائل القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي ، وبدأ المفكرون الأولون في موكب الفلسفة الاسلامية كالفارابي وابن سينا يخسرون مقامهم المرموق وخصوصاً في بحوث ما وراء الطبيعة · لقد تعرض هؤلاء لردود رجال الدين كالغزالي ، ولردود رجال العقل كابن طفيل وابن رشد على السواء · ولكن الفارابي وابن سينا وأندادهما كانوا معذورين ، فالفلسفة اليونانية قد وصلت اليهم مشوهة ممزوجة بالخرافات الاسكندرانية ـ(او الفلسفة الأفلاطونية الحديثة) ـ كما يقول بعضهم ·

وهذه الردود على أسس الفلسفة المشرقية بدأت في المغرب ، بدأها ابو محمد علي بن احمد بن حزم المتوفى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) · ألّف ابن حزم كتابه العظيم المشهور «الفصَل في الملل والأهواء والنِحَل» ليردّ على علماء الكلام وعلى المعتزلة منهم خاصة كمَعْمَر والنَّظَّام وابي الهُذيل العلاّف ، ثم على الأشعرية أيضاً ورأسُ مذهبهم ابو الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠ هـ (٩٤١ م) · وكذلك قد رد على الطبيب محمد بن زكريا الرازي المتوفى ٣١١ هـ ·

ومع ان ابن حزم قد رد على المتكلمين وعلى بعض المتفلسفين رداً دينيًّا وحمل عليهم كلهم لأنهم يخالفون ظاهر الدين في أسس تفكيرهم وفي تفاصيله ، فانه قد أتى بأحكام في بحث الزمان والمكان وفي نظرية المعرفة خاصة هي أعلى ما بلغ اليه التفكير الفلسفي في جميع عصوره . وسأقصر كلامي هنا على نظرية المعرفة [1] :

تقوم نظرية المعرفة على « السبل التي يدرك بها الانسان حقيقة الوجود وحقيقة الموجودات » أو بكلمة أوضح : نظرية المعرفة هي الطرق المنطقية التي توصلنا الى ادراك ماهية الأمور المحسوسة والمعقولة . ويرى ابن حزم ان مصادر المعرفة الظاهرة لنا أربعة :

١ً — النصوص الدينية كما هي مثبتة في القرآن الكريم والحديث الشريف .

٢ً — ما أوجبته اللغة من المعاني التي تحملها الكلمات وما اتفق عليه العرب من الفهم لدى سماعهم هذه الكلمات .

٣ً — الحس وبديهة العقل .

٤ً — ألاكتساب ونقل التواتر .

أما النصوص الدينية وأما اللغة فلا تدخل في نظرية المعرفة المطلقة ، وانما هي من « طرق المعرفة » المقبولة بلا برهان . فآيات القرآن الكريم والأحاديث الموثوق بها صادقة الاخبار لا شك في ذلك ؛ ونحن نقبل ما فيها قبولاً مقروناً بالتصديق من غير تعرض للتساؤل عن أسباب ذلك ولا لإقامة البرهان عليها كما ذكر ابن خلدون في مظانّ كثيرة من مقدمته المشهورة .

(١) قد سبق لي الكلام على نظرية المعرفة عند ابن حزم بالتفصيل ، راجع مجلة المجمع العلمي العربي ٢٣ : ٢ (١ نيسان ١٩٤٨ = ٢٢ جمادى الأولى ١٣٦٧) ، ص ٢٠١ — ٢١٨ .

بقي لدينا « الحس السليم وبديهة العقل » ثم « الاكتساب ونقل التواتر » فهذه عناصر نظرية المعرفة على الحصر . وإن الحق ليحملنا على القول بان ابن حزم قد تقدم بآرائه هذه كثيراً عما انتجته العبقرية الغربية .

فالمعرفة عند ابن حزم ، فيما يبدو اذن ، مظهران أساسيان : بديهة العقل وطريق الحواس . هنالك أمور محسوسة ومعقولة يبدو لنا أننا نعرفها بالعقل ونعرفها ضرورةً . اننا نعرف مثلاً ان العشرة اكثر من الخمسة ، وان الصدق خير من الكذب ، ثم نحن لا نحتاج في ظاهر تفكيرنا الى أدلة على ذلك . غير أننا نظن عادة ان هذه المعرفة قد جاءت من العقل مباشرة ولا صلة لها بحواسنا ولا باختبارنا . ولكن ابن حزم يرى أن هذا الذي نظن نحن الآن اننا نعرفه بالعقل ونعرفه ضرورة يجب ان يكون من قبل قد مر بحواسنا وتجمع من اختبارنا . ولكن لما كثر تردّاده على حواسنا برعت حواسنا المختلفة بنقله الى العقل في أقصر مدة من أيسر سبيل حتى لنظنّ انه لم يمرّ بحواسنا قط ، ولا أننا عرفناه باختبارنا . فالمعارف كلها اذن راجعة عند ابن حزم في ظاهرها وفي أساسها ، من قُرْب أو من بُعْد ، الى الحواس . وهو يشترط طبعاً ان تكون الحواس سليمة حتى تكون معرفتنا صحيحة .

وهكذا يكون ابن حزم قد حلّ أعظم مشكلة في تاريخ نظرية المعرفة ، تلك المشكلة التي زعم مؤرخو الفلسفة الحديثة ان حلها كان من تاج عبقرية الفيلسوف الألماني كانْت Kant المتوفى عام ١٨٠٤ م . لقد كان هم هذا الفيلسوف محاولة الجواب على هذه المشكلة الكبرى : « كيف تكون الأحكام المبنية على الاختيار الحسي ممكنة بالبديهة » . ولقد حل « كانت » هذه المشكلة حينما استنتج ان المعرفة التي نعتقد انها تأتي من العقل راجعة في الحقيقة الى اختبار اكتسبناه من طريق الحواس في زمن متقدم جداً .

على ان ابن حزم قد جاء قبل كانت Kant بسبعة قرون ووقف أمام المشكلة نفسها ثم حلها حلاً صحيحاً ينقصه بلا شك بسط القول وشكل المنطق اللذان امتاز بهما الفيلسوف الألماني «كانت»، ولكن لا تنقصه العبقرية المبدعة والبصيرة النافذة ·

* * *

ولم تكن النقمة على أساليب التفلسف المشرقي قاصرة على الاندلس، بل قام في المشرق نفسه من حمل على المعتزلة من أصحاب الكلام ثم على الفارابي وابن سينا خاصة حملات شديدة · ذلك هو حجة الاسلام الغزّالي ·

والغريب ان ابن حزم والغزالي ـ على بعد الدار بينهما واختلاف زمنهما وفقدان الدليل على ان يكون الغزالي قد اطلع على ما كتبه ابن حزم ـ كانا متقاربين جداً في موقفهما من الفلسفة القديمة وفي سعيهما الى وضع أسس للمعرفة ·

ولد الغزالي بعد وفاة ابن حزم بنحو ست سنوات وعاش في زمن مضطرب جداً وشهد الجحافل الصليبية تدخل بيت المقدس قبل ان يتوفى باحدى عشرة سنة · ولقد هال الغزّاليّ أن يرى الشباب في أيامه منصرفين عن الدين يهملون أداء الصلوات ويتهاونون في سائر العبادات · ثم ظن أن سبب ذلك تفشي الفلسفة بين الناس · لذلك استنتج ان الدواء الحقيقي لهذا الداء انما هو في تنفير العامة من الفلسفة بتبيان ما فيها من اخطاء وضلال · وسواء أنجح الغزالي في تهديم الفلسفة أم لم ينجح فانه قد ترك في زمنه وبعد زمنه دوياً شديداً · ونحن نعلم ان النهضة الحقيقية للفلسفة في المغرب انما كانت في أساسها ردّ فعل لموقف الغزالي من الفلسفة القديمة ·

وبما ان الغزالي شاء ان يرد مظاهر التفكير الى الدين ـ كما شاء ابن حزم من قبله ـ فلم يكن من المستغرب ان يلتقيا كثيراً في آرائهما · من ذلك

مثلاً أنها أنكرا ان يكون للكواكب نفوس وأنها تعقل وان بامكاننا ان نعرف من منازلها ومسيرها ما سيأتي به المستقبل ، مع ان هذه العقيدة كانت شائعة عامة منذ أيام اليونان الى أيام ابن حزم والغزالي ثم الى ايام ابن رشد في الاسلام ، ثم الى القرن الثامن عشر في أوروبة . ومما يؤخذ على ابن رشد في هذا الباب انه خطأ الغزالي في ذلك مع ان الغزالي كان مصيباً وابن رشد كان مخطئاً .

واشتهر الغزالي بنظريته في الشك :

للغزالي كتاب صغير الحجم اسمه «المنقذ من الضلال» هو أحسن ما كتب الغزالي في الفلسفة ومن احسن ما كتب في الفلسفة أيضاً . ولو أن الغزالي اكتفى بهذا الكتاب ولم يؤلف سواه لكان مقامه في تاريخ الفلسفة أجل من مقامه الحالي . ان كتب الغزالي من أمثال احياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة وكيمياء السعادة وفضائح الباطنية قد كسبت الغزالي لقب حجة الاسلام ولكنها لم تزد شيئاً في مقامه الفلسفي أن لم تكن قد غضت قليلاً من ذلك المقام .

لما هال الغزالي ان يرى الشباب منصرفين عن الدين مستخفين بأوامره ونواهيه أراد ان يعرف سبب ذلك . ولم يطل الأمر بالغزالي حتى صرح بان الانسان عادةً لا يختار الدين الذي يريده ، وانما ينشأ على الدين الذي يرثه من ابويه وأستاذيه ، بلا تفكير . فقال : هل هنالك سبيل الى معرفة الفطرة الحقيقية للدين ؟ ولكن قبل ان يجيب الغزالي على هذا السؤال عرض له سؤال آخر أو جواب لسؤال آخر على الأصح ، فقال في نفسه : قبل ان نعرف صواب شيء من فساده يجب ان يكون لدينا آلة تميز الصواب من الخطأ تمييزاً مطلقاً . أما الآلة الأولى المتعارفة بين الناس وهي «تقليد الآباء» فلم يبق لها قيمة بعد ان قام دليل من حسنا على انها فاسدة . فالناس لا يقلدون آباءهم في

الصواب دون الخطأ بل يقلدونهم في كل شيء . فالتقليد اذن لا يميز الخطأ من الصواب .

وهنا برزت في خيال الغزالي فكرة جديدة : لقد دلنا الحس على ان التقليد فاسد فهل الحس نفسه مأمون في كل شيء ؟ واستعرض الغزالي ما حوله فوجد أن الحواس تتفاوت في اكتشافها الخطأ والصواب ، ولكنه وجد ايضاً ان اقوى هذه الحواس وهو البصر يخضع لخداع كبير . فالانسان ينظر الى الظل مثلاً فيراه ساكناً لا يتحرك ، وينظر الى النجم فاذا هو صغير جداً . ولكن العقل يدلنا دلالة واضحة على ان الظل يتحرك قليلاً قليلاً ، ولكن العين لا تكتشف حركته . وكذلك النجم فانه أكبر من الأرض كثيراً ولكن البصر وحده لا يدرك ذلك . عندئذ قال الغزالي في نفسه : ان الحواس ايضاً لا ثقة بها بعد أن قام دليل من العقل ضعفها وانخداعها . ثم استقر الغزالي حيناً الى الثقة بالعقل .

بعدئذ بدت أمام الغزالي قضية شكلية ، ولكنها قضية من أشد القضايا خطراً في تاريخ التفكير الانساني ، فقد قال الغزالي في نفسه : لقد وثقت انا الآن بالعقل ولم يقم دليل عندي على ان حكم العقل فاسد . ولكن هل يكون فقدانُ الدليل على فساد امرٍ ما دليلاً على صوابه ؟ واستعصى الجواب على الغزالي واضطربت نفسه فدخل في دور من الشك في كل شيء ، حتى انه بعد ذلك لم يستطع ان يثبت امراً وأن ينفيه لا من طريق التقليد ولا من طريق الحس ولا من طريق العقل .

قال الغزالي : « فحاولت لذلك علاجاً فلم يتيسر ، اذ لم يكن دفعه (دفع ذلك الشك) الا بالدليل ، ولم يمكن نَصْبُ دليل إلا من تركيب العلوم الأولية . فاذا لم تكن (تلك العلوم الأولية) مسلَّمة لم يمكن ترتيب

الدليل . فأعضل هذ الداء ودام قريباً من شهرين انا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال لا بحكم النطق والمقال ، حتى شفى الله من ذلك المرض وعادت النفس الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن ويقين . ولم يكن ذلك بنظم دليل وتركيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر ، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف »[1] .

لقد بدت عبقرية الغزالي هنا في أجلى مظاهرها : انه لم يشأ أن يأخذ بأمر من الأمور المحسوسة او المعقولة الا بدليل . وكان المنتظر من الغزالي ان يستثني الاسلام من ذلك فلا يتأس بأثمن شيء يملكه في طلب دليل قد يخرج منه ظافراً ، وقد لا يخرج ظافراً . ولكن ثقة الغزالي بدينه وبطريقة بحثه وبدليله كانت عظيمة جداً حتى أن إخضاع الاسلام للدليل العقلي لم يكن في رأيه مغامرةً قط .

ويبدو فضل الغزالي جلياً اذا وازنا بين نظريته هو في الشك وبين نظرية القديس اوغسطينوس من قبله أو ديكارت من بعده في الشك أيضاً .

ان الغزالي قد شك في ما ورثه من عقائد وفي ما عرفه من طريق الحس وفي ما وصل اليه من طريق العقل ، ثم لم يعد الى اليقين الا بعد ان انفتح له سبيل جديد من سبل المعرفة ، من خارج نفسه وبغير ارادة منه .

أما اوغسطينوس (ت ٤٣٠ م) فقد رأى ان في الانسان حواسَّ ظاهرةً وحواسَّ باطنةً فوقها ، ثم عقلاً فوق هذه جميعها يحكم في محسوساتها . وهو الى هذا الحد قريب من الغزالي . ثم يمضي اغسطينوس في تحليله فيقول : «ولكن العقل الانساني يجد شيئاً أسمى منه ، اذ هو متبدِّل يدرك تارة ويقصر أخرى ، ويسعى حيناً الى المعرفة» . ولذلك ينصح اوغسطينوس احدنا ويقول له :

---

(١) المنقذ ١٣ — ١٤

« اذا رأيت طبيعتك متبدلة فارْقَ بنفسك الى المصدر الخالد لنور العقل » .
والمأخذ على اغسطينوس ـ شكلياً على الأقل ـ قائم في أن الشيء المتبدل القاصر لا يمكن ان يكون حكماً ، بل لا يمكن ان يهتدي الى طلب المعرفة . وما دام الشك قد تطرق الى مقدرة العقل فلا يجوز لنا ان نرجع الى العقل نفسه لنعرف به .

والعجيب ان ديكارت المتوفى عام ١٦٥٠ م ، والذي اشتهر في تاريخ الفلسفة الأوروبية بانه واضع أساس البحث العلمي ، قد غفل عن هذا الفرق الدقيق الذي لحظه الغزالي في نظرية الشك . يبدأ ديكارت كما بدأ الغزالي قبله بخمسة قرون ونصف قرن فيقول : « لندع الشكَّ يتسرب الى كل اقتناع ، بل الى كل عقيدة فينا . ولكن لنهاجم شكوكنا واحداً واحداً ولنحاولْ ان نَصْرِفَها . على اننا اذا لم نستطع أن نصرف هذه الشكوك فاننا بلا ريب نصل الى حقيقة واحدة ، تلك هي أننا نفكر بينما نحن نشك . ويقوى ذلك في نفوسنا حتى لنستطيع ان نشك في أن لنا أيدياً وأرجلاً او في اننا نيام او يقظى . ثم نستطيع ان نشك في جميع هذا العالم المادي الذي حولنا ، ولكن لا نستطيع ان نشك في أننا نشك » . ثم قال ديكارت : وبما ان الشك هو أقوى دلائل التفكير ، فأنا إذ أشكُّ أفكر . وبما انني أفكر فأنا موجود .

ان ديكارت يأتي ـ من الناحية الشكلية ايضاً ـ متأخراً عن الغزالي في نظرية الشك ، اذ كيف يجوز له ان يشك ثم يظل مستبقياً شيئاً من الرقابة على شكه ؟ ثم كيف عرف ان تفكيره الذي دله على شكه كان صحيحاً . هنا أيضاً نرى عبقرية الغزالي تتجلى : ان الغزالي لما شك في كل شيء في داخله قد تلقى سبل المعرفة من الخارج . وهذا أحسنُ اتساقاً في السبيل الى « نقد التفكير والوصول الى الحق » .

وهكذا نرى ان ابن حزم في المغرب والغزالي في المشرق كانا يمثلان دوراً وسطاً في تاريخ التفكير الاسلامي . ان تفكيرهما كان صورة النزاع الذي قام في خفايا النفس الاسلامية بين الاستمرار في بناء التفلسف على الدين وبين جعل التفلسف مطلقاً خالصاً من كل قيد . ومع أنهما قد قصدا الدفاع عن الدين فانهما قد وضعا أسس الفلسفة العقلية . ولكن المشرق في ذلك الحين كان قد أدى رسالته في العلم والتفكير ثم غرق في الحروب الصليبية ، فانتقلت العناية بالفلسفة الى المغرب خالصة من شوائب الجدل . ولم تكن أحوال المغرب السياسية احسن من أحوال المشرق ، فلقد كانت الحروب والمنازعات في الأندلس وشمالي أفريقية قائمة على قدم وساق أيضاً . إلا أن المغاربة عُنوا بالفلسفة عناية فائقة ونسوا سوء أحوالهم المادية حينما سمت بهم عقولهم الى البحث عن الحقيقة والى اقامة أسس الحياة العقلية تنحو بالناس نحو السعادة الحقيقية .

* * *

وأول المفكرين في تاريخ الفلسفة الاسلامية استحقاقاً لقب فيلسوف هو ابن باجه . لقد أدرك ابن باجه ان التفلسف الذي سبقه كان قائماً في الدرجة الأولى على الجدل وانه كان معلولاً بالنظريات الدينية المتشعبة . ثم أنه كان فوق ذلك مشوهاً بارضاء العامة . ولقد كانت تغلب على التفلسف نزعة أدبية ، فكان الفيلسوف يبحث في كل شيء بحثاً غير متسق ولا متسق ولا محدود . من أجل ذلك نحا ابن باجه في فلسفته نحو الأسس التالية :

١ً — أراد أن يجعل التفلسف منظماً ذا قواعد ، فبنى التفكير على أسس من العلوم الرياضية والطبيعية : بينما كان التفلسف من قبله مبنياً في الأكثر على الجدال ومسوقاً في قوالب النحو والبلاغة وخاضعاً للنفسية الأدبية التي تستمد قوامها من الروايات المختلفة عن أئمة الأدب ومن الأخذ بآراء المتقدمين .

وهكذا جعل ابن باجّه التفلسف علماً موضوعياً ذا نطاق محدود يقوم على أسس المنطق ويستمد براهينه من قضايا العلوم العددية والطبيعية لا من أقوال الرواة والأدباء والمؤرخين .

٢ً — فصل في البحث بين الدين والفلسفة فجعل البحث الفلسفي مستقلاً ولم يتعرض في أثناء بحثه لقضايا الدين ، إذ اعتقد ان الدين عالم آخر مستقل . فالدين يختلف عند ابن باجّه عن الفلسفة في مصادره وفي عناصره وفي طرق البحث وفي غايته اختلافاً مطلقاً . ولم يُقِم ابن باجّه وزناً للتصوف .

٣ً — عزل ابن باجه العامة عن الفلسفة ، لقد كان نفر من المشارقة يتوجهون في كتاباتهم الى العامة كعلماء الكلام وإخوان الصفا والغزالي ، او يرهبون جانب العامة فيلقون على تفلسفهم ستاراً رقيقاً أو كثيفاً من التقية والرمز كالفارابي وابن سينا وابن طفيل المغربي أيضاً . أما ابن باجه فتوجه بكتاباته ومناقشاته الى الخاصة وأقام وزناً للفرد المفكر وحده لا للمجموع الكبير من العامة وأشباه العامة . ولنا في كتابه المشهور «تدبير المتوحد» دليل واضح على ذلك . ان ابن باجه قد أدرك ان البيئة العامة لا تؤاتي التفكير ، فعلى الأفراد من ذوي التفكير الناضج أن يعتزلوا بيئة العامة وأن يعيشوا وحدهم في بيئة خاصة حسب ما يقتضي العقل والطبيعة ، لا حسب ما يفرضه المجتمع المثقل بأحوال الرياء وبالخرافات . وكذلك أوجب ابن باجه ان تكون الفلسفة للبحث عن الحقيقة وللذّة الخاصة بالفيلسوف الباحث لا لإرضاء العامة لاستغلالهم أو التكسب منهم .

٤ً — وكان الفلاسفة قبل ابن باجه يكتبون في كل شيء ، فعمد هو الى الاختصاص وبدأ بالأسس فوضع نظرية المعرفة ، واستمد براهينه من الرياضيات ، وتوسع في فلسفة ما وراء الطبيعة ، في ناحية الوجود المطلق لا في ناحية الالهيات .

لقد اعتبر ان الإلهيات التي هي فرع من الدين خارجة عن نطاق الفلسفة الصحيح .

٥ — وكانت طبيعة القيود التي قيد ابن باجه بها نفسه تدعو الى الايجاز وخصوصاً بعد أن استغنى عن الأساليب الجدلية والخطابية والأدبية الضرورية للتأثير في العامة وأخذ بالأسلوب العلمي واتبع البحث المطلق .

٦ — وعالج ابن باجه الناحية التي تعرض لها من فلسفة ما وراء الطبيعة بصراحة، مما دل على أن آراءه في ذلك تناقض ظاهر الدين . فكان هذا الخروج على المألوف حجة في يد آل زُهْر حتى يسعوا في قتله تخلصاً من مزاحمته لهم في التطبيب .

لنأخذ الآن رأي ابن باجه في الأخلاق :

يرى ابن باجه ان الفرد يقوم بأعماله إما مدفوعاً اليها بشوق أو رغبة أو شهوة ، او بانفعال أي بدافع جسدي . وهذه دوافع يشترك فيها الانسان والحيوان البهيم ، فاذا قام الانسان بأعماله مدفوعاً بهذه الدوافع فعمله بهيمي . ويدخل في ذلك الطعام والشراب والاستفراغ والانتقام وطلب الجاه وما الى ذلك . ولكن اذا قام الانسان بأعماله بعد رَوِيَّةٍ توجب تلك الأعمال ، ثم أقدم عليها بارادة من نفسه فعمله انساني . ويضرب ابن باجه لنا مثلاً على ذلك فيقول : إذا مر انسان بين أشجار ثم اتفق أن خدشه عود نأتىء ، فاذا ظل الانسان هادئاً ثم كسر ذلك العود لئلا يخدش أحداً غيره فعمله هذا انساني ، وهو من الاخلاق الحميدة . ولكنه اذا انفعل ثم كسر ذلك العود متغيظاً محنقاً فعمله هذا بهيمي ، وهذا من الأخلاق الرديئة .

على ان ابن باجه يرى أن اعمال الانسان لا يمكن ان تكون انسانية خالصة ولا بهيمية خالصة ، بل يجب ان يكون في كل عمل يقوم به الانسان جزء انساني وجزء بهيمي . وتزداد قيمة الفرد بازدياد نسبة الجزء الانساني في أعماله على الجزء البهيمي . أما الذي يعمل أعماله بعد رَوِيَّةٍ خالصة وبإرادة

مطلقة من غير ان يلتفت الى رغباته البهيمية فأعماله أخلق بأن تسمى إلهية ·
ثم ان ابن باجه يرى أن شيئاً من الرغبة البهيمية ضروري في الانسان ، لأن ذلك يجعل الانسان أقوى على القيام بأعماله كلها ، ثم هو يفسح المجال أمام الجزء الانساني فيه ليكون متغلباً على الجزء البهيمي ومستخدماً له ·

وكان ابن طفيل معجباً بابن باجه وبفلسفته ، مع انه لم يلقه شخصياً · ولابن طفيل كتاب واحد طريف مشهور اسمه « حي بن يقظان » وهو قصة تدور على ان الإنسان ذا الفطرة الفائقة يستطيع ان يصل بنفسه ، ومن غير معلم ، الى أدق المدارك الحسية وأسمى المدارك العقلية · والقصة في الحقيقة لا تمثل حياة فرد ولكنها تمثل تطور الانسانية في أدوارها المختلفة ·

ورأى ابنُ طفيل ان ابن باجه قد توسع قبله في نظرية المعرفة وتبسط في الرياضيات وفي حقيقة الوجود ، فانصرف هو الى التوسع في علم الفلك وفي علم الطبيعة · ولقد استنتج ابن طفيل ان الأرض كروية وان العالم كله كروي وانه متناه (بينما كان ابن باجه قد استنتج ان العالم غير متناه) · ثم تعرض لنشوء الحياة نشأة طبيعية مرتجلة وتبسط تبسطاً كبيراً في الإلهيات وفي الكلام على العامة والخاصة · ولكن لا ريب في ان الغاية الأساسية في قصة حي بن يقظان هي ان يبين ابن طفيل صلة الحكمة بالشريعة (أي ما بين الفلسفة والدين من اوجه شبه او خلاف) ·

ومؤدى رأي ابن طفيل ان الدين وازع اجتماعي للعامة ، إذ هو يقول : « فان حظ اكثر الجمهور من الانتفاع بالشريعة انما هو في حياتهم الدنيا ليستقيم لهم معاشهم ولا يتعدى بعضهم على بعض في ما اختص به كل واحد منهم دون إخوانه » ·

وكذلك يرى ابن طفيل ان الدين ظاهراً وباطناً وان الدين يضرب للناس أمثلة فقط ، امثلة هي خيالات الحقائق . ثم ان الدارس لرسالة حي بن يقظان يرى ان الانسان ذا الفطرة الفائقة يستطيع أن يصل بعقله وحده الى ما جاء به الأنبياء ، ولذلك كان الدين عند ابن طفيل للعامة ، اما الخاصة فلهم الفلسفة . على أن الانسان اذا تأمل الغاية من الدين والغاية من الفلسفة وجد أن الدين والفلسفة ينحوان نحو سعادة البشر . فالغاية العملية من الدين ومن الفلسفة واحدة ، ولكن الدين يختلف من الفلسفة اختلافاً أساسياً في سبله وفي تفاصيل الأسس التي يقوم عليها . غير أن للدين فضلاً عن الفلسفة هو أنه يهيئ سعادة الكثرة المطلقة من البشر ، بينما الفلسفة لا تستطيع ان تسعد الا افراداً قليلين ذوي استعداد خاص .

* * *

وكان ابن رشد تلميذاً لابن طفيل ، فابن طفيل هو الذي وجه ابن رشد نحو الفلسفة العقلية وحثه على الاشتغال بالفلسفة القديمة ، وخصوصاً فلسفة أرسطو .

ليس ابن رشد اكبر فلاسفة الاسلام فحسب ، بل هو احد كبار الفلاسفة على الاطلاق . واذا نحن اعتبرنا القيمة الحقيقية والأثر الصحيح ، مما تركه ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى فعمل بذلك على خروج اوروبة من ظلمات التقليد الى نور التفكير ، وجب ان نضعه مع افلاطون وارسطو وكانت في صف واحد ، وان نرفع هؤلاء ــ في الفلسفة العقلية ــ فوق كل فيلسوف آخر .

استعرض ابن رشد التفكير الاسلامي فألف في الفقه كتاب المقدمات الممهدات وهو كتاب لا يخرج ابن رشد فيه عن مألوف الفقهاء في الموضوعات التي تناولها . أما في الفلسفة فقد كان له موقف آخر ، وهذا يتفق مع الاتجاه المغربي في التأليف من الفصل عند البحث بين الأمور الدينية وبين الأمور الفلسفية .

وجاء ابن رشد الى الفلسفة فنقدها او ردّ على عدد من رجالها كالفارابي وابن سينا او كالغزالي خاصة ، وذلك في كتابه « تهافت التهافت » . وكذلك تعرض الصلة بين الدين والفلسفة في رسالة « فصل المقال في ما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » ، ثم في رسالة « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة » . ونحن نستطيع ان نقول ان فلسفة ابن رشد قد انطوت على جميع ما جاء في الفلسفة المغربية منذ أيام ابن باجه ، في أسس نظرية المعرفة وفي طبقات الخاصة والعامة وفي الصلة بين الدين والفلسفة وفي علم الوجود ، ولكنه توسع توسعاً خاصاً في بحوث ما بعد الطبيعة كالمكان والزمان وقدم العالم وفي الاسباب والعلل وفي الروح والنفس والعقل وفي الخلود .

ولم يكن ابن رشد عَلَماً في زمانه وبين أترابه فحسب بل كان قمة شاهقة في تاريخ الفلسفة كلها . واذا لم يكن بالامكان عرض فلسفة ابن رشد تامة او شبه تامة هنا ، فانني أحب في هذا المقام ان اشير اشارة خاصة الى رأي ابن رشد في الزمان . قال ابن رشد : « ان الزمان معنىً ذهنيٌّ لا وجود له على الحقيقة .... والزمان شيء يفعله الذهن في الحركة .... لأن الزمان ليس شيئاً غير ما يدركه الذهن من هذا الامتداد المقدر للحركة .. فالزمان ليس بذي وضع » . ولا ريب في ان من عبقرية الفيلسوف الألماني كانت (ت ١٨٠٤ م) انه قال في المكان والزمان انهما ليسا شيئاً في ذاتهما ، بل هما وعاءان كبيران يحتويان على جميع الحقائق المحسوسة والمعقولة ، وانهما وعاءان بلا قعر ولا جوانب . ثم انه قال فيهما انهما في الحقيقة فكرة خالصة تمكننا من تخيل الأشياء مرتباً بعضها قرب بعض او منسوقاً بعضها خلف بعض . على أن هذا الذي قال به كانت في اواخر القرن الثامن عشر قد أعلنه ابن رشد منذ القرون الوسطى ، منذ تلك العصور المظلمة قبل عصر الاكتشافات والنور .

وكذلك عرض كانت موضوعات الفلسفة على المنطق والعقل ثم استنتج ان ثمة ثلاثة أمور طالما شغل الفلاسفة بها انفسهم وهي : الله والنفس والخلود ، من غير ان يتفق اثنان منهم على وجه واحد منها . من اجل ذلك نصح كانت الفلاسفة بألا يبحثوا في هذه الأمور ، لا لأنها امور لا حقيقة لها بل لأنها أمور وراء اختبار العقل الانساني ووراء الأدلة المنطقية . ولعلك تعجب أشد العجب اذا علمت ان ابن رشد قد أسدى هذه النصيحة نفسها الى المفكرين قبل كانت بستة قرون وبضع سنين . ثم يمضي ابن رشد في التعليق على نصيحته هذه فيقول : يجب ان يعتقد الانسان بالله ويؤمن بالنفس ويصدق بالخلود ، ولكنه يجب ان يأخذ هذه الأمور من طريق الايمان المطلق من غير ان يتطلب عليها براهين منطقية عقلية . انك لا تستطيع ان تبرهن على خلود النفس بعد الموت كما تستطيع ان تأتي بالبرهان على وجود الملح في ماء البحر مثلاً .

وابن رشد يعلل ذلك كله فيقول ان هذه الأمور (اي الايمان بالمغيبات) مبادىء الشرائع . وبما أن الشرائع تنحو نحو تهذيب البشر فيجب الا يتعرض لها احد بسؤال ولا طلب دليل . ومما لا ريب فيه عندنا ابداً ان هذه الأمور الثلاثة فوق طور العقل ولا يمكن للبشر أن يحيطوا علماً بها ، ولذلك رأى ابن رشد أن لا فائدة من البحث العقلي فيها .

وعظم أثر ابن رشد في الغرب خاصة حتى أثار فيه حركة دامت اربعمائة عام . أما الذي شغل اوروبة من آراء ابن رشد فأمور ثلاثة أولها : أزلية العالم ، أي أن العالم كان موجوداً دائماً : إنه لم يوجد بعد ان لم يكن ولا مرّ في الزمن وقت كان العالم فيه معدوماً .

ثم شغل اوروبة من آراء ابن رشد وحدة العقل البشري . ومؤدى ذلك ان أشخاص الناس لا تخلد بعد الموت ، وأن الخلود للعقل المطلق فقط . لقد كان

لهذه النظرية خطر على الدين هابته الكنيسة هيبةً شديدة . إننا اذا قبلنا ذلك قبلنا معه ان يكون أفراد الناس بعد موتهم متساوين ، وانهم جميعهم يخسرون شخصيتهم التي كانت لهم في الحياة . هذه النظرية في حقيقتها لا تخالف الاسلام بأدلة كثيرة منها قوله تعالى : « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ . أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً . وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ » . وكذلك جاء في الحديث : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث : صدقة جارية او علم نافع او ولد صالح يدعو له » .

على ان الأمر في النصرانية على خلاف ذلك . فالكنيسة تقول بأن القديسين يأتون بالعجائب وهم موتى كما كانوا يأتون بها وهم أحياء : انهم يشفون المرضى ويمنحون البركات ويظهرون للناس . أضف الى ذلك كله ان العقيدة المسيحية مبنية على اعتقاد الكنيسة بموت المسيح ثم قيامه من الموت . من أجل ذلك كان من المنتظر ان تقاوم الكنيسة نظرية وحدة العقل وضياع الشخصية الفردية بالموت .

والأمر الثالث الذي شغل ابنُ رشد به العقل الأوروبي كان نظرية الحقيقتين ، وذلك أن هناك أموراً تصحُّ في الفلسفة ولا تصح في الدين كالقول بقدم العالم مثلاً . ثم ان هنالك أموراً تصحُّ في الدين ولا تصح في الفلسفة كالعبادة على شكل مخصوص .

وأخذت اوروبة فلسفة ابن رشد كاملة ، ولم يتفق ذلك لأحد من قبله ، حتى أرسطو ، فان فلسفته لم تقبل في العصور الوسطى كاملة ولا شبه تامة ، وهكذا نشأ المذهب الرشدي في اوروبة وتعلق المفكرون الغربيون بفلسفة ابن رشد . وكان مركز المذهب الرشدي في جامعة باريس . أما اشهر اتباع ابن رشد فكان سيغو البرابنتي ثم كان منهم بواتيوس داسيا وبرنير دي نيفل ورامون لل وسواهم ممن هم أقل منهم شهرة .

وسرعان ما راع الكنيسة ، أن ترى فلسفة ابن رشد تنتشر بين المفكرين ، فأصدر المجمع الاقليمي في سانس بفرنسة (على نهر يون أحد روافد السين) منشوراً بتحريم قراءة كتب أرسطو وشروحها لابن رشد لأول مرة عام ١٢١٠ ، اي بعد وفاة ابن رشد باثني عشر عاماً . ثم اعيد نشر هذا التحريم بعد خمسة أعوام . ولا ريب في ان المقصود الحقيقي بهذا التحريم كان ابن رشد لا أرسطو ، فكتب أرسطو كانت معروضة من قبل ولم تحرم . ولكن شروح ابن رشد على كتب ارسطو هي التي روعت الكنيسة لأنها جعلت لكتب ارسطو قيمة عملية . على ان الناس ظلوا يقرؤون كتب ابن رشد وينشرون ما فيها من آراء ثم يحاولونها مركزاً أسمى من المركز الذي كان للكتب التي كتبها فقهاء أوروبة أنفسهم . وظلت فلسفة ابن رشد نبعاً فياضاً في أوروبة قرنين كاملين . ولقد جهدت الكنيسة بكل سبيل أن تطمس آراءه فلم تستطع ، على الرغم من الحرمان الذي هددت به أشياعها صراحة في الأعوام ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ للميلاد ، ان هم قرؤوا كتبه .

وأخيراً ادركت الكنيسة ان العلم لا يقاوم بالحرمانات ، فعهدت الى رجالها بأن يدرسوا الفلسفة ليردوا على آراء ابن رشد ويسوّدوا صفحتها في أعين العامة ، فكان ممن يتعرض لابن رشد بالرد على آرائه ، وبتحريض من الكنيسة ، دنس سكوتوس والبرت الكبير والقديس توما ، ولم يستطع هؤلاء أن يخمدوا التفكير ولا ان يطفئوا نور ابن رشد بأقوال واهية ، فاشتغلوا يشتمونه . فكان دنس سكوتوس يصفه بقوله : ابن رشد الملعون . ولم يحجز القديس حاجزٌ دون أن يذكر ابن رشد ويقول إنه كَلْبٌ كَلِبٌ ينبح على النصرانية .

ولكن هذا لم يمنع الناس من تدارس فلسفة ابن رشد ، ولا منع آراء ابن رشد في أن تفعل فعلها في العقل الأوروبي .

* * *

وهدأ التفكير الفلسفي في الاسلام بعد ابن رشد مائة وخمسين عاماً حتى جاء عبد الرحمن ابن خلدون فوضع مقدمته المشهورة . ولكن ابن خلدون يحتاج الى بحث مستقل، فان هذا الدور لا ينتظمه ، ولأن ابن خلدون ، فوق ذلك ، عالم اجتماعي لا فيلسوف ماورائي .

ان فلاسفة هذا الدور الذي ألممنا به يمثلون في العصور الوسطى ما مثله سقراط وافلاطون وارسطو في العصور القديمة . واذا علمنا ان العلم اليوناني كله من ثاليس الى أقليدس الى أرسطو لم يُعرَف في العصور الوسطى إلا من خلال الفلسفة الاسلامية وفي شروح ابن رشد على الأخص ، أدركنا أيّ رسالة أداها فلاسفة الاسلام في التفكير الانساني .

ولعل أداء الرسالة هي النعمة الوحيدة التي لا مِنّة فيها على احد ، بل هي واجب صاحب الرسالة نحو قومه ونحو غير قومه على السواء . ولا فائدة من الحقيقة إذا لم تعرف كما قال ابن رشد نفسه . واما الذين لا يستطيعون ان ينتفعوا برسالة العقل فلا لوم عليهم لأن رسالة العقل ليست لجميع الناس .

ولقد أنصف ابن رشد نفسه وأنصف الناس لما قال :

يكفي أن يأخذ هذا العلم عني رجل واحد ! ..

الدكتور عمر فروخ

كتاب

« الجوهرتين العتيقتين »

لأبي محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني اليمني

المتوفي سنة ٣٣٤ هـ تقريباً

لا تقف شهرة الهمداني على حدّ علمي التاريخ والجغرافية ؛ اللذين دلل على سمو منزلته فيهما بكتابيه : « الاكليل »(1) و « صفة جزيرة العرب » ؛ فقد ضرب بسهم وافر في جميع ضروب المعارف في زمنه ، ولا سيما في العقول العقلية . ويقول صاعد الأندلسي في كتاب « طبقات الأمم » انه لم ينبغ من العرب في تلك العلوم سوى ابي اسحاق الكنديّ وابي محمد الهمداني . والقاء نظرة على أسماء مؤلفات الهمداني تكفي للتدليل على تنوع معارفه ، فمن مؤلفاته :

١ — « صفة جزيرة العرب » و « المسالك والممالك » في الجغرافية .

٢ — « الاكليل » و « القصيدة الدامغة على معدّ والفرس » (2) في التاريخ .

٣ — « ديوان شعر » شرحه ابن خالويه النحويّ ـ في الأدب .

٤ — « الزّيج » في علم الفلك .

٥ — « سرائر الحكمة » في الفلسفة .

٦ — « كتاب الابل » و « كتاب الحرث والحيلة » في الحيوان والنبات .

٧ — « كتاب الجوهرتين » في التعدين .

---

(1) في مجلة « المجمع العلمي العربي » بحث عن الاكليل في الجزء الأول من (٧٠) من المجلد الخامس والعشرين .

(2) موجودة في مكتبة « متحف الأمة بباريس » ذكرها « اوسكار لوفيرن » في كتابه عن الهمداني .

وأريد بهذه الكلمة أن أصف نسخة طالعتها من هذا الكتاب القيم، الذي يدل دلالة واضحة على ان لسلفنا الصالح آثاراً نافعة؛ في جميع العلوم، وإن شاب تلك الآثار نقص، او اعتراها ضعف في بعض المواضع إلا أن مرد ذلك ثقة أولئك السلف بكل ما أثر عن اليونان من حكمة وفلسفة، ثقة دفعتهم الى تلقي كثير من علومهم بدون تحقيق، وبغير تمحيص. كما يظهر من صنيع الهمداني في مواضع من كتابه هذا.

يوجد من هذا الكتاب نسختان، احداهما في مكتبة «ميلان» في ايطالية، والأخرى في مكتبة «ابسالة» في السويد، ومنها صورة في «دار الكتب المصرية»[1] رقمها (٩٠٧ طبيعة). تقع في (٨١) لوحة، في كل لوحة صفحتان سوى اللوحة الأخيرة ففيها صفحة واحدة، وتتراوح سطور الصفحة الواحدة بين ٢٠ و ٢١ سطراً، يحوي السطر ما يقرب من احدى عشرة كلمة، ونوع الخط تعليق ـ بين النسخ والرقعة ـ سوى العناوين فهي مكتوبة بالثلث، والكاتب يمني من أهل القرن التاسع الهجري، لم يسم نفسه. وهو لا يكتب الهمزة مطلقاً، ولا يفرق بين الضاد والظاء، ويتحرى الدقة في كتابته فيضع علامة الاهمال فوق بعض الحروف المهملة بشكل «٧» وتحت بعض الحروف نقطة ويشكل بعض الكلمات، ويضع فواصل الجمل نقطاً، وفواصل المواضيع حرف «ه» ومع تحريه الدقة والضبط وقع في كتابته كثير من التحريف، وخاصة في اسماء المواضع، وفي الكلمات الاصطلاحية التربية، التي وردت في مواضع كثيرة من الكتاب، مهملة من الشكل والاعجام، فأصبحت غير مفهومة.

(١) نقل معهد المخطوطات في الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية نسخة مصورة عنها في الفيلم رقم (١٠٣٩).

أول الكتاب ـ في اللوحة الأولى ـ بعد أحد عشر سطراً من كتاب آخر ـ ماهذا نصه : (وافق الفراغ منه أول شهر جمادى الأولى من سنة ٨٩٨ ويتلوه كتاب الجوهرتين المائعتين من الصفراء والبيضاء تأليف الشيخ الامام العلامة ابي محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني العبدي البكيلي تغمده الله بغفرانه) وفي الصفحة الأولى من اللوحة الثانية بعد البسملة (الحمد لله خالق الخلق ، وباسط الرزق ، وقاسم المعيشة بين عباده بأحسن تقدير ، وأتقن تدبير ، فلم يعل (كذا) عليه صغير ، ولم يعزب عنه حقير ، حتى عم الجميع بلطفه ، ووسعهم بفضله ، وأغناهم بحصاة من ارضه ، أخرجها لهم من بين حجر ومدر ، لا ينهشها الكلب ، ولا يبتلعها الظليم ، ولا تؤذي شمّا ولا مذاقاً فجعل بها نظام دينهم ودنياهم ، ومتزوّدهم الى معادهم وأخراهم ، فأحلّ بها الفروج ، وملك بها الرقاب ، ورأب بها الصدوع ، وسدّ بها الثغور ، وأرقا بها الدماء (كذا والصواب : ورقأ) وفكّ بها الأسرى ، وسيّر بها الحاج ، وقضى بها الفروض ، فقال لنبيه محمد ﷺ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم . وقال تعالى فأنذرتكم ناراً تلظى ـ الى آخر السورة ـ . وقرنَ المال بالولد قال عز وجل : المال والبنون زينةُ الحيوة الدنيا . فالولد ثمرة القلب ، والمال حشاشته ، والعلم حياته . وأنزل في الوليد بن المغيرة : ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالاً ممدودا ، وبنين شهودا . قال مجاهد : كان ماله الف دينار . وقال الله عز وجل : وتأكلون التراث أكلاً لمّا ، وتحبون المال حبا جما . وقال تعالى : ان الانسان لربه لكنود ، وانه على ذلك لشهيد ، وانه لحبّ الخير لشديد ـ أي بما في يده ، شحيح عليه . وسمعنا فصحاء (٢ ب) مساكين العرب يقولون في سؤالهم : انا نحب الخير ، ـ أي إنا نطلب العطية والطعمة ـ . وقال النبي ﷺ : الحسب والمال ، والكرم والتقوى .

وقيل الورع من تورع من الصفراء والبيضاء ، وكان عليٌّ – صلوات الله عليه – اذا دخل بيت المال ، فنظر الى الصفراء والبيضاء قال : ابيضّي واصفرّي وغُرّي غيري . قال الهمداني : المال ثلاثة اموال ، متباينة الأشكال ؛ أرضٌ ، وحيوانٌ ، ونقد . يقول العرب بينهم : مال حط (كذا) أي أرض – ولفلان مال لا يُرى طرفُه – أي ماشية ونعم كثير – ومال فلان معدن . ويقال : أتيته مروح الأموال ، ومروح المال ، ومراح الأموال – اي الحيوان – قال الفرزدق :

وعضٌّ زمان – يا ابن مروان – لم يدع من المال الا مسحتا أو مجلّف

– أي في الابل – وقد أكثر الناس القول في هذا البيت ، فقال قوم : لم يدع من المال ، ولم يترك الا مسحتا ، يعني والذي هو مجلّف[1] . فقد بوبنا عن الأرض « كتاب الحرث والحيلة » وعن الحيوان « كتاب الابل » ولم نحب أن نخل بأعظمها خطراً وأعتقها جوهراً ، وأكرمها عنصرا) .

ثم استرسل المؤلف في مقدمة طويلة تقع في ١٥ صفحة ، أورد فيها كثيراً من الآيات المتعلقة بالذهب والفضة ، وكثيراً من الأشعار .

آخر الكتاب (٨١ ب) (باب الدنانير المكحلة والمرتكية ، وما ينفع فيه الزئبق . أما المكحلة والمرتكية فإنها لا تكون الا في الدنانير المثاقيل القصار الخفاف ، وهي تحفر بمسر بدح (كذا) مدور في جانبين من حاشية الدينار ، وفي الوجه الثاني في جانبين مخالفين لذلك لئلا تلتقي الحفر فينقص ، ثم كبست هذه الحفور مرتكاً أو كحلا ، واكثر ما يعمل الكحل ملصقاً بأصول الحروف وبينها ، فاذا سبكت الدنانير ولم يخرج هذان الخلطان منها أتت سبائكها يابسة ، لأجل هذين الجنسين اليابسين ، اللذين هما من الفضة .

(١) كذا وفي الكلام نقص .

وأما المكحلة فتضرب على السندان بالماء حتى يذهب الكحل، ثم تفصحت حتى تنقى من أثره . وأما المرتكية فتضرب حروف الدينار بمنحة على صنجة، او على السندان بالمطرقة فيخرج ذلك الحشو . وأما اذا أصاب الدنانير الزئبق فإنه يجز على جمرة، ثم بطبخ ولون، واذا اعترك الدينار مع الدراهم فبيضته بطبخ ولون على النار .

تم كتاب الجوهرتين العتيقتين سنة ٨٩٨

بحمد الله تعالى وبركات من أمر بنقله، وصلواته على محمد وآله، وسلامه) .

أبواب الكتاب (1) :

(1) الأرقام للوحات الكتاب ، وحرف « ب » للصفحة الثانية من اللوحة .

هذه هي أبواب الكتاب ، ولعل من المفيد إيراد شيء منها ، (باب معادن جزيرة العرب : قال ابو محمد : يقول أصحاب أخبار مكة : إن بالعير والعيرة ـ وهما جبلان بصلاة مكة ـ معدنا . فأما المعادن المعلومة فمعدن «عَشَم» من أرض كنانة ، وأحسبه ينسب الى عشم من قضاعة لأنه يقال معدن عشم ، وذهبه احمر جيد ، يأتي رطله بعيار العلوي مائة دينار مطوقة ، وأربعة دنانير ، وهو جيد عزيز . ومعدن «ضنكان» من أرض كنانة والأزد [٢٤] بينها ، وقد عثر منه في عصرنا على شيء خدّه عليه السيل ، فغنم منه السلطان والرعية ، وهو دون معدن عشم في جودة الذهب ، ويأتي رطله بعيار العلوي مائة دينار وديناراً ونصفاً . ومعدن «القُفَاعة» من أرض الجزيرة من خولان ، وهو بالقرب من الخصوف مدينة حكَم ، وقد يدعى معدن النار ، والنار في أعلى وادي

خُلَّب ـ وادي الحصوف ـ وهو خير المعادن جميعاً ، وأقله وضوحه (كذا) وأشدّها حمرة ، ورطله يأتي بالعيار العلوي ، مائة وستة . ومثله وقريب منه معدن « الخالفة » من أرض مجور وأرض همدان ، وبأرض بني سابقة بالحدّ ما بين صعدة ونجران ، وهو معدن جيد ، يأتي رطله بالعيار العلوي مائة وأربعة ، وأول اسا (كذا وفي الهامش : ـ ظ ـ وأقل شيئا) فهذه ما عمل من معادن الذهب بتهامة واليمن وشهير ، وبها معادن أخر ، ولم تُعْمَل ، منها معدن « سمان » بمجور وسمان (كذا في الموضعين) جبل ، والمعدن في مسقطه ، وهو مجانس لمعدن ضـكان .

وأما معادن نجد الذهبية فأولها معدن « المُجَيْرة » من نهد ، وأصح ما يأتي رطله بالعيار العلوي ثمانية وتسعين ، وأقل . ولا شكّ أن معدن « بيشة بُعْطان » مثله في وضوحه النير الحوار « كذا » ولم يعمل معدن بيشة في عصرنا وله مدة منذ انقطع عمله . ومنها معدن « العقيق » عقيق جَرْم ، بين نجران والفَلَج ، وموضعه صماد من العقيق (٢٤ ب) وهو غزير جداً ، ويسمون القطعة هناك دقة ولو كان فيها أرطال . ومنها معدن « الحَسَن » والحسن قَرْنٌ أسود مليح ، وهو غزير ، ويعدّ من معادن اليمامة ، ومنها معدن « الحفير » بناحية عماية وهو غزير . ومنها معدن « الصنيب » عن يسار هضب القليب . ومنها معدن « الثنيّة » ثنية ابن عصام الباهلي . ومنها معدن « العوسجة » من أرض غنيّ ، فويق المُغَيْراء ، من بطن السّرداح ـ والمغيراء الماء الذي يقال انه رمي عليه شاس بن زهير ثعلبة بن الاعرج الغنوي ـ ويقابل المغيراء قرن يقال له الوتدة في بطن الوادي . ومنها معدن « تيَاس » وهو محف بتياس ـ وتياس رمل في ديار بكر بن وائل دفن فيه العلاء بن الحضرمي صاحب رسول الله ﷺ . ومنها معدن « محجّة العراق » بين العمق وافيعية ، ولا أدري

أهو معدن النقرة في طريق العراق أم هو غيره ، أم معدن اسم لا يكون فيه معدن . ومنها «معدن بني سُلَيم» و «معدن بني فران» من أرض بليّ . ثم في ديار العرب من جزيرة العرب معادن كثيرة لم تُعمل ، وأهلها بادية لا يعرفونها ، ولم يدخلها من المعدنين أحد .

معادن الذهب في بلاد الأعاجم : أما أغزر معادن الأرض الذهبية فمعدن «غانة» بأرض المغرب ، مغرب مصر ، وتحول دونه المفاوز ، والمخافة من سودان (٢٥) المغرب ، فاذا وصل واصلٌ أوقر ركابه ، وذلك ان عروق الذهب ، وأعناقه ، وطرائده ، ونماله ، وألسنته ، بها كثيرة ، فيقرض ويحمل . خبرني بذلك ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن ، صاحب دار الضرب بصنعاء وصعدة ، على ما تناهى اليه وخبّر به . ومن معادن أرض النوبة والحبشة «العلاقي» ـ نسبة الى بني العلاف من سليم بن منصور ـ وهو جيّد التبر ، ومُوات ، وعلقمة ، والعلقميّ من خير التبر وأشدّه حمرة . ومدوله ومكانه (كذا) من بلد الحبش . وبرى (كذا) وهو معدن لسارب (كذا) من الحبشة . و «قفط» و «الأقصر» و «ارب» (كذا) و «اسوان» من من بلد البجة . ومن مضان التبر «دهلك» و «عيذاب» و «ناصع» و «سواكن» و «الصين» من بلدان الذهب قال تبّع :

وبيتٌ بالصين لي بغيةً ثياب الحرير ، وكنز الذهبْ .

تسمية معادن الفضة : ومنها معدن «شمام» الفضة والصفر (كذا) من أرض نجد ، وشمام قرية عظيمة ، كان فيها ـ فيما يقال ـ الف من المجوس ، وكان فيها بيتان ، وابنا شمام جبلان بها ، وقد خربت وكان عمرانها في الجاهلية ، وأكثر مدة الاسلام . ومنها معدن «الرضراض» باليمن ، وهو نظير معدن شمام وخير منه ، وأكثر معادن الفضة بخراسان ، أو ما لا يعلم مكانه في جزيرة

العرب . فمن معادن خراسان « اندرات » معدن بلخ ، وهو أغزر (٢٥ ب) معادن خراسان ، ويرتفع فيه كل يوم من الفضة شيء كثير ، واذا اغتدى الناس في لقط الجواهر راحوا بما رزقوا ، فيقسم ثلاثة أثلاث ؛ فيأخذ وكيل السلطان ثلثاً ، ويأخذ القطة ثلثاً ، وقبض أهل الموضع ثلثاً ؛ فمنهم من يعمل حقه ، ومنهم من يبيعه من تجار يعملونه . ومنها معدن « طوس » وفية مع الفضة — الحديد الذي تعمل منه السرود . ومنها معدن « سمرقند » . ومنها معدن « بخار » (كذا) موضع آل اسماعيل بن احمد . ومنها معدن بنيسابور . هذه المشهورة المذكورة ، ولم يشتهر ما سوى ذلك . قال معدنو الفضة : ليس بخراسان ولا بغيرها كمعدن اليمن — وهو معدن الرضراض — وهو في حدّ « نِهْم » ومخلاف « يام » من أرض همدان ، وخرب على رأس سبعين ومائتين ، وللمراد فيه خاصة ، ولبني غيلان رهط ابن الرُّويّة يد ، حتى يقال : معدن ابن الروية . ولبني الحارث ، وخولان العالية فيه جوار وصقب . فلما قتل محمد بن يعفر ، وافتتت هذه القبائل عليه ، عدا بعضهم على ساكنه فقتلوا منهم ونهبوا ، وهرب من بقي فتفرقوا في البلاد ، وصار الى صنعاء منهم قوم قد كان لهم بصنعاء قدم من قديم ، ومنازل وضياع ، وكان أهله جميعاً من الفرس ، ممن تأوّب اليه في الجاهلية ، وأيام بني أميــة وبني العباس ، وكانوا يسمون فرس المعدن ، فممن بصنعاء بنو مردويه ، وبنو مهدويه ، وبنو زنجويه ، وبنو يزدويه ، وبنو حدويه ، وكانت قرية المعدن عظيمة ، وبها غيل ونخل . وكان الجهاز يرد اليها من البصرة ، والقطرات اليها ومنها ، على طريق العقيق والفلَج واليمامة والبحرين الى البصرة ، وكذا كانت الرفاق تسلك من صنعاء الى البصرة ومن البصرة الى صنعاء طريق اليمامة ، وقد سلكها أصحابنا — رحمهم الله — وكان أكثر من سلكها جرم وبنو الحارث . وكان يرتفع لمن في المعدن من

تنانيرم ــ على أنهم لم يكونوا كآلة ولا سداد (كذا) ــ شيء كثير من الفضة ــ في نسخة أخرى يرتفع لهم في الجمعة حمل فضة وهو عشرون الف درهم ، فيؤدى في السنة بالتقريب الف الف درهم ، عرف ذلك من بعض وكلاء محمد ابن يعفر ، الذين كانوا يقبضون حق السلطان . وخبرني أحمد ابن أبي رمادة الصائغ ان بني المسا (كذا) وبني الأشرف كانوا يعالجون في المعدن ، وأنه كان فيه اربعمائة تنور ، وكان الطائر اذا حاذى قرية المعدن سقط ميتاً من نار التنانير ، وخبرني أبي ــ رحمه الله تعالى ــ انه يشتري الفضة الساب (كذا هنا وفي ص ١١٤) وهي الحرق على أربعة عشر مثقالاً بدينار مطوق ؛ المطوق ثلثا مثقال ، وحبتان ، والعشرة مطوقة وقية ، وهي سبعة مثاقيل ، فكان يقع المطوق من الفضة عشرين درهماً قفلة ، وبالمثقال قراب ثلاثين درهماً ، فلما انقطع المعدن صارت الفضة بصنعاء الى وقية بدينار مطوق ، فلما وقعت باليمن حطمةُ تسعين ومائتين عادت (٢٥ ب) إلى السعر الأول ، عشرين درهماً قفلة ، وهي وقيتان بدينار مطوق ، وبلغ صروف الدوانيق تسعة وتسعين بمطوق ، فذلك ستة عشر درهماً وسدس ، فحمل التجار من العراقيين والفرس والشاميين والمصريين فضض اليمن في ذلك العصر ، وكانوا يربحون فيها الربح الخطير . وخبرني بعض اخواننا النهميين من أهل الموضع ، قال : وصل الينا من صنعاء عن يتوصل باليمن خراسانيان ، فلما نظر الى المعدن والى ما فيه من الآثار الجاهلي (كذا) والاسلامي قال أحدهما : يا ضياع مال الله في هذا المكان ! ــ أو قال : ــ يامال الله الضائع في هذا المكان ! وقد كان أجري العلوي بصعدة خبره ، وكانت همدان ساكن هذه الموضع في حربه ، وكان الذي بينه وبين بني الروية لطيفاً ، فهمّ به ، فأشار عليه أهل صنعاء أن يبني فيه حصناً ، أو يَرُدّ الحصن القديم ، ويصير فيه ديواناً يعنون عماله من

البادية ، وعوادي مذحج ، فهم بذلك ، ونمي الخبر الى اسعد بن يعفر فبعث لآل مروح ـ سادة نهم ـ فأثبتهم في ديوانه ، وأراع عليهم دنياه ، فانقطعوا اليه ، ولم يستو للعلوي فيه ما أمّل . وآثار أعمال الجاهلي (كذا) فيه أكثر من آثار أهل الاسلام ، وهذا الموضع الذي ذكره النبي ﷺ في كتابه مع ابن غط الهمداني ، الى أهل مخلاف يام وخارف ، فهنالك جبل يام الأصحر ، وفيه آثار الجاهلي ، ثم انتقلت يام من هذا الموضع (٢٧) فسكنت ما بين جوف الحيقة ونجران ، فصار لهم قابل نجران القبلي ، فيه حاضرتهم ، وباديتهم بملاح وحازة فما يليها من حلاحل فسروم ، وخبرني بعض من نظره من القرباء الذين يعالجون الفضة انه ينفق على الدرهم منه ربع ، وان في أرض بني مجيد معدن فضة عمل لابن زياد صاحب زبيد فأنفق على الدراهم أربعة دوانيق لضعفه وعسره) اه .

(الرياض) حمد الجاسر

مقتطفات من كتاب

الأشباه والنظائر للخالديَّين

— ١ —

لقد بحثنا في مقالين سبقا عن «الخالديَّين» [١] ثم عن مؤلَّفهما «كتاب الأشباه والنظائر» [٢]، وها نحن نورد فيما يلي مقتطفات من الكتاب ليتبين القراء مدى أهميته في دراسة الشعر العربي وتقدم ريثما تذلّل بعض الصعوبات الناشئة عن أزمة الورق الحالية في طبعه.

— ١ —

قال الخالديان بعد المقدمة مفتتحَين الكتاب بالكلام على معنى قتال الأقارب والانتقام منهم :

قال المهلهل بن ربيعة [٣] :

١ بِكُرْهِ قلوبنا يا آلَ بكرٍ تُغاديكم بِرَهَفَةِ النِّصالِ
٢ لها لَوْنٌ من الهامات جَوْنٌ وإن كانت تُغادى بالصِّقالِ
٣ ونبكي حين نذكركم عليكم ونقتُلكم كأنّا لا نُبالي

أبيات المهلهل هذه هي الأصل في هذا المعنى ومثله قول الحُصَين بن الحُمَام المرّي [٤] :

(١) راجع الجزء الأول من المجلد الخامس والعشرين من هذه المجلة .
(٢) راجع الجزء الثاني من المجلد ٢٦ من هذه المجلة .
(٣) من أربعة أبيات في الحماسة (ط بن) ٩٣ – ٩٤ لرجل من بني عقيل حاربه بنو عمه فقتل منهم والرواية هناك « بكره سراتنا يا آلَ عمرو » كذلك أيضاً في العيون لابن قتيبة حيث يوجد البيتان الأول والأخير .
(٤) المفضلية ١٢/٦ والرواية هناك « يفلقن » يعني الأسياف كما في الحماسة ٩٣ والآمدي ٩١ ، وفي الشعراء ٤١٠ « تفلق » كما هنا . قال الشاعر الشعر لما أكثر ـ

نُفلِّق هاماً من رجالٍ أعزَّةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلَما

وأخذه بعضهم فقال [١] :

١ قومي هم قتلوا ، أُمَيم ، أخي فاذا رميت أصابني سهمي
٢ فلئن عفَوتُ لأعفُوَنْ جَلَلاً ولئن قتلتُ[٢] لأوهِنَنْ عَظْمي

وأخذه مالك بن مطفوق السعدي فقال :

١ قتلنا بني الأعمام يومَ أُوارةٍ وعزَّ علينا أن نكون كذلِكا
٢ هم أحرجونا يوم ذاك وجرَّدوا علينا سيوفاً لم يكنَّ بواتِكا

وأخذه حرب بن مِسْعَر فقال [٣] :

١ ولما دعاني لم أُجبه لأنني خشيتُ عليه وقعةً من مُصمِّمِ
٢ فلما أعاد الصوتَ لم أكُ عاجزاً ولا وَكِلاً في كلِّ دَهْياءَ صَيْلَمِ

ـ القتل في بني صرمة بن مرة وحلفائهم يوم دارة موضوع وكان قد تاشدهم الرحم بينهم وبين رهطــه بني سهم بن مرة فابوا ، انظر غ (= الأغاني) ١٢/١٢٥ و خ (= الخزانة) ٣/٣٠٤ . ويروى ان يزيد بن معاوية تمثل بهذا البيت لما وضع رأس الحسين بين يديه ، انظر العقد (ط ١٩٢٨ م) ٣/١٣٧ ومقاتل الطالبين (تحقيق السيد أحمد صقر) ١١٩ وابن الأثير (الكامل ، ط ليدن) ٤/٧٣ .

(١) من قصيدة مختارة للحارث بن وعلة الذهلي ـــ وقد خلطه القالي ١/٢٦٢ بالحارث بن وعلة الجرمي ـ قالها في قتل بن شيبان أخاه المنذر بن وعلة ، انظر اللآلي ٥٨٠ والآمدي ١٩٧ والحماسة ٩٧ والبيتان بدون عزو في غ ١٠/١١٨ والعيون ٣/٨٨ ، وجاء في جمهرة عمر بن شبة ـــ رقم ١١٩٤ ادب بدار الكتب المصرية ـــ ص ٧٨ ان المهلهل اوقع ببني الطماح وبني يقدم حتى أتى بني يقدم وساق بني الطماح بين يديه ثم عرض عليه ان يعفو فلم يعفُ وقتلهم فلما نظر اليهم قتلى استعبر بالبكاء وقال :

ولئن عفوت لاعفون جللا ولئن أسأت لاوهن عظمي
قومي هم قتلوا كليب أخي فاذا رميت يصيبني سهمي

(٢) بهامش ب « ن : رَمَيت » .

(٣) البيتان ٣ و ٤ له في نهج البلاغة (مصر ، ١٣٢٩ هـ) ١/٣٠١ والاولان للقتال الكلابي ـــ مع البيتين الآتيين [« مقوّم » و « منلم »] وزيادة خامس ـــ في البصرية (الدار ٥٢٠ أدب) ١٠ .

٣ عَطفتْ عليه المُهرَ عطفةَ مُحرجٍ ... صؤول ومن لا يغشِم الناسَ يُغشَمِ (١)

٤ وأوجَرتُه لدنَ الكعوب مقوّماً ... فخرّ صريعاً لليدَين والفَمِ

٥ وغادرتُه والدمعُ يجري لقتله ... وأوداجُه تجري على النحرِ بالدَّمِ

فأخذ هذا المعنى ديك الجنّ فقال في جارية كان يحبها فقتلها (٢) :

١ قمرٌ أنا استخرجتُه من دُجْنةٍ ... لبليّتي وجلوتُه من خِدره

٢ فقتلتُه وله عليّ كرامةٌ ... ملءُ الحشا وله الفؤادُ بأسْرِه

٣ عهدي به ميتاً كأحسنِ نائمٍ ... والحُزنُ ينحر عَبرتي في نحرِه

والى المعنى الأول نظر أبو تمام في قوله (٣) :

١ قد انثنى بالمنايا في أسنّته ... وقد أقام حياراكم على اللَّقَمِ

٢ جذلانُ من ظفرٍ حرّانُ ان رجعت ... أظفارُه منكم مخضوبةً بدَمِ

ومن هذا المعنى أخذ البحتري قوله (٤) :

(١) في ب « من لا يغشم الناس يُغشم » وثبت بالهامش « عم الناس اقتحم فيهم وتوسطهم من الجد في حرب أو غيرها ، وذلك مثل قول زهير : ومن لا يظلم الناسَ يُظلم » اللسان : عم أي رمى نفسه وسط الحرب ، زاد الجوهري : رمى نفسه وسط القوم في حرب كان أو غير حرب .

(٢) من ستة أبيات في غ ١٢/١٤٥ وخبرها أن ديك الجن اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص فتزوجها بعد ان أسلمت وكان اسمها وردا ثم رحل الى سلمية قاصدا لأحمد بن علي الهاشمي فأذاع ابن عم له على تلك المرأة انها تهوى غلاماً له وشاع ذلك الخبر حتى بلغ ديك الجن فعاد الى حمص وقتلها ثم بان له الخبر على حقيقته واستيقنه فندم ، وله اشعار اخرى في ندمه على قتلها .

(٣) الديوان ٢٤٠ . اللقم : وسط الطريق .

(٤) من قصيدة يذكر فيها صلح بني تغلب وقبله :

تقتّل من وتر اعزّ نفوسها ... عليها بأيد ما تكاد تطيشها

الديوان (هندية ، ١٩١١ م) ٢/٢١٧ والراغب (الشرفية ، ١٣٢٦ هـ) ٢/٧٥ وانظر المثل السائر ٤٨٢ حيث جاء ان البحتري أخذ المعنى من أبي تمام وكساه عبارة أحسن من العبارة الأولى .

اذا احترَبَت[1] يوماً ففاضت دماؤها[2] تذكّرتِ القربى ففاضت دموعُها

بيت البحتري أطرف وأبدع من بيت المهلهل الا أنه أرشده الى المعنى ودلّ عليه .

ومثله القتّال الكلابي[3] :

١ فلما رأيتُ انه غير مُنتَهٍ أملتُ له كفّي بلَدنٍ مقوَّمِ

٢ فلما رأيتُ أنني قد قتلتُه ندمتُ عليه أيّ ساعة مندمِ

— ٢ —

[ص ٦ معنى عَرف الحبيب بالديار]

وأنشد لبعض الأعراب[4] :

١ أرى كلّ أرض دمّنتها، وان مضت لها حِجَجٌ ، يزداد طيباً ترابُها

٢ ألم تعلَمَنْ ، يارب ، ان ربّ دعوة دعوتك فيها مُخلصاً لو أجابُها

٣ لعمرُ أبي ليلى لئن هي أصبحت بوادي القرى ماضرَّ غيري اغترابُها

مثله البحتري[5] :

لعمرُ الرسوم الدارسات لقد غدت بريّا سُعاد وهي طيبة العَرفِ

(١) ا « احترّت » .

(٢) ا « دماؤنا » .

(٣) من ثلاثة ابيات في الحماسة ٩٥ و غ ١٥٩/٢٠ وخبرها ان القتّال كان يتحدث الى ابنة عم له يقال لها العالية بنت عبد الله فحلف اخوها لئن رآه ثانية ليقتله فلما كان بعد ذلك بايام رآه عندها فأخذ السيف وخرج القتال هاربا فبينا هو يسعى وقد كاد أخو العالية يلحقه وجد رمحا مركوزا أو عيقاً فأخذه وعطف عليه فقتله . والبيتان للقتال في البصرية ١٥ مع ثلاثة أبيات أخرى معنى الاثنان منها ضمن الكلمة لحرب بن مسعر . والأول مع بيت آخر في ت (التنبيهات) القالي ٢٦ .

(٤) من أربعة أبيات في الحماسة ٥ — ٤٨٤ . دمنتها أي أثرت فيها باقامة قبل مبني من الدمنة ، كذا في أصل السكري (= ديوان المعاني) ١٦١/٩ وبدله في المرتضى ١٤٨/٢ « أوطئتها » وفي النويري ٦٦/٢ « دُستُ فيها » .

(٥) الديوان ١١٢/٢ .

مثله النميري (١) :

تضوّع مسكاً بطن نعمان ان مشت به زينبٌ في نسوة عطراتِ

قوله « يزداد طيباً ترابها » مثل قول جميل (٢) :

١ ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً بأبطح قيّاحٍ بأسفله نخلُ

٢ يفوح علينا المسكُ منه وانما به المسك ان جرّت به ذيلها جُمْلُ

ولبعضهم (٣) :

واستودعتْ نشرها الديارَ فما تزداد الاّ طيباً على القِدَمِ

ومن هنا أخذ العباس بن الأحنف قوله (٤) :

١ جرى السيلُ فاستبكاني السيلُ اذ جرى وفاضت له من مقلتيّ غروبُ

٢ وما ذاك الاّ حين خبّرتُ أنهُ يمرّ بوادٍ أنت منه قريبُ

٣ يكون أجاجاً دونكم فاذا انتهى اليكم تلقّى طيبكم فيطيبُ

أخذه ابن المعتز فقال (٥) :

فلما انتهى قولُ السلام وردُّه لفظن حديثاً عطّرتهُ اللافظُ

أبو العباس الأعمى (٦) :

ليت شعري أفاح رائحة المسك وما ان اخالُ بالخيف انسِيْ

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي وكان يشبّب بزينب بنت يوسف اخت الحجاج ، انظر غ ١٩٢/٦ والكامل (ط ليبك) ٢٨٩ و ٣٦٧ والحصري ١٠٧/١ والعسكري ٢٦٠/١ والنويري ٦٦/٢ .

(٢) البيت الثاني مع آخر له في العسكري ٢٦٠/١ والنويري ٦٦/٢ .

(٣) شرح الحماسة ٥٦٧ و خ (= الخزانة) ١٣٦/٤ والراغب ١٣٩/٢ .

(٤) هي أربعة أبيات له في الديوان ١٨ و غ ٧٧/١٧ وكثيراً ما خلطت بأبيات اخرى للمجنون (غ ٦٣/٢) وابن الدمينة (العقد ١٤٤/٤) .

(٥) لم يثبت البيت في الديوان .

(٦) من أبيات مدح بها مروان بن محمد ، انظر غ ٥٧/١٠ والحصري ١١١/٢ والبيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون) ٢٣٣/١ .

أنشد ابن الأعرابي [1] :

١ على الميت [2] من بطن الجزيرة كلّما ... مررنا به أو لم تَمُرْ ـ سلامي

٢ وما ذاك الاّ انّ زينبَ جرَّرت ... به الذيل لم تنزل لدار مُقام

٣ كأنّ تِجاراً تحمِل الطيب عرّسوا ... به ثمّ فضّوا فيه كلّ خِتام

وهذا كثير في أشعارهم قديمًا وحديثًا ، وأحسنُ ما قيل في هذا المعنى قول الشاعر [3] :

١ وأنتِ التي حبّبتِ شغباً الى بَدى [4] ... اليّ وأوطاني بلادٌ سواهما

٢ حللتِ بهذا حلّة بعد حلّة ... بهذا فطاب الواديان كلاهما

ومثله لأبي نواس [5] :

لمن دمن تزداد حُسنَ رسومِ ... على طول ما أقوتْ وطيبَ نسيمِ

— ٣ —

[ص ١١ : من شعر عمرو بن الاطنابة]

عمرو بن الاطنابة [6] :

١ أبت لي عفتي وأبَى بلائي ... وأخذي الحمدَ بالثمن الربيحِ

---

(١) لفروة بن حيضة الأسدي كان أحدث حدثا فطلبه السلطان فهرب وقال الأبيات بزيادة رابع ، كذا في الآمدي ١٠٥ والرواية هناك « بطن الحرية » بدل « بطن الجزيرة » و « زهرة » بدل « زينب » .

(٢) كذا ولعلها (الميث) بالثاء المثلثة .

(٣) من ثلاثة أبيات لكثير في الحماسة ٥٦٧ (أيضاً خ ١٣٦/٤) وهي أربعة له في د ٨٤/١ – ٨٥ والبلدان (شغبي) وهما في العسكري ٢٦٠/١ والحصري ٥٤/٤ لجميل .

(٤) في الأصول « شعبا » وفي ادب « ندى » مصحفا .

(٥) د ٨٨ .

(٦) الأبيات في العسكري ١١٤/١ ورواية ابن دريد عن الرياشي هناك أوفق الروايات للنص الوارد هنا وانظر اللآلي ٥٧٤ واللباب ٤ – ٢٢٣ والعقد ٥٤/١ وحم البحتري ١٩ والكامل ٧٥٣ والعيون ١٢٦/١ والنويري ٧/٣ – ٢٢٦ .

٢ واعطائي على المكروه مالي ... واقدامي على البطل المُشيحِ
٣ وقولي، كلّما جشأت وجاشت ... مكانك تُحمدي أو تستريحي
٥ لأدفعَ عن مآثر صالحاتٍ ... وأحمي بعدُ عن عِرضٍ صحيحِ

أما قوله يخاطب نفسه «وقولي كلّما جشأت وجاشت» فعليه فيه متعلق لأنه ذكر نفسه بالجبن وانها تدعوه الى الفرار وانه يقهرها بصبره [1] ، وفي الشعر مثل هذا كثير على العيب الذي قدمنا ذكره . وله أيضاً [2] :

١ ذُلُلٌ ركابي حيث شئتُ مشايعي ... لُبّي [3] أروع قطا المكان النافلِ
٢ أظُليمَ ما يُدريك كم من خَلّة [4] ... حسنٌ مدامعُها [5] كظبية حايلِ
٣ قد بِتّ [6] مالكها وشارب قهوة ... درياقةٍ أرويتُ منها واغلي
٤ صهباء صافيةٍ ترى ما دونها [7] ... قعر الاناء تُضيء وجهَ الناهلِ
٥ انّى من القوم الذين انتدَوا [8] ... يدعوا بحق الله ثمّ النائلِ

(١) يعدّ ابن الاطنابة « من الشجعان الثلاثة الذين تبين دلائل الجبن في شعرهم » كذا في العسكري . وأثر عن معاوية انه قال « والله لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين مراراً ما يمنعني من الانهزام الا أبيات ابن الاطنابة » انظر مجالس ثعلب ٨٣ ونهج البلاغة ١/١٨٨ و ٢/٢٨٦ والعمدة ١٠ (أيضاً الكامل والعيون) .

(٢) من كلمة في ٢٠ بيتا في ابن الاثير ١/٣ - ٢٠٥ و ١٣ بيتا في حم ابن الشجري ٥٦ ومنها الابيات ٥ - ٨ في الحماسة ٧١٤ والأبيات ٥ - ٧ في المرزباني ٢٠٤ .

(٣) كذا في حم ابن الشجري وفي الاصول « انّى » وصححت في م .

(٤) ادب « حلة » وفي حم ابن الشجري « حرّة » وله وجه حسن .

(٥) روي في نظام الغريب للربعي (تصحيح يولس برونله ، مطبعة هندية) ص ١١ « حسن مراغمها » والمراغم والملاغم : ما حول الفم .

(٦) ادب « قديت » كذا في م أيضاً في الموضع الآتي وصححت هناك .

(٧) بهامش ب « ن : من دونها » .

(٨) في الاصول « ابتدوا » وقد صححت في ب و م وانتدوا أي جلسوا في النادي كذا في الحماسة والمرزباني .

٦ المانعين من الخنا جاراتهم والحاشدين (١) على طعام النازل
٧ والخالطين فقيرهم بغنيّهم والباذلين عطاءهم للسائل
٨ والضاربين الكبشَ يبرقُ بيضُه ضربَ المهجهَج عن حياض الناهل

قد أخذَ في هذه الأبيات أشياء وأُخِذَ منه أشياء فما أخذَ قوله « ذلل ركابي حيث شئت » البيت . وهذا البيت بأسره لعنترة (٢) الا أنا قد وجدنا مثل هذا في أشعارهم أشياء كثيرة ، فمن ذلك قول امرئ القيس :

وقوفا بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون : لا تهلِكْ أسىً وتجمّلِ

ولطرفة بن العبد مثله حرفاً بحرف الا أنه جعل مكان « تجمّلِ » « تجلّدِ » (٣) .

ومن تصفح أشعار العرب رأى من هذا عجائب وهم يسمونه التوارد وهو عندنا سرقة لا محالة . ومما أخذه أيضاً قوله « قد بتّ مالكها وشاربَ قهوة » البيت وهذا بأسره للبيد الا أنهما في عصر واحد فلا ندري أيّهما أخذ من صاحبه . وأخذ أيضاً قوله « صهباء صافية ترى ما دونها قعر الاناء ... » وتمام البيت من قول الأعشى « تُريك القذَى من دونها وهي دونَه » (٤) الا انه لم يأت بمثل كلام الأعشى ولا قاربه .

وأما ما أُخِذَ منه فقوله « والخالطين غنيّهم بفقيرهم » والبيت الآخِر أخَذَه منه حسان بن ثابت مصالتة فقال (٥) :

(١) ا « الحاسدين » . وقارن قول قيس بن الخطيم « والحاشدون على قرى الاضياف » — د ق ١٠/٧ .

(٢) البيت في معلقة عنترة هكذا :

ذلل ركابي حيث شئت مشايعي لبي واحفزه بأمر مبرم

(٣) يرى ابن قتيبة — الشعراء ٥٣ — ان طرفة أخذ من امرىء القيس . وهو من الأخذ القبيح ، كذا في الصناعتين ١٧٣ والمثل السائر ٤٧٢ .

(٤) الشطر الثاني : إذا ذاقها من ذاقها يتمطق ، — د ق ٢٣/٢٣ والشعراء ١٤٢ . وللأعشى أيضاً :

تريك القذى وهي من دونه اذا ما تصفق جريالها

د ق ٢١/١٠ .

(٥) د ١٦٥ « الخالطون فقيرهم بغنيهم » الخ .

١ والخالطين غنيهم بفقيرهم والمنعمين على الفقير المرمل
٢ والضاربين الكبش يبرق بيضه ضرباً يطيح به بنان المفصل

وهذا أقبح ما يكون من الأخذ وليس هو من التوارد الذي يذكرونه لأن ابن الاطنابة من الأوس وحسان من الأنصار وهما من قبيلة واحدة وكان ابن الأطنابة أقدم من حسان فلذلك قلنا أخذه منه أخذاً .

— ٤ —

[ص ١٥ : من شعر قيس بن الخطيم]

قيس بن الخطيم [١] :

١ تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب
٢ ولم أرها إلا ثلاثاً على منى وعهدي بها عذراء ذات ذوائب
٣ فتلك التي كادت ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الركائب

قال الحاتمي : أخذ هذا المعنى أخذاً خفيّاً من امرئ القيس في قوله «قيد الأوابد» [٢] وهو [٣] قوله «نجاء الركائب» .

٤ ومثلك قد اصبيت ليست بكنة ولا جارة ولا حليلة صاحب [٤]

(١) الأبيات ، ما عدا البيت الأخير ، في د ق ٤/٣ و ٤ و ٢ و ٥ و ٨ و ١٠ و ٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٣ والقصيدة من المذهبات في الجمهرة ١٢٣ ومنتهى الطلب (نسخة الدار ٥٣ ش أدب) ٢/١٠٠ قالها في حرب حاطب وبعاث وقصتها ان حاطباً ، أحد بني عمرو بن عوف ، أجار رجلاً فكسع يهودي استه بأمر رجل من بني الحرث بن الخزرج فسعد حاطب الى الخزرجي فقتله فخرج بنو الحرث حتى قتلوا حاطباً ثم تهيأ الفريقان للقتال فالتقيا بالردم من بطحان وهو واد بالمدينة وكان ذلك اليوم على الأوس . وراجع الأبيات ١ — ٦ في الجمحي ٥٦ والبيتين ٨ و ٩ في مجموعة المعاني ٣٦ وبعض الأبيات في حم البحتري ٥٦ و ٦٨ .

(٢) من المعلقة :

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

(٣) ب و م « من » بدل « هو » .

(٤) لقيس أيضاً :

ومثلك قد اصبيت ليست بكنة ولا جارة أفضت الي خباءها

٥ أربّتُ بدفع الحرب حتى رأيتُها — على الدفع لا تزدادُ غيرَ تقاربِ

٦ ولما رأيتُ الحربَ شُبَّ أوارُها — لبستُ مع البردَين ثوبَ المحاربِ

٧ وكنتُ امرءاً لا أبعث الحربَ ظالماً — فلما أبَوا أشعلتُها كلَّ جانبِ

٨ اذا ما فررْنا كان أسوَا فرارِنا — صدودَ الخدود وازْورارَ المناكبِ

٩ صدودَ الخُدود والقنا متشاجرٌ — ولا تبرحُ الأقدامُ عند[1] التضاربِ

١٠ يُعرّضْنَ بيضاً حين نلقى عدوَّنا — ويُغمَدنَ حمراً ناحلاتٍ[2] المضاربِ

١١ فإن غبتُ لم أُغفَل وإن كنتُ شاهداً — تجدني شديداً في الكريهة جانبي[3]

قوله «وان غبتُ لم اغفل» ضدّ قول جرير[4] :

ويُقضَى الأمرُ حين تغيب تيمٌ — ولا يُستأذنون وهم شهودُ

أخذ بشار قوله «تبدت لنا كالشمس» البيت في قوله[5] :

١ قامتْ تصدّى اذ رأتني وحدي — كالشمس بين الزِّبرج المنقّدِ

٢ ضنَّتْ بخدٍّ وجلَتْ عن خدِّ — ثم انثنت كالنَّفَس المرتدِّ

وما قصّر بشار في هذا المعنى بل جوّده وزاد[6] :

(١) ا « مثل » بدل « عند » .

(٢) ا « ماحلات » أي متغيرة اللون .

(٣) لا يوجد هذا البيت الأخير في المصادر السالفة الذكر ولكنه ينسجم مع ما جاء في آخر القصيدة في الديوان :

وغُيِّبْتُ عن يوم كفتني عشيرتي — ويوم بُعاث كان يوم التغالبِ

ولم يكن قيس حضر يوم بُعاث .

(٤) د ١/٦٧ .

(٥) المختار من بشار ٢٢١ ونص الشارح ٢٢٣ على انه مأخوذ من قول قيس كما في العقد ٤٢١/٣ . وذكر في العسكري ان قول قيس مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصدّت كأن الشمس تحت قناعها — بدا حاجب منها وضنت بحاجب

(٦) قال شارح المختار من بشار ٢٢٣ : لم يفسد الآخر (لبشار) قول الأول (قيس) ولم يكن الأول بالمعنى اولى من الآخر .

وقوله «قتلك التي كادت[١] ونحن على منى» البيت يريد انا نظرنا اليها ونحن سائرون فلولا انّ الابل ، لما شُغِلْنَا[٢] بالنظر اليها ، سارت ونحن لا نعلم لكنُنّا قد نزلنا[٣] ، وفيه قول آخر وهو انا كنا محرمين فكدنا ، بنظرنا[٤] اليها ، ان نحلّ فيفسد احرامنا[٥] .

وشبيه بهذا قول الشاعر :

وتستوقف الركبَ العجالَ بطَرفها فما أحد يمضي من القوم أو تمضي[٦]

وقال آخر :

١ أغَرَتَ[٧] بموضع أخمصيها طرفَها؟ تحثو التراب بنظرة المستوعَفِ

٢ أخذتْ بالحاظِ الركاب فلمْعَلَمَتْ متقدماً منهم على متخلفِ

وقوله «ومثلك قد أصبيت» البيت معنى جيد في الحفاظ وقد أخذه بعض المحدثين فقال[٨] :

(١) او م «كانت» وصححت في م .

(٢) م «شغلنا» .

(٣) قال حسان بن ثابت ، د ق ١٧/٥ :

ديار التي كادت ونحن على منى تحلّ بنا لولا نجاء الرواحل

وجاء في تفسير البيت : يقول لمرقتها كدنا ان نقيم فلا نبرح لولا نجاء ابلنا كما قال قيس بن الحطيم ... الخ .

(٤) او م «تنظر» بدل «بنظرنا» .

(٥) في د «قال الطوسي : أي تجعلنا حلالا ونحن حرام» .

(٦) م «يمضي» .

(٧) كذا مع بعض الشك ، الهمزة للاستفهام و «قرت» أي المرقت ، يصفها بغض البصر وعدم التلفت الا أنني لا استبعد ان يكون البيت هكذا :

أثَرَتْ بموضع اخمصيها طرفَه تحثو التراب بطرْفه المستوعفِ

اثر خف البعير : سعى باطنه ليقتص اثره ، يصف المحب بمراقبة سيرها واثار النظر الى قدميها وهذا هو المعنى الذي نحن فيه .

(٨) من عدة أبيات للأحوص في غ ٢٦٤/٤ والقالي ٤٦/١ والحصري ١٥١/١ وهي من غير عزو في نهج البلاغة ٥٢٤/٤ .

١ قالت ـ وقلتُ : تحرَّجي وصِلي حبلَ امرئٍ بوصالكم صبِّ
٢ واصِلْ اذنْ بَعلي ، فقلت لها : الغدرُ شيءٌ ليس من شعبي[(١)]
٣ ثِنتان لا أصبو لوصلها عِرسُ الخليل وجارة الجَنبِ
٤ أما الصديق فلستُ خائنَـه والجارُ أوصاني به ربي

هذا جيد الا ان الأوّل أجود لأنه جمع ما احتاج اليه من الكنة والجارة وامرأة الصاحب في بيت واحد ، وهذا أتى بالجارة وامرأة الصاحب في أبيات ولم يذكر الكنة ، وهذا المعنى كثير في أشعارهم قديمًا ومحدثًا [(٢)] .

وقوله « لما رأيت الحرب شبَّ أوارها » البيتَ أراد بالبردَين الشجاعة والشباب ، ويجوز ان يكون أراد بها ثوبَيْه . فأما قوله « ثوب المحارب » فهو الدرع لا محالة ، ثم قال في ذكر الفرار ما لم يقله أحد جودة وحسن لفظ وصحة معنى . وقوله في ذكر السيوف « ناحلات المضارب » شبيه بقول النابغة [(٣)] :

ولا عيبَ فيهم غير انَّ سيوفهم بهنَّ فلول من قِراع الكتائبِ

قوله « اذا ما فررنا » والبيت الذي بعده مأخوذ من قول الأعشى في يوم ذي قار [(٤)] :

ماقي الخدود صدودٌ عن وجوههم ولا عن الطعن في اللَّبات تخرفُ [(٥)]

وقال عبد الله بن رواحة في جواب قيس بن الخطيم عن شعره هذا الشعر [(٦)] :

(١) كذا في نهج البلاغة وبعض نسخ الأغاني ، ويروى « تحرني » .
(٢) اخذ هذا المعنى شاعر آخر فقال :
قربت لها الميلاد ليست بكنة ولا جارة يخشى عليَّ ذمامها
كذا في نهج البلاغة ٤/٥٢٦ .
(٣) العقد الثمين ق ١٩/١ .
(٤) د ق ٧/١٦٤ .
(٥) م « يتحرف » .
(٦) د قيس بن الخطيم ص ٣٧ الأبيات ٧ ـ ١٠ .

١ اذا غُيِّرَت [1] أحسابُ قومٍ وجدتنا الى مَشْعَرٍ [2] فيها كِرامِ الضرائبِ

قوله «اذا غيّرت» البيت اي ان يشحُّوا [3] بعد الجود لما صاروا اليه من الشدة والجهد في سنة قد تقدم ذكرها في الشعر .

٢ نُدافع عن أحسابنا بتِلادِنا لِمُفتقرٍ أو سائل الحقّ واجبِ

٣ وأعمى هدَته للسبيل سُيُوفنا وخصمٍ أقمنا بعد تلجيج شاغبِ [4]

٤ ومعتَرَكٍ ضنكٍ ترى القومَ وسطه مشَينا له مشيَ الجمال المصاعبِ

أخذ قوله «مشينا له» من النابغة في قوله [5] :

اذا نزلوا عنهن للضرب أرقلوا الى الموت إرقالَ الجمال المصاعبِ

— ٥ —

وقال رفاعة بن خالد [6] الواقفي من الأنصار [7] :

---

(١) يروى « عُيِّرت » بالعين المهملة .

(٢) بهامش م « معشر صح » وبهامش ب « لعله معشر » ولا حاجة الى التصحيح فان المَشْعَر هو الشجر الملتف .

(٣) م « شحوا » ا « تسخوا » .

(٤) ا « تلجيج ساغب » ب « تلجيج شاغب » والرواية في الديوان « بعد ما لجّ شاغب » .

(٥) العقد الثمين ق ١٦/١ ، وهو من المعاني التي سبق اليها النابغة كذا في المنثور والمنظوم لابن طيفور (رقم ٥٨١ ادب بالدار) ص ١٠٠ ، ولقيس بن الخطيم — د.ق ١٣/٤ — مثل قول النابغة تماماً :

رجال متى يُدعَوا الى الموت أرقلوا اليه كارقال الجمال المصاعبِ

(٦) كذا ، الا اني أميل الى ان يكون « خالد » تصحيفا لـ « زنبر » و « رفاعة ابن زنبر » ذكره ابن الأثير في اسد الغابة ١٧٩/٢ [وقد فرّق أبو نعيم بينه وبين « رفاعة ابن عبد المنذر بن رفاعة بن زنبر » الذي لم يعقب — أسد الغابة ١٨١/٢ — كذا أورده ابن حجر مع ان ابن حجر كان يميل الى انهما واحد ، انظر الإصابة ٢٦٠٩ و ٢٧٠٧] .

ثم هل « رفاعة بن زنبر الواقفي من الأنصار » هذا هو والد « قيس بن رفاعة » الآتي ذكره ؟ لقد ذكر ابن حجر — الاصابة ٧١٦٣ — قيس بن رفاعة [ولا يمنعنا —

١ لا مهاذير في النَّدِيّ ولا يَنْسَك فيه لهم ندى وسماحُ
٢ منهم القائدُ الكتيبةَ بالسَّيْفِ كما يكشف السحابَ الرياحُ
٣ فيهم للملايِنين أناةٌ وطِماحٌ اذا يُراد الطِّماحُ
٤ ومداريكُ للذُّحول مبا ذيلُ اذا قلَّ في السنين اللقاحُ

— في هذا المقام الترجمة الأخرى ٧١٦٤ لقيس بن رفاعة الأنصاري قائها رجلان اثنان يختلف نسبها كما جزم بذلك صاحب الخزانة ٤٩/٢] عن المرزباني ٣٢٢ ونص على أنه واقفي انصاري [مجموعة المعاني ١٤٩ « قيس بن رفاعة الأنصاري » والبصرية ١٤ « قيس بن رفاعة الواقفي »] كما أن المرزباني ٢٣٤ ذكر أيضاً « عمرو بن رفاعة الواقفي الأوسي » — هكذا في ابن الجراح — وربما قيل عن هذا الشاعر له « ابو قيس بن رفاعة » كذا سماه الجمحي ٧٢ وهو في حم البحتري ٢٤ « ابوقيس ابن رفاعة الأنصاري » وقال البكري في اللآلي ٥٦ « هكذا رواه ابو علي قيس ابن رفاعة في أماليه (ص ١١) ورويته في اصلاح المنطق عن يعقوب : « أبو قيس بن رفاعة ، وهو الصحيح واسمه دِثار » الا ان البكري قال أيضاً في التنبيه ٢٢ « انما هو أبو قيس بن أبي رفاعة ، واسمه دِثار » وهذا الاسم « دِثار » هو في العيني ١٦٧/١ عن اللآلي « دِينار » ولا يخفى ان « دينار هو تصحيف شائع قديم لـ « زنبر » وقد نبه على هذا بالتفصيل ابن الأثير ١٨٢/٢ (انظر أيضاً الاصابة ٢٧٥٧) وأري أن « دثار » ليس إلا تصحيفاً آخر لنفس الكلمة . واذا تأكدنا من كلمة « زنبر » فالأرجح ان نفسر كلام البكري بأن « زنبر » هو اسم « ابي رفاعة » فيكون النسب هكذا : قيس بن أبي قيس رفاعة بن أبي رفاعة زنبر ، — ومن هنا يتضح مدى سوء الفهم الذي نشأ من اسقاط كلمة « أبي » قبل « رفاعة » [ومن حسن الحظ انها بقيت في التنبيه] ثم من تصحيف « زنبر » الى « دثار » و « دينار » وتبادر الذهن الى انه اسم لأبي قيس (بدل « أبي رفاعة ») . وبناء على ما ذهبنا اليه يكون الشك من الرواة فيما اذا كان القائل قيساً أو أباه لا في اسم القائل هل هو قيس أو أبو قيس .

على كل فما لا شك فيه ان رفاعة هذا وقيس بن رفاعة الآتي ذكره كلاهما من بني واقف واسمه مالك [« سالم بن مالك بن الأوس » في التاج (وقف) عن الصحاح والسمعاني (الواقفي) والمعارف لابن قتيبة ٥٥] بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس . وكثيراً ما خلط الناس بين « ابي قيس بن رفاعة » و « ابي قيس بن الأسلت » (انظر العيني ١٦٧/١) لأن الاخير هو أيضاً ينسب الى واقف مع أنه من وائل ، كذا في ابن هشام ١٧٨ .

(٧) نسب البيت الثالث الى قيس بن الخطيم في حم البحتري ١٦٦ (عنه في د ص ٤٣) .

[الرواية : القلاح (١)] (٢) .

وقال قيس بن رفاعة (٣) :

١ إن نصبح اليوم قد خفّت مجالسُنا ... والموتُ أمرٌ لهذا الناس مكتوبُ
٢ فقد غَنِينا وفينا سامِرٌ غَرِدٌ ... وصارخٌ كأتِيِّ السَّيل مَرهوبُ (٤)

— ٦ —

[ص ١٨]

وقال القتّال الكلابي :

١ لقد ولَدَتْ عوفَ الطّعان ومالكاً ... وعمرو العُلى والحارثَ المتَنَخّبا (٥)
٢ رجالٌ بأيديهم دماءٌ ونائلٌ ... يكادُ على الأعداء ان يتحلّبا

ومن هذا أخذ البحتري قوله (٦) :

١ وصاعقة في (٧) كفّه ينكفي بها ... على أرؤس الأبطال (٨) خمس سحائبِ
٢ يكاد الندى منها يفيض على العِدى ... مع السيف في ثِنْيَيّ قنا وقواضبِ

(١) تقلح فلان البلاد : تكسب فيها في الجدب ، كذا في التاج ، ولعل هذا المعنى هو المراد هنا والا فالقَلاح صفرة تعلو الأسنان لا غير .

(٢) ثبت ما بين المعقفين بهامش م لا بالمتن .

(٣) البيتان مع ثالث في المرزباني ٢٣٤ لِـ « عمرو بن ثعلبة وقيل (هكذا في ابن الجراح) عمرو بن رفاعة الواقفي الأوسي الجاهلي » وانظر اللآلي ٥٦ و٧٠٢ .

(٤) قارن قول قيس بن الخطيم ، د ق ١٤/٤ :

إذا فزعوا مدّوا الى الليل (الليل) صارخاً ... كموج الأتيّ المُزبد المتراكبِ

(٥) ا « المتخبا » م « المتجنبا » وهذا الأخير تصحيف .

(٦) د ٧٣/١ والسكري ١١٧/١ والعاهد ٢٤٠ .

(٧) ا « من » بدل « في » .

(٨) ا « الأعداء » كما في المثل السائر ٢٢٩ وفي د « الاقران » .

والبحتري وان كان أخذ المعنى وأتى به في بيتين فقد جوّد وأحسن وَفاقَ على وِفاقِ (١) الأوّل بما أبدع في المعنى الأول وزاد لأنه صيَّر السيفَ صاعقةً فيجوز ان يكون أراد حديدة من صاعقة على ما يحكي بعض الناس في الصواعق ، ويجوز أن يكون شبه السيف بالصاعقة لحدّته وانه يتلف ما مرّ به ، ثم ذكر انه ينكفي به على أرؤس الأبطال خمس سحائب يعني أصابع الممدوح (٢) ، ومن النادر في هذا البيت انه صير السحائب مع الصاعقة اذ كانا من جنس واحد ، وتقول الفلاسفة ان الصواعق تكون مع السحائب الصَّيفية دون الأمطار المطبقة في الشتاء ، ومما يقوّي هـذا القولَ قولُ لبيد يرثي أخاه أربَد وقد أحرقته الصاعقة (٣) :

أخشى على أربدَ الحُتوفَ ولا أرهبُ نوءَ السِماكِ والأسَدِ

وهذان الكوكبان من منازل القمر مطلعها في آخر الربيع وأوّل الصيف وهذا هو الحذق في الشعر وأخذ معانيه ، ومن أخذ المعنى هذا الأخذ فهو أحقُّ به ممن ابتدعه .... وبعدُ وقبلُ فقد سبق البحتري جميع الشعراء في هذا المعنى حُسناً وملاحة وصحة وفصاحةً .

يتبع : (القاهرة) الدكتور محمد يوسف

(١) ب « البيت » مكان « وفاق » مع أثر الحك ، وليس هناك سهو .

(٢) جاء في العسكري : هذا البيت أجود ما قيل في معناه ، جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب سحائب تجود على المؤملين بغيثها وتقتل معاديه بصاعقتها ، وفي المثل السائر ٢٢٩ : وهذا من النمط العالي الذي شغلك براعة معناه وحسن سبكه عن النظر الى استعارته والمراد بالسحائب الخمس الأصابع .

(٣) سار أربد (مع عامر بن الطفيل) الى النبي ﷺ ليقتله فأصابته صاعقة فهلك فقال فيه لبيد البيت ، انظر د ١٧ واللآلي ٢٩٧ - ٢٩٨ والآمدي ٢٩ والمرزباني ٢١٠ والشعراء ١٥١ .

تصحيح نهاية الأرب [1]

جزؤه الخامس عشر

— ١ —

ص ١٣ سطر ١٩ قوله (وهو يومئذ حَدَث السن) في المصباح (ويقال للفتى حديث السن فإن حذفت السن قلت حَدَث بفتحتين وجمعه أحداث) وصرحوا بتخطئة من قال حديث السن •

ص ٢٩ سطر ٥ قوله (كالمطهرة يقطر فيها ماء فينش الخ) نضب غار في الأرض • والنش صوت غليان القدر • والنش يكون بمعنى النضوب : لكن المراد هنا الثاني اذ لا معنى لقولنا يقطر في ماء فيأخذ في الغور في الأرض ثم يغور في الأرض وانما الأظهر ان يأخذ في الغليان كغليان القدر ثم يغور في الأرض • (راجع التعليق) •

ص ٢٩ سطر ٨ قوله (وجدوا مكاناً كالفوّارة العظيمة فيها ذهب) الفوارة بالفاء هو ما نسميه اليوم نوفرة ماء أو نافورة بدليل ما في أول ص ٧٥ (قباب ... يطلع من تحتها الماء في فوّارات وتنصب الى انهار) هذا معنى الفوارة في زمن المؤلف لكن قوله هنا (كالفوارة فيها ذهب) لا يناسب ان تكون بمعنى النوفرة فما صوابه اذن ؟ صوابه القوارة بالقاف ، ففي اللغة قوّر الشيء قطع من وسطه خرقاً مستديراً كما يقور الثوب والقُوارة (بتخفيف الواو) الشيء او الموضع الذي قوّر فقوله في عبارة الكتاب (مكاناً كالقوّارة فيها ذهب)

(١) راجع تصحيح الأجزاء السابقة في مجلدات المجمع سنة ٦ و ٧ و ٩ و ١٢ و ١٣ و ٢٠

يشعر بأن المراد فجوة او نقرة كالوهدة فيها ذهب . فصوابه القاف والتخفيف -

ص ٢٩ سطر ١٠ قوله (صفة فيها شيخ من حنتم أخضر الخ) فسر المصحح الحنتم بالجرار الخضر فيفهم القارئ الشادي بأن صورة الشيخ مركبة من جرار خضر - والجرار الخضر كما سميت بالحنتم وهو الأصل سمي كل خزف أخضر حنتماً باسمها أي باسم الجرار ، فالشيخ الفرعوني مصنوع من الخزف نفسه لا من الجرار الخزفية ، ونشاهد كثيراً في الآثار المصرية الفرعونية تماثيل جعلان متخذة من خزف ملون بالخضرة والأكثر بالزرقة ولا يخفى ان الزرقة والخضرة عند العرب لونان متداخلان ، فالسماء يسميها العرب الخضراء كما يسمونها الزرقاء . ومثل هذا السهو في تفسير الحنتم ما في آخر ص ٥٩ عند قوله (في براني الحنتم) أي في قدور الخزف الأخضر لا في قدور الجرار الخضر . ويؤيد ما قلنا قول المؤلف ص ٨٣ سطر ١٢ (وفي أيام ذلك الملك عُملت الصورة الحنتمية من الضفادع والخنافس الخ) فقوله الحنتمية يريد المنسوبة الى خزف الحنتم وقوله الخنافس هي الجعلان الفرعونية التي أشرنا اليها آنفاً .

ص ٣٧ سطر ٤ قوله (وارتفعت عجاجة نار أحرقت وحالت بينه وبينهم) . احرقت لو كانت من الاحراق لذكر مفعوله او لقال محرقة . فالظاهر أن أحرقت محرفة عن (أعرضت) بمعنى اعترضت يقال اعترض الشيء اذا صار عارضاً كالخشبة المعترضة في النهر وقوله بعده (وحالت بينه وبينهم) عطف تفسير له . فعل (أعرض) في كلام العرب يأتي بمعنى عرض الثلاثي ومنه قول الحماسي (ولما رأيت البشر أعرض بيننا) والبشر اسم جبل .

ص ٣٨ سطر ٧ قوله (وتحويلكم ايامه) بالحاء المهملة لا معنى له وصوابه تخويلكم بالخاء المعجمة بمعنى جعل أعدائكم خولاً أي عبيداً لكم : يقال خوّله الله مالاً اذا منّ به عليه .

ص ٣٨ سطر ٩ (ونبلغ له محابة) . (محابه) بالجيم لا معنى له وصوابه (محابّه) بالحاء المهملة وتشديد الباء جمع محبّ بمعنى ما يحبه الانسان ويحلو في نفسه ويشهد له ما جاء بعده ص ١١٥ سطر ١٢ (وأسنى جوائزهم ولم يتهم محابّهم) .

ص ٤٠ سطر ١٢ قوله (وكان الذي يتعبد منهم الكواكبَ السبعة) يتعبد فعل لازم بمعنى تنسّك ويكون متعدياً فيقال تعبد فلاناً اذا صيره كالعبد أو اتخذه عبداً . والكواكب هنا لا تصلح ان تكون مفعولاً لتعبّد بدليل السياق وبدليل ما قاله المصحح في تفسير كلمة (القاطر) فهي إذن مفعول لفعل سقط سهواً من المؤلف أو الناسخ وأصل الكلام هكذا (وكان الذي يتعبّد منهم يعبُدُ أو يخدم الكواكبَ السبعة) .

ص ٤١ سطر ١٣ (ومن الكهنة من يكون عليه بدنة جوهر أخضر أو أحمر) . فسر المصحح البدنة بالبقيرة وهي من ملابس النساء . هذا يحتمل والأكثر احتمالاً ان يكون المراد بالبدنة (البَدَن) وهو الدرع كما في كتب اللغة : فالكهنة كانوا يمرون أمام الملك بأزياء مختلفة منها ان يكون على احدهم درع رجال ، لا قميص نساء .

ص ٤٢ سطر ٦ قوله (وكأن فيها طيوراً بيضاء) الأفصح في وصف الجمع بنعتٍ من الألوان أو العيوب ان يكون بصيغة الجمع لا الإفراد فيقال طيور بيض لا بيضاء . وفي القرآن : غرابيب سود ، لا سوداء . وهي المسألة التي شغل نفسه وغيره فيها حقبة من الزمن المرحوم الأب انستاس الكرملي فكان لا يجوز ان يقال أبداً (كريّات بيضاء) بالافراد وانما (كريّات بيض) لكن الصحيح جوازه على ضعف .

ص ٤٢ قول المصحح في تفسير المقمعة انها خشبة غير حديد : لأن الأشهر في المقمعة ان تكون من حديد وفي القرآن (مقامع من حديد) فيحسن أن يقال : المقمعة من حديد وقيل تكون من خشب .

ص ٤٨ سطر ٢٠ (وجُعل على مدخل كل أَزَج صورتين (كذا) من نحاس مشوّهتين) انما يصف المؤلف القبر او الهرم الذي بناه أحد فراعنة مصر لنفسه ولا يعقل ان ينصب صانعه على ابوابه صوراً مشوهة أي قبيحة بان يتعمد صانعها تقبيحها فلم يبق الا ان تكون محرفة عن (مموّهتين) أي بالذهب مثلاً .
وخطر لي ان تكون (مشوهتين) محرفة عن مشبوهتين من (الشَبَه) بالتحريك ففي التهذيب هو ضرب من النحاس يلقى عليه دواء فيصفر قال ابن سيده سمي بالشَبَه لأنه أشبه بالذهب بلونه اهـ فعلى هذا يكون نحاس الصورتين مشبوهاً أي معالجاً بذلك الدواء الأصفر . وأقول هذا من عند نفسي ولم أجد نصاً عليه فالعبرة إذن بالقول الأول .

ص ٥٣ سطر ٢٠ قوله (فما انتما بمدركاني) نون الوقاية انما تدخل على الفعل المضارع كما قال قبله (تدركاني حتى تخبراني) أما اسم الفاعل فلا ، فصوابه (فما أنتما بمدركايَ) بل صوابه (بمدركيَّ) لأنه مثنى مجرور بالياء .

ص ٦١ سطر ٦ قوله (اول من أقام الكواكب) سقط مفعول الفعل فيكون أصله (اول من أقام هياكل الكواكب) .

ص ٦١ سطر ٧ قوله (منار على رأسه مرآة من أخلاط توري الأقاليم) ومثله ما في ص ٢٤٩ سطر ١١ (مرآة مورية للأجسام) الظاهر فيها (تُري) و (مُرية) الأول مضارع والثاني اسم فاعل كلاهما من فعل (الرؤية) جيء به من باب الإفعال . ويبعد ان يكون من فعل (أورى) النار اذا أشعلها ، اذ يقال في مثله : مرآة تُحرق أو محرقة للأجسام كمرآة منارة الاسكندرية التي كانت تحرق المراكب فيما زعموا . وفرق بين احراق النار وبين ايرائها . ويؤيد ما قلنا ما جاء للمؤلف نفسه في آخر ص ٧١ وهو قوله (كانت ــ تلك الأصنام ــ في هيكل المرآة التي تُرى منها الأقاليم) .

ص ٨٣ سطر ٢ قوله (وجد البائع ورقة آس او قرطاس بدور الدرم) لعل (بدور) محرفة عن (بدل) أو المراد ان شكل القرطاس على تدوّر الدرم واستدارته فتكون (بدور) محرفة عن (بتدوّر) إذ فعله تدوّر واستدار لا دار .

ص ٨٦ سطر ٦ (رحى طوله مئة ذراع) صوابه (طولها) لأن الرحى مؤنثة ، نقله الفيومي عن الزجّاج .

ص ٨٧ سطر ٨ قوله (ان يقع عما هو عليه) صوابه (أن يقلع) .

ص ٩٠ سطر ١١ (فوقفوا على مدينة عامرة) قوله قبله (ضلوا عن الطريق) يستدعي ان يكون الصواب (فوقعوا) بالعين أي عثروا عليها وصادفوها فجأة .

ص ٩١ سطر ٨ (وقد تشعّب بعض حصنها) صوابه (تشعث) بالثاء المثلثة كما يأتي في ص ١٠٨ سطر ١٤ .

ص ٩٥ سطر ١٠ قوله (وتعرف بأزليته) صوابه وتعترف .

ص ١٠٢ قوله في الهامشة (ص ٥) صوابه (ص ٦) .

ص ١٠٥ قوله في الهامش (قالت : انْ يمُتْ يقال هي قتلته) لم يجوز المصحح ان يكون فعل (يقال) جواباً للشرط فقدر للشرط فعلاً هو أعذّبْ . ولا حاجة الى ذلك لأن جواب ان الشرطية اذا كان مضارعاً جاز فيه الجزم وهو الأصل كما جاز فيه الرفع على الاستئناف .

ص ١١٨ سطر ٤ قوله (وصمّدها – اي المدينة – بعفاريت تمنع الداخل اليها) الأرجح ان تكون (صمّدها) محرفة عن حماها . كما يفهم من عبارة المقريزي التي استشهد المصحح بها .

ص ١٢٥ سطر ٥ قوله (فأمر الملك بكذا وبالزيادة في استنباط الأراضي) الاستنباط استخراج المياه من الآبار ونحوها ولو كان مراداً هنا لقال استنباط المياه فالظاهر ان يكون صوابه استنبات الأراضي أي معالجة الأراضي البور

بما يجعلها تُثبت ومثله ما في ص ١٣٢ سطر ٦ : (وأمر باستنباط العمارات واظهار الصناعات) لا معنى للاستنباط بمعنى استخراج المياه هنا أيضاً كما مر فالظاهر ان المراد بالعمارات الأراضي التي تعمّر بالحرث والزراعة والأسمدة وفي دمشق يسمون السماد التي تستصلح به الأرض عمارة فالاستنباط هنا أيضاً محرف عن استنبات في غالب الظن .

ص ١٢٦ سطر ١ قوله (فأنّى لنا خيره) كذا في المقريزي . وقال المصحح وفي الأصل (أين) بالياء ولا يخفى ان (أين) هذه بمعنى أنّى وكلتاهما للاستفهام عن المكان وأرى ان صوابه (أين) بالباء الموحدة أي أوضح وأظهر بدليل السياق .

ص ١٣٢ سطر ١٢ قوله (وعمل كرةً من الفضة على عمل البيضة الفلكية) أقرب ما يكون تحريف كلمة (عمل) عن كلمة (شكل) . ويلاحظ ان قوله (البيضة الفلكية) يشعر بانهم في ذلك العهد كانوا يصطلحون على تسمية (كرة الفلك) بالبيضة الفلكية .

ص ١٣٣ سطر ١٦ قوله (فكان أول من أذى بني اسرائيل) صوابه مد همزة آذى اي ألحق بهم الأذى .

ص ١٤٣ سطر ١٩ قوله (فاستوثق له الأمر) اي للملك (كيومرت) . في اللغة استوثق منه اذا أخذ منه الوثيقة . والوثيقة ما يستند اليه حين النزاع ولا يناسب هذا المعنى هنا (فاستوثق) في كلام المؤلف محرف من (استوسق) بالسين بمعنى اجتمع له الأمر . ومثله اتّسق له الأمر ، وهو مجاز وأصله من الوسق . وهو ان تجمع الأمتعة وتحملها على ظهر البعير . وأكثر ما يستعمل اليوم في وسق السفينة : فمعنى استوسق للملك الأمر كما تقول اليوم استتبّ واستقرّ . وفرق بين استوثق من الوثيقة واستوسق من الوسق . فهنا من الوسق

كما قلنا . وكذا ما في ص ١٦٦ سطر ١٤ وهو قوله : (حتى استوثق له الأمر) صوابه استوسق بالسين . ومثلها ما في ص ١٨٤ سطر ١٤ وهو قوله (فاستوثق له الملك) صوابه بالسين . أما في ص ١٠٢ سطر ٥ (فلما استوثق الملك سياوخش من ملك الترك) فهو من الوثيقة ولا خطأ فيه .

ص ١٤٥ سطر ٢ قوله عن الملك جشيد (صنّف الناس وطبّقهم وأمّر لكل واحد وظيفة) الظاهر ان يقول بوظيفة . وأما قوله طبّقهم بتشديد الباء من التطبيق فلم نجد له معنى مناسباً في المعاجم . ولولا قوله قبله (صنّف الناس) لقلنا ان طبّق محرف عن صنّف . والظاهر ان مراده بطبّقهم جعلهم طبقات لكل طبقة منهم مزاياها او امتيازاتها كما نقول اليوم . ومثله ما في ص ١٥٥ سطر ١٣ قوله (وقوّد على تلك العساكر) اي أقام قوّاداً عليهم . والتقويد بهذا المعنى لم يرد في اللغة . وفعل (التطبيق) و (التقويد) يجريان مجرى أفعال كثيرة وردت من باب التفعيل لإفادة التعدية أو التكثير وقد شاعت على ألسنة الكتّاب في هذه الأزمنة المتأخرة وأخذ بعضهم يلوم بعضاً في استعمالها كالتشريع والتنفيذ والتبرير والترزيق والتعضيد ونحوها وكتبت عنها مقالاً نشرته في مجلة المجمع سنة ٢٥ صفحة ٦١١ ملت فيه الى الجواز فليرجع اليه من أحب .

ص ١٥٣ قوله في الهامش مفسراً فعل (قاظ) بأقام : في هذا التفسير قصور وصوابه ان يقال : أقام في زمن القيظ . ومثل هذا التسامح في تفسير الفاظ اللغة كثير في الكتاب .

ص ١٦٢ سطر ٢٠ قوله (فدخل اسفنديار بلاد الترك ... ودخل مدينة الصفر عنوة) الصفر على اختلاف ضبط حركاتها بقاع في بلاد العرب . وبالتشديد صحراء بين دمشق والجولان . ولم يعهد لاسفنديار ملك الفرس اكتساح لها

فالصغر اذن محرف عن الصُغد بالغين والدال وضم الأول وهي كورة من بلاد ما وراء النهر قصبتها سمرقند . وهي المرادة هنا .

ص ١٩٨ سطر ٨ قوله (وان نعطيهم من ارض الكَرَج وبلنجر الخ) ضبطت كلمة الكرج بفتح الكاف والراء . قال المصحح هي مدينة بين اصبهان وهمذان . وفيه نظر لأن هذه المدينة اسلامية بناها أبو دُلَف العِجلي كما في معجم البلدان لياقوت . وابو دلف من امراء الخلافة العباسية الأولى . وعبارة المؤلف واردة في كلام كسرى انوشروان يحكي عن نفسه أموراً يرويها بشكل (مذكّرات) فأرض الكرج التي ذكرها كسرى انما هي بضم الكاف وسكون الراء وتسمى اليوم (كرجستان) وبعضهم يسميها (جورجيا) وموقعها في شمال ارمينية او في سفوح جبال قفقاسيا . وقد قرنها كسرى في الذكر بلنجر وصُول وهما كما قال المصحح من بلاد الخزر خلف مدينة (دربند) المسماة ايضاً باب الأبواب . وكل تلك البلاد على حدود بلاد الترك فلا يعقل أن يعطي كسرى التركَ مدينة في قلب مملكة فارس وانما يعطيهم بلاداً في اطرافها وعلى حدود بلادهم .

ص ٢٠٦ سطر ١٨ قول كسرى (انا لم نكره أحداً على غير دينه ولم نحسدهم ما قبلنا) لا معنى للحسد هنا فهي محرفة عن نحسّنْ لهم ما قبلنا) او (نحمّلهم ما قبلنا) يفخر كسرى بانه لا يلزم الأقليات في مملكته بممارسة دينه وتعاليم ملته .

ص ٢١٢ سطر ١ قوله (فغار مركب ووقع في حرث كان على الطريق) صواب فغار بالمعجمة فعار بالمهملة ومعنى عار المركب (اي الدابة) أفلت من صاحبه وجعل يركض هنا وهناك لا يثنيه شيء . فهذا المركب الذي أفلت دخل في الزرع يأكل ما فيه ومنه المثل (احق الخيل بالركض المعار) اي الفرس المفلت ينشط للركض وهو جدير بالركض .

ص ٢١٥ سطر ٤ قوله (فأشفق ابرويز من الحديث) صوابه من الجيش بدليل ما قبله .

ص ٢١٦ قول المصحح في تفسير (أطلّنا) أشرف علينا لا نراه صواباً لأن فعل أطلّ بالمهملة يتعدى بحرف الجر (على) فالأصوب أن يكون (أظلّنا) بالظاء المعجمة فانه يتعدى بنفسه يقال: أظل الشيء فلاناً اذا غشيه . وقال الزمخشري في اساس البلاغة يقال: أظلكم فلان اي أقبل .

ص ٢٣٠ سطر ١٨ (عليهم الدروع والبيض) ضبطت البيض بكسر الباء يعني السيوف وصوابه فتحها جمع بَيْضة: وهي الخوذة بدليل قوله (عليهم) اذ هي مما يلبس .

ص ٢٣١ سطر ٣ قوله (وهم بالقرب من بعضهم بعضاً) تركيب غير صحيح ولعله من صنيع النساخ لا من صنيع المؤلف . وصوابه (وهم يقرب بعضهم من بعض) .

ص ٢٣٦ قول المصحح في الهامش (المراد بأرض الجزيرة بلاد الجزيرة الحالية التي عاصمتها بغداد) غير سديد لأن أرض الجزيرة او الجزيرة اذا أطلقت أريد بها الجزيرة الفراتية تمييزاً لها عن جزيرة العرب . وسميت الجزيرة لوقوعها بين دجلة والفرات كما في معجم البلدان . ومدنها كثيرة بعضها اليوم واقع في حوزة الجمهورية السورية وبعضها تابع للجمهورية التركية . واهم مدنها السورية الرقة والحسجة والقامشلي التي هي مركز محافظتها . ولم تكن بغداد من مدن الجزيرة يوماً من الأيام فضلاً عن ان تكون عاصمةً لها .

ص ٢٤٢ ذكر المؤلف في هذه الصفحة نسباً عجيباً للاسكندر ثم قال ما نصه (هذا ما نقله عبد الملك بن عبدون في كتابه المترجم بكامة الزهر الخ) اقول قوله (ابن عبدون) سهو من المؤلف او من ناسخ كتابه الأصلي وكان على المصحح ان ينبه اليه . والا فان عبد الملك شارح قصيدة ابن عبدون

هو ابن بدرون لا ابن عبدون وهو المسمى عبد الملك والذى يفصّل الأنساب عادة هو الشارح لا الشاعر صاحب القصيدة الذي هو بمنزلة الماتن (صاحب المتن) فالشاعر ابن عبدون قال :

(هوت بدارا وفلّت غرب قاتله وكان عضباً على الأملاك ذا أثر)
(واسترجعت من بني ساسان ما وهبت ولم تدع لبني يونان من أثر)

فجاء الشارح ابن بدرون فترجم للاسكندر وذكر هذا النسب العجيب له ٠ ومن العجيب ان هذا السهو تكرر في ص ٢٤٣ و ص ٢٤٥ و ص ٢٩١ وربما تكرر في غيرها ٠

ص ٢٤٤ سطر ١٠ قوله (واذا كانت بنية الانسان الخ) ليس لإذا جواب فالظاهر ان صوابه (اذ كانت الخ) من دون ألف بعدها ولا واو قبلها لتقع تعليلاً لما تقدم قبلها من انحلال عقدة جسد الانسان وطروء الفناء والدثور عليه ٠

ص ٢٤٤ سطر ١٧ قوله (فاحملوا ذلك الى عندي) صوابه فاحملوا ذلك اليّ قالوا : (وقول العامة ذهبت الى عنده لحن والصواب ذهبت اليه) ٠

ص ٦٤٦ سطر ١ قوله (وهل فى الكون والفساد موضع فارغ الخ) الظاهر ان يكون أصله وهل في عالم الكون والفساد الخ ٠

ص ٢٤٦ سطر ١٥ قوله (ومعرفة ارتباط أبعُضِها ببعضها) صوابه بعضها ببعض بدليل قوله بعده (وقبض بعضها عن بعض) وبعض تجمع على أبعاض لا أبعض ٠

ص ٢٤٧ سطر ١٢ قوله (وطال الخطب في مناظرتهم) السياق ان يقال (وطال الخطاب في مناظرتهم) ولو كان المراد بالخطب الأمر الفظيع لقال (واشتد الخطب) على ان المقام يستدعي المعنى الأول ٠

ص ٢٥٠ سطر ٨ قوله (كان له معه منظرات دلت على ثبوت قدمه في علمه) صوابه مناظرات ٠

ص ٢٥٢ سطر ٨ قوله (فما رأيت بيني وبين الملوك من يستحق الخ) صوابه فما رأيت بين الملوك الخ ·

ص ٢٥٣ ذكر المؤلف أقوال الحكماء في الاسكندر عند وفاته ومنهم رابعهم الذي قال (قد جاب الأرض وسلكها ثم حصل منها في أربعة قوائم) لا جرم ان يكون المراد بالقوائم هنا جمع قائمة واصل القوائم للدابة ثم استعيرت للخوان والسرير ونحوه كالنعش فالاسكندر سَلَكَ أو مَلَكَ الأرض كلها ثم مات فكان مصيره الى حصوله او حصره في النعش فيكون صواب العبارة (ثم حصل منها اي من تلك الأرضين في يده أربعة قوائم أو حصّل (بالتشديد) أربعة قوائم او ثم حُصر منها في اربعة قوائم او بين اربعة قوائم) · والحاصل ان سبك الجملة مختل يحسن الاشارة الى تقويمه إعانةً لقارئ الكتاب على فهمه ·

ص ٢٥٣ سطر ١٥ قوله (فملك بعد الاسكندر على اليونانيين بطليموس) وقوله ص ٢٥٤ سطر ١٤ (وكان زوج قلوبطرة بطليموس ويسمى انطونيوس مشاركاً لها في ملك مكدونيا وهي مصر) وقوله ص ٢٦٤ سطر ٣ (واحتوى هذا الملك على مقدونية وهي مصر والاسكندرية) في هذه النصوص ما يخالف الحقيقة ولا سيما كون مكدونيا هي مصر والاسكندرية فلا نقول المؤلف انما نقول ان نساخ كتابه حرفوا فيه وغيروا · فيحسن التنبيه الى ما أخطأوا فيه لفائدة القارئ الساذج والطالب الشادي ·

ص ٢٥٥ سطر ١ قوله (حتى تتفل الحية عليه سمّا) صوابه تتفل بالتاء المثناة أي تنفث وتمج وتبصق · ومثله قوله في موضع آخر (ثفلت عليه الحية) صوابه تفلت بالتاء المثناة ·

ص ٢٥٥ سطر ٦ قوله (واغسطس يظن ان قلوباطرة باقية) صوابه غافية أو نائمة ·

ص ٢٦٨ سطر ١١ قوله (لو كان لله شريك في شيء من امره لضبط ما ضبط) ظاهره ان فاعل (ضبط) الأول راجع الى الشريك على معنى ان شريك المولى تعالى يضبط من أمر الكون ما يضبطه المولى تعالى . ولا أظن هذا مراداً ولا معتنياً في توحيده تعالى . واذا جعلنا ضميره عائداً الى الله تعالى لما كان للكلام فائدة أيضاً ولا محصل . فلعل صوابه (لما ضبط ما ضبط) أي لو كان لله شريك لما أمكنه تعالى ان يضبط الكون لأن الشريك إذ ذاك ينازعه التصرف فيه . وينطبق إذ ذاك معنى الكلام على معنى الآية الكريمة (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ويكون قوله (لما ضبط ما ضبط) في مقابل قول الآية (لفسدتا) .

ص ٢٦٩ سطر ٣ قوله (آووا الى الكهف) و ص ٢٧١ سطر ١٤ (حتى آووا الى الكهف) بمد همزة آووا فيهما فيصبح الفعل بهذا المد متعدياً وهو هنا لازم لا متعدٍ فالصواب (أَوَوْا) في المكانين من دون مد .

أما ما في ص ٣٤٩ سطر ١٦ من قوله (مالك أَوَيْت هذا المشؤوم) من دون مد الهمزة فصوابه (آويت) بمدها لأنه متعدٍ الى مفعوله .

ص ٢٧٠ سطر ١٩ قوله (عمد الى مشيخة من أهل المدينة توسَّم فيه الخير) صوابه (فيهم) لأن (مشيخة) جمع شيخ كمشايخ ومشيوخاء وشيخان وشيخة الخ .

ص ٢٧١ سطر ٦ قوله (أفكل هذه المدينة تؤمن بهذا النبي— قالوا نعم الا مستحقاً بذنب او ظالماً لنفسه) . (مستحق) اسم مفعول اي ان المرء اذا أذنب استحقه الله للعذاب . وارى ان فيه تكلفاً . فالأرجح ان تكون مستحقاً بالقاف محرفة عن (مستخفاً بذنبه) والاستخفاف بالذنب مؤذن بتكراره وعدم المبالاة بفعله . بل الأرجح ان تكون مستحقا محرفة عن (مستحقباً) بالباء بعد القاف ومعنى المستحقب للذنب المرتكب له : يقال احتقب فلان

واستحقب شرًّا او اثمًا او ذنبًا اذا احتمله وادّخره . وهو مجاز من الحقيبة التي يحملها الراكب خلفه . ومنه قول امرئ القيس :

(فاليوم أسقى غير مستحقبٍ إثمًا من الله ولا واغل)

ص ٢٧٣ سطر ١٦ قوله (وإن الله يبشّرهم اي اصحاب الكهف عند نزول عيسى الخ) صوابه ينشرهم من النشور أي يبعثهم من قبورهم بدليل ما بعده .

ص ٢٩٢ سطر ٧ قوله (وسُمّي الرائش لأنه لما أدخل الغنائم بلاد اليمن فراشَ الناسَ في أيامه) ادخال الفاء على فعل (راش) الواقع جوابًا لقوله لما ادخل الغنائم — غير سديد . ونصب (الناس) على المفعولية غير واجب بل الاكثر استعمالاً في مثل هذا المقام ان يكون (الناس) مرفوعًا على الفاعلية ويكون المعنى ان ملك اليمن الملقب بالرائش لما أدخل الغنائم راش الناسَ بالنصب (اي كساهم واغناهم) . أو (راش الناسُ) بالرفع اي استغنوا . ففي مستدرك التاج (قال الفراء راش الرجل استغنى) ففعل راش يأتي لازمًا ومتعديًا . وهو هنا يحتملها . وفي الحالتين لا حاجة الى ادخال الفاء عليها .

ص ٣٠٠ سطر ١٦ قوله (لجمع الكهنة والقِياف والعرّافين) ضبطت (القِياف) بكسر ففتح على وزن عِيال وهو غير سديد لأنه ان كان مفردًا فالواجب ان يقال (القوّاف) أو (القيّاف) بالتشديد فيها وهما بمعنى القائف كما في مستدرك التاج . على أن المناسب هنا ان يكون جمعًا لوقوعه بين جمعين . وجمع القائف (قافة) كما في كتب اللغة . ولو فرضنا ان (القياف) في عبارة المؤلف مراد بها جمع (قائف) لوجب ان يقال (قُوّاف) بضم أوله وبالتشديد كنوّام جمعًا لنائم او (قِيّاف) بالتشديد وبكسر القاف لمناسبة الياء كما اذا قلنا شِيّاب في جمع شائب .

ص ٣٠٥ سطر ١٢ قوله (ولأهرقَنّ دمه بكفي) هذا على قول من

جوّز الجمع بين الهمزة والهاء في فعل أهراق الماء يُهريقه . ولكن لا داعي الى حذف (الياء) الواقعة قبل القاف . فالواجب ان يقال (ولأُهريقَنّ دمه بكفي) .

ص ٣٠٩ سطر ١٤ قول ملك الروم (ان الجيش على ديني) ظاهر السياق ان يقال (ان الحَبش على ديني) ودينه النصرانية كما هو دين الحبش فكيف يُعين سيف بن ذي يزن على طردهم من بلاده .

ص ٣١٢ سطر ١٣ قوله (أَلْقِه) فعل أمر من ألقى الشيء اذا طرحه من يده . وهذا المعنى ليس هو المراد هنا وانما المراد الأمر من فعل اللقاء فهو ثلاثي مكسور الهمزة مفتوح القاف محذوف الألف للجازم .

ص ٣١٨ سطر ٥ قوله (طعن بوّاب الحصن في جوالق بعود فأصابت خاصرة الرجل فخنق) صوابه (فحبق) بالباء التحتية لا النون الفوقية من الحُباق الذي له صوت سمعه البواب ولذا قال (لثنا لثنا) وهي كلمة نبطيـة معناها (شرّ في هذه الجوالق) أما الخنق وهو الغيظ فلا صوت له يسمع .

ص ٣٢٠ سطر ١٧ قوله (فان حالوا ملكاً) صوابه فان حاولوا .

ص ٣٢٠ سطر ١٨ قوله (وعَرَضوا بنداء) صوابه تشديد الراء لا تخفيفها والتعريض بالشيء خلاف التصريح .

ص ٣٢١ سطر ١ قوله (لقد شرّفونا) صوابه شَرَفونا بتخفيف الراء اي فاقوا علينا في الشريف وبالتشديد لا تفيد هذا المعنى .

ص ٣٢١ سطر ١٤ قوله (عدي بن زيد العبّادي) بتشديد الباء صوابه تخفيفها نسبة الى عِباد جمع عَبْد وهو اسم لقوم من نصارى عرب الحيرة .

ص ٣٢٣ سطر ١٨ (لا يروي عنه خيراً) بالياء المثناة صوابه (خبراً) بالباء الموحدة او الأصوب (لا يروي عنه الا خيراً) وسياق القصة يؤيده .

ص ٣٢٤ سطر ٧ قوله (ولكنه لا يسلّم عليه احد) كذا بتشديد اللام والأظهر ان تكون مخففة من السلامة ومعنى لا يسْلم عليه أحد لا ينجو احد من لسانه . وسياق القصة يؤيد ما ذكرنا . ويقولون في بعض اللهجات الحديثة (فلان لا يسلم منه احد) يريدون انه يكثر الوقيعة في الناس .

ص ٣٢٥ سطر ١٥ قوله (ولم نجرء ان نخبر النعمان فرِقاً منه) كذا بكسر الواو وصوابه (فرَقاً) بفتحها لأنه مصدر لا وصف وإلا لقال فرِقين منه بصيغة الجمع .

ص ٣٢٦ سطر ١٤ قوله (وظيفة من الأفراس والمهارة والأقط والأدْم وغير ذلك) قول المصحح في تفسير (المهر) هو أول ما ينتج من الخيل صوابه ينتج . وضبطه لكلمة (الأدْم) بسكون الدال صوابه اما فتحهما مع فتح الهمزة او بضمتين وكلاهما جمع للأديم بمعنى الجلد . أما ان يراد (الأُدْم) بضم الهمزة وسكون الدال جمعاً لإدام وهو اسم عام لكل ما يؤتدم به مع الخبز فبعيد أن يكون مراداً هنا كما لا يخفى . أما الجلود فمن أدوات الحرب .

ص ٣٢٧ سطر ١٩ قوله في صفة الجارية التي طلبها كسرى من النعمان (رداح الأقبال . رابية الكفل . مفعمة الساق . لفّاء الفخذين . مشبعة الخلخال) فسر المصحح الرداح بثقيلة الأوراك . وفسر الأقبال وهو جمع قَبَل بالتحريك بما استقبلك من مشرف . فوقع التناقض : إذ أن الأوراك وهي الأكفال تستدبر ولا تستقبل . فالأقبال جمع قُبُل بضمتين . ففي المصباح (والقُبُل لفرج الانسان بضم الباء وسكونها والجمع أقبال) والعرب قد يصفون الأقبال بما توصف به الأوراك . قالت الأعرابية المرقّصة (كأنني أجلس فوق رابيه) ويُحتمل ان تكون (الأقبال) محرفة عن الاكفال ويكون قوله بعدها (رابية الكفل) من تداخل الروايات وعبث النساخ . ويقع مثله

في المخطوطات كثيراً بل في هذا النص نفسه فقد قال (مفعمة الساق) ثم قال (لفاء الفخذين ، مشبعة الخلخال) وهي بمعنى واحد تقريباً . واحتمال ثالث: ان يكون مع رواية (رداح الأكفال) رواية (رابية القُبُل) بدل (رابية الكفل) فلا تكرار . وقد مرت الاشارة الى احتمال وقوع هذا الوصف في كلام العرب ومنه رجز المرقّصة المذكور آنفاً .

ص ٣٢٨ سطر ٦ قوله في صفة الجارية المذكورة ووصف حالتها وقت الخلوة بها (تحمر وجناها وتذبذب شفتاها) الذبذبة التحرك ويوصف به الشيء المعلق عادة لا ما كان مثل الشفتين . فالأظهر ان يكون صواب الكلمة (تذبّبت) شفتاها بالذال المعجمة ومعنى تذبب الشفة جفاف ريقها . أو هي (تزببت) بالزاي يقال (تكلّم فلان حتى زبّب فمه) اي اجتمع الزَّبَد في شدقيه . لكن الأول أي جفاف الريق ارجح ان يكون مراداً في تلك الحالة حالة تعطل لغة الكلام .

ص ٣٢٨ قول المصحح في تفسير (بضّة المتجرد) بأن البضّة هي الناعمة فيه نظر لأن بضاضة الجسم امتلاؤه سمناً مع صفاء بياضه وقد تكون مع ذلك نعومة لكن النعومة ليست أصلاً في المعنى . على ان البشرة قد تكون ناعمة من دون سمن وامتلاء . فهل يصح ان توصف بالبضاضة ؟

ص ٣٣٣ قول المصحح عن النابغة الجعدي انه (كان أوصف الناس للخيل) صوابه أوصف الناس للخيل .

(يتبع) المغربي

الموفي في النحو الكوفي

للسيد صدر الدين الكنغراوي الإستانبولي الحنفي

علق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

— ٩ —

حروف النداء : «يا» أعمّ [١] . و (أي ، والهمزة) للقريب . وأيا وهيا وآي وآآي للبعيد [٢] .

حروف التنبيه : ألا ، وأما ، لما الصدر [٣] ، و (ها) تدخل على

---

(١) فإنها تدخل على كل نداء ، وتتعين في نداء اسم الله تعالى ، وفي باب الاستغاثة نحو : يالله للمسلمين ! وينادى بها القريب والبعيد .

(٢) في الرضي : وقد جاء : «آ» (بهمزة بعدها ألف) و «آي (بهمزة بعدها الف ، بعدها ياء ساكنة) وقال : (وأيا وهيا ، وآآ ، وآآي ، ووا) في البعيد . قلت : وقد تقدم حكم المنادى والمستغاث والمندوب في بحث «النداء والمنادى» (٦٤ — ٧٠) من هذه الرسالة .

(٣) في الرضي : اعلم أنّ (ألا وأما) حرفا استفتاح ، يبتدأ بهما الكلام ، وفائدتها المعنوية توكيد مضمون الجملة ، وكأنهما مركبتان من همزة الإنكار ، وحرف النفي ، والإنكار نفي ، ونفي النفي إثبات ، ركب الحرفان لإفادة الإثبات والتحقيق ، فصارا بمعنى (إنّ) إلاّ أنهما غير عاملين ، تدخلان على الجملة خبرية كانت أوطلبية ... وتختصان بالجملة بخلاف (ها) وفائدتها اللفظية كون الكلام بعدهما مبتدأ به ، وقد نسب التنبيه اليهما (٣٥٣/٢) قلت : وتجد الشواهد عليها في حرفها من مغني اللبيب .

المفرد أيضاً [١] .

حروف التحضيض[٢]: هلاّ ، وألا ، ولوما ، ولولا ، لها الصدر ، فني المستقبل للحض ، وفي الماضي للوم[٣] .

---

(١) وأما (ها) فتدخل — على اسم الإشارة ، وعلى ضمير الرفع المخبر عنه باسم اشارة نحو « ها أنتم أولاء » وعلى النعت أي في النداء نحو : يا أيها الرجل ، وعلى اسم الله تعالى في القسم عند حذف الحرف ، يقال : ها الله بقطع الهمزة ووصلها ، وكلاهما مع إثبات ألفها وحذفها (انظر المغني) واعلم انه ليس المراد بقولك : (ها أنا ذا أفعل) أن تعرف المخاطب نفسك ، وأن تعلم أنك لست غيرك ، لأن هذا محال ، بل المعنى فيه استغراب وقوع مضمون الفعل المذكور بعد اسم الإشارة ، قال تعالى : « ها أنتم أولاء تحبونهم » فالجملة بعد اسم الإشارة لازمة لبيان الحال المستغربة ، ولا محل لها إذ هي مستأنفة (عن الرضي ملخصاً) . (٢) إن معناها إذا دخلت في الماضي التوبيخ واللوم على ترك الفعل ، ومعناها في المضارع الحض على الفعل والطلب له ، فهي في المضارع بمعنى الأمر ، ولا يكون التحضيض في الماضي الذي قد فات ، إلاّ أنها تستعمل كثيراً في لوم المخاطب على أنه ترك في الماضي شيئاً يمكن تداركه في المستقبل ، فكأنه من حيث المعنى للتحضيض على فعل مثل ما فات .

(٣) ذكر في الأوضح من هذه الحروف لولا ولوما نحو « لولا نُزّل علينا الملائكة » « لو ما تأتينا بالملائكة » قال : ويساويها في التحضيض والاختصاص بالأفعال هلاّ ، وألاّ (بالتشديد) وألا (بالتخفيف) قال الناظم :

وبها التحضيض مِزْ وهلاّ ألاّ ، ألاَ ، وأَوْلِيَنْها الفعلا

حروف المصدر : « ما » الفعلية [1] و « أنْ » [2] و « لو » [3] ، وقد يرد أنْ بمعنى « إذ » كقوله جل جلاله : « عَبَسَ وتولّى أنْ جاءه الأعمى [4] » . و « أنَّ » للاسمية ، إلاّ أنّ مخففتها تدخل على الفعلية أيضاً [5] . ولا يرد (أن) التفسير [6] .

(١) « ما » المصدرية نوعان ، زمانية وغيرها ، فغير الزمانية نحو « وضاقت عليهم الأرض بما رحبت » أي برحبها ، وزمانية نحو : « وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً » أي مدة دوامي حياً . وتوصل بالفعل المتصرف ، إذ الذي لا يتصرف لا مصدر له حتى يؤول الفعل مع الحرف به .

(٢) أنْ هذه موصول حرفي وتوصل بالفعل المتصرف ، مضارعاً كان نحو « وأن تعفو أقرب للتقوى » او ماضياً نحو : « لولا أنْ مَنَّ الله علينا » .

(٣) تكون حرفاً مصدرياً بمنزلة (أنْ) إلاّ أنها لا تنصب ، وأكثر وقوع هذه بعد ودَّ أو يودّ نحو « وَدّوا لو تُدهِنُ » « يودُّ أحدهم لو يُعَمَّر » ومن وقوعها بدونهما قول الأعشى :

وربما فات قوماً جل أمرهم   من التأني وكان الحزم لو عجلوا

(٤) أي كما تجيء عندهم إنْ الشرطية بمعنى « إذ » أيضاً كقوله تعالى « وإن كنتم في ريب » وقوله « إن كنتم مؤمنين » .

(٥) وقد تقدم شرح هذا عند قول المؤلف : وقد تخفف المفتوحة ، فتلغى ، فتدخل الاسمية والفعلية (ص١٤٨) .   (٦) أن التفسير : هي المسبوقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه ، نحو : « فأوحينا إليه أنْ اصنع الفلك » وفي المغني : وزعم الكوفيون أنّ (أنْ) هذه ، هي المخففة من الثقيلة ، شذّ اتصالها بالفعل .

حرفا الاستقبال : السين [1] وسوف [2] .

حرف التعريف : «أل» للعهد [3] ، أو الاستغراق، [4] أو الجنس [5] .

حرف التوقع : «قد» للتقريب في الماضي ، والتحقيق في الحال ، والتقليل في الاستقبال [6] .

حرف الردع : كلا . وقد جاء بمعنى «حقاً» [7] .

---

(١) حرف يختص بالمضارع ، ويخلصه للاستقبال ، ويتنزل منه منزلة الجزء ، ولهذا لم يعمل فيه مع اختصاصه به . وليس مقتطعاً من سوف خلافاً للكوفيين قلت ورجح ابن مالك مذهبهم (انظر الأمير على المغني) .

(٢) مرادفة للسين أو أوسع منها على الخلاف ، والثاني للكوفيين .

(٣) إما أن يكون مصحوبها معهوداً ذكريا ، نحو «فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري» أو ذهنياً نحو «إذ هما في الغار» . ونحو : «إذ يبايعونك تحت الشجرة» . (٤) نحو : «وخلق الإنسان ضعيفاً» . ونحو «إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا» .

(٥) نحو «الرجل أقوى من المرأة» . (٦) ففيه إذن ثلاثة معان مجتمعة : التقريب ، والتحقيق ، والتوقع ، وقد يجتمع مع التحقيق ، وتقريب الماضي من الحال، التوقع ، ومنه قول المؤذن : قد قامت الصلاة ، أي يكون المصدر ، متوقعاً . (٧) الردع بمعنى الزجر ، فاذا قال انسان : فلان يرتكب الإثم ، فيقول الآخر : كلا ، ردعاً له ، أي ليس الأمر كما تقول . وتكون بمعنى «حقاً» وفي التنزيل «كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى» .

حروف الزيادة (١) : الباء في الحال بعد « ليس » (٢) والخبر بعد « ما » ، وما يشبهها في غيرها سماع (٣) ، و « مِن » في الموجب وغيره نحو قوله تعالى : « يغفر لكم من ذنوبكم » (٤) و « اللام » قليلاً (٥) . و « لا » بعد واو العطف (٦) .

---

(١) إنما سميت هذه الحروف (حروف الزيادة) لأنهـا قد تقع زائدة ، لا لأنها لا تقع الا زائدة ، بل وقوعهـا غير زائدة أكثر ، وسميت أيضاً حروف الصلة لأنها يتوصل بها الى زيادة الفصاحة ، او الى اقامة وزن او سجع او غير ذلك . (٢) نحو : « أليس الله بكاف عبده » وقد ذهب الكوفيون الى أن خبر « كان » وأخواتها ، والمفعول الثاني لظننت ينصبان على الحال ، فمعنى قوله : الباء في الحال بعد « ليس » أي يزاد الباء في خبر ليس الذي يعرب حالاً . (٣) نحو : ما زيد براكب ، وتزاد سماعاً في المفعول به نحو : ألقى بيده ، وتضمر كثيراً مع لفظ الجلالة في القسم نحو : اللهِ لأفعلنّ ، وشاذاً قليلاً في غيره كقول رؤبة (خيرٍ) لمن قال له : كيف أصبحت ؟ وبقية البحث في الرضي (٢/٣٠٥) . (٤) فـ (مِنْ) في حيز الإيجاب ، وهي داخلة على المعرفة كما رأيت ، وفي غير الموجب نحو قوله : ما رأيت من أحد ، والكوفيون والأخفش لا يشترطون كونها في غير الموجب ، ودخولها في النكرات ، كما يشترط البصريون . (٥) نحو « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت » لقوله : « ولقد بوأنا بني اسرائيل » . (٦) نحو : « ما جاءني زيد ولا عمرو » قال في المغني : ويسمونها زائدة ، وليست زائدة البتة ، ألا ترى أنه اذا قيل : ما جاءني زيد وعمرو ، احتمل أن المراد نفي مجيء كل منهما على كل حال ، وأن يراد نفي اجتماعهما وقت المجيء ، فاذا جيء بلا ، صار الكلام نصاً في المعنى الأول اهـ .

و«ما» بعد إذا ، ومتى ، وأيّ وأين الشرطيات [١] ، وحرف الجر [٢] ، وإنْ ، بعد ما المصدرية قليلاً [٣] ، ولما ، وأن بعد لمّا [٤] ، وبين القسم ولو [٥] ، وبعد بعض نواصب المضارع كما ذكرنا [٦] .

الجملة اسمية وفعلية [٧] : وأصلها التام ، فلا إعراب لها إلاّ اذا قامت

---

(١) في المغني : وتزاد بعد أداة الشرط جازمة كانت نحو : «أينما تكونوا يدرككم الموت» «وإمّا تخافنّ» أو غير جازمة نحو : «حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم» وفي الرضي : ويجوز اتصال (ما) الزائدة بإنْ ، وأيّانَ ، وأين ، ومتى ، إذا أفادت معنى الشرط ، نحو : «إذا ما تكرمني أكرمك» الخ .

(٢) نحو : «فبما رحمة من الله لنت لهم» وقلّت زيادتها بعد المضاف نحو : من غير ما جرم . (٣) نحو :

ورجّ الفتى للخير ما إنْ رأيته على السنّ خيراً لا يزال يزيد

(٤) نحو : «فلما أن جاء البشير» .

(٥) نحو : «وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا» .

(٦) وفي الرضي : وأجاز الأخفش أن تنصب (أن الزائدة) .

(٧) الجملة : قول مؤلف من مسند ومسند إليه ، والاسمية هي التي صدرها اسم ، والفعلية هي التي صدرها فعل نحو : «جاء الحق ، وزهق الباطل ، إنّ الباطل كان زهوقا» . وقد عقد ابن هشام في المغني باباً فيما يجب على المسؤول في المسئول عنه أن يفصل فيه ، لاحتماله للاسمية والفعلية ، لاختلاف التقدير ، أو لاختلاف النحويين ، وذكر لذلك عشرة أمثلة (٢/٤٠) .

مقام المفرد: فالأول[1] كالمستأنفة[2]، والمعترضة[3]، والصلة[4]، وجواب القسم[5]،

(١) أي القسم الأول وهو الجُمَل التي لا محل لها .

(٢) المستأنفة أوضح من قولهم الابتدائية، لأن الجملة الابتدائية تطلق أيضاً على المصدرة بالمبتدأ، ولو كان لها محل، والمستأنفة نوعان (١) المفتتح بها النطق نحو : «الله نور السموات والأرض» ومنه الجمل المفتتح بها السور . و (٢) المنقطعة عما قبلها، نحو : مات فلان، رحمه الله، وقوله تعالى في شأن ذي القرنين : «قل سأتلو عليكم منه ذكرا، إنا مكنا له في الأرض» .

(٣) كقول عوف بن محلّم الخزاعي مات (نحو ٢٢٠ هـ) من قصيدة :

إن الثمانين — وبلّغتَها قد أحوجت سمعي الى ترجمان

وقوله : وبلغتها دعاء للمخاطب بأن يبلغها، وأبو المنهال هذا هو أحد العلماء الأدباء، انظر ارشاد الأريب (٩٥/٦) ثم ان الجملة المعترضة بين شيئين تفيد الكلام تقوية وتسديداً، أو تحسينا، وقد وقعت في مواضع كالمبتدأ وخبره، والفعل ومرفوعه، والفعل ومنصوبه، والشرط والجواب، والحال وصاحبها، والصفة والموصوف، وحرف الجر ومتعلّقه، والقسم وجوابه، وتجد شواهدها في المغني وغيره .

(٤) الواقعة صلة لموصول الاسمي كقوله تعالى : «قد أفلح من تزكّى» فمن في موضع رفع، والصلة لا محلّ لها» . او الحرفي كقوله سبحانه : «نخشى أن تصيبنا دائرة» والمراد بالموصول الحرفي : الحرف المصدري — وهو يؤول ما بعده بمصدر .

(٥) في الكتاب الكريم : « والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين» قال في المغني (٥٤/٢) : ومن أمثلة جواب القسم ما يخفى نحو : «أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ؟ إنّ لكم لما تحكمون» «وإذ أخذ الله —

وجواب الشرط [١] ، والتابعة لجملة لا محلّ لها [٢] . والثاني [٣] كالخبر [٤] ،

— ميثاق بني اسرائيل ، لا تعبدون إلاّ الله » « واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم » وذلك لأنّ أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف قاله كثيرون منهم الزجّاج ، ويوضحه : « وإذ أخذ الله ميثاق بني اسرائيل لتبيننّه للناس » وقال الكسائي والفرّاء ومَن وافقهما التقدير : بأن لا تعبدوا إلاّ الله ، وبأن لا تسفكوا ، ثم حذف الجارّ ، ثم (أن) فارتفع الفعل ، وجوّز الفرّاء أن يكون الأصل النهي ، ثم أخرج مُخرج الخبر ، ويؤيده : وقولوا ، وأقيموا وآتو .

(١) غير الجازم : « كإذا ، ولو ، ولولا » نحو : « ولولا دفعُ الله الناس بعضهم ببعض ، لفسدت الأرض » . أو الجازم نحو : « إن تعلم تتقدم ، ومهما أحسنت أثبت » أما الأول ، فلظهور الجزم في لفظ الفعل ، وأما الثاني فلأن المحكوم لموضعه بالجزم الفعل ، لا الجملة بأسرها .

(٢) نحو : « اذا نهضت الأمة ، بلغت من المجد الغاية ، وأدركت من الظفر النهاية » فجملة بلغت جواب شرط غير جازم وهو (اذا) فلا محلّ لها من الاعراب ، ومثلها جملة (أدركت) المعطوفة عليها .

(٣) أي القسم الثاني — وهو ما له محل من الاعراب .

(٤) ومحله الرفع إن كان خبراً لمبتدأ ، أو الأحرف المشبهة بالفعل ، أو لا النافية للجنس نحو : « العلم يرفع قدر صاحبه ، إن الفضيلة تعشق ، لا ظالم سيرته محمودة » والنصب إن كان خبراً عن فعل غير واقع ، أي غير متعدّ ، نحو : « أنفسهم كانوا يظلمون » ونحو : « وما كادوا يفعلون » . وخبر « كان » عند الكوفيين والمفعول الثاني لـ « ظننت » يعربان (حالاً) .

والحال [١] ، والمفعول [٢] ، والمضاف اليه [٣] ، والشرطية الاسمية [٤] ، والتابعة لجملة لها محل [٥] ، أو لمفرد [٦] .

---

(١) نحو : « وجاؤوا أباهم عشاء يبكون » .

(٢) نحو : «قال إني عبد الله» فجملة (اني عبد الله) في محل نصب مفعول به لقال .

(٣) نحو : « هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم » فيوم مضاف ، والجملة بعده مضاف اليه في محل جر ، والتقدير : هذا يومُ نفعِ الصادقين صدقهم .

(٤) الواقعة بعد الفاء أو إذا جواباً لشرط جازم ، مثال المقرونة بالفاء : « ومن يضلل الله فما له من هاد » فجملة « فما له من هاد » من المبتدأ والخبر في محل جزم جواب الشرط . والفاء المقدَّرة كالموجودة في مثل قوله : «من يفعل الحسنات الله يشكرها » ، ومثال المقرونة بإذا : « وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون» فجملة « إذا هم يقنطون» في محل جزم جواب الشرط أيضاً .

(٥) ومحلها بحسب المتبوع نحو : «العلم ينفع ويرفع » فجملة ينفع خبر المبتدأ ، ومحلها الرفع ، وما بعدها معطوفة عليها ، والمعطوف له حكم المعطوف عليه .

(٦) قال ابن هشام في المغني : ومن غريب هذا الباب قولك : «قلت لهم قوموا ، أوّلكم وآخركم » يعني بدل الجملة من الجملة ، لا المفرد من المفرد ، إذ المتبادر في المثال بدل المفرد ، وان لم يتسلط عامل الأول ، فيُغتفر في التابع ما لا يغتفر في الأوائل . وقال الفرّاء ، في قراءة بعضهم : « فشربوا منه إلاّ قليلٌ منهم» إن (قليل) مبتدأ حذف خبره : أي لم يشربوا .

وكلُّ جملة خبرية فضلة، بعد نكرة محضة، نعت[1]. وبعد معرفة محضة حال[2]. وبعد غير المحضة تحتملها[3]، ما لم يتعين أحدهما[4] أو غيرهما بدليل[5].

(١) في التنزيل: «حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه»، «لِمَ تعظون قوماً اللهُ مُهلكُهم أو معذبهم»، «من قبل أن يأتيَ يوم لا بيع فيه» فهذا هو النوع الأول ـ وهو الواقع صفة لا غير، لوقوع الجمل الفعلية والاسمية بعد النكرات المحضة وهي «كتاباً» «قوماً» «يوم».

(٢) نحو «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» وهذا هو النوع الثاني؛ وهو الواقع حالاً لا غير، لوقوع الجملة الاسمية بعد المعرفة المحضة ـ وهي «الصلاة».

(٣) نحو: «وهذا ذكر مبارك أنزلناه» فلك أن تقدر جملة «أنزلناه» نعتاً للنكرة وهو ذكر، وهو الظاهر، ولك أن تقدرها حالاً منها، لأنها قد تخصصت بالوصف «مبارك» وذلك يقربها من المعرفة ـ وهذا هو النوع الثالث، ومثال النوع الرابع وهو المحتمل لها بعد المعرفة: «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار» فان المعرف بالجنس يقرب في المعنى من النكرة، فيصح تقدير «نسلخ» حالاً، أو وصفاً.

(٤) نحو: «لولا كتاب من الله سبق» يتعين كون «سبق» نعتاً ثانياً، لا حالاً من الكتاب، لأن الابتداء لا يعمل في الحال، ولا من الضمير المستتر في الخبر المحذوف لأن الحال لا يذكر بعد (لولا) كما لا يذكر الخبر.

(٥) نحو: «زارني زيد سأكافئه، أو لن أنسى له ذلك» فان الجملة بعد المعرفة المحضة حال، ولكن السين ولن مانعان، لأن الحالية لا تصدر بدليل استقبال، ويتعين حينئذ الاستئناف.

الظرف : إن تعلق بفعل فمفعول فيه له (١) ، وإلا فيقع صفة ، وحالاً ، وخبراً ، ومبتدأ . ويعمل كالفعل ، وهو بعد المعرفة والنكرة كالجملة (٢) ، ثم إنّ الظرف إذا وقع خبراً وكان نكرة ، يرفع نحو : البرُّ يوم ، والصوم شهر ، وإلاّ فينصب على الخلاف ، ومثله الجار والمجرور (٣) .

---

(١) نحو : «سرت يوماً ، وسريت ليلاً » .

(٢) حكم الظرف ـ ومثله الجار والمجرور بعد المعرفة والنكرة ـ حكم الجمل ، فهما صفتان في نحو : « رأيت طائراً فوق غصن ، أو على غصن » ، لأنهما بعد نكرة محضة ، وحالان في نحو : « رأيت الهلال بين السحاب » ، أو في الأفق ، لانهما بعد معرفة محضة ، ومحتملان لهما نحو : « يعجبني الزهر في أكمامه والثمر على أغصانه » ، لأن المعرف الجنسي كالنكرة ، وفي نحو : « هذا ثمر يانع على أغصانه » ، لأن النكرة الموصوفة كالمعرفة ، وخبران نحو : « زيد عندك أو في الدار » ، ومبتدآن نحو : « عندك زيد ، أفي الله شك » وهذه أمثلة لوقوع الظرف صفة ، و ، الخ .

(٣) قال الكوفيون : الناصب أمر معنويٌ ـ وهو كونهما مخالفين للمبتدأ ، أي ان الخبر مخالف للمبتدأ معنى ، اذ معنى (العند) ليس هو (زيد) وهذه المخالفة المعنوية تعمل عندهم المخالفة اللفظية في الإعراب فتنصب الخبر .

هذا وقد اعتمدنا في ذكر الجملة وأقسامها وأحكامها ، وفي ذكر أحكام ما يشبه الجملة ـ وهو الظرف والجار والمجرور على البابين الثاني والثالث من الجزء الثاني من كتاب المغني لابن هشام .

الخاتمة

في تبيان الفرق بين المذهبين البصري والكوفي

نختم هذا الشرح بنقل نبذة مما ختم به الجلال السيوطي (— ٩١١ هـ) كتابه: «الاقتراح في علم النحو» المطبوع في حيدر آباد الدكن ـ الهند سنة ١٣١٠ قال رحمه الله تعالى:

«قال ابن جني ـ يعني في كتابه (الخصائص الذي طبع الجزء الأول منه بمصر ١٣٣١ هـ = ١٩١٣ م) الكوفيون علامون بأشعار العرب مطلعون عليها، وقال أبو حيان، في مسألة العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار، الذي يختار جوازه، لوقوعه في كلام العرب كثيراً، نظماً ونثراً. قال: ولسنا متعبدين باتباع مذهب البصريين، بل نتبع الدليل، وقال الأندلسي في شرح المفصل: الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول، جعلوه أصلاً وبوبوا عليه بخلاف البصريين.

ثم قال السيوطي: شرط المستنبط لشيء من مسائل هذا العلم، المرتقي عن رتبة التقليد، أن يكون عالماً بلغة العرب، محيطاً بكلامها، مطلعاً على نثرها ونظمها، ويكفي في ذلك الآن الرجوع الى الكتب المؤلفة في اللغات والأبنية، والى الدواوين الجامعة لأشعار العرب، وان يكون خبيراً بصحة نسبة ذلك اليهم، لئلا يدخل عليه شعر مولد أو مصنوع، عالماً بأحوال الرواية ليعلم المقبول روايته من غيره، وبإجماع النحاة كيلا يحدث قولاً زائداً فارقاً، اذا قلنا بامتناع ذلك.

(وقال) لابن مالك في النحو طريقة سلكها بين طريقي البصريين والكوفيين، فإن مذهب الكوفيين القياس على الشاذ، ومذهب البصريين اتباع التأويلات البعيدة التي خالفها الظاهر، وابن مالك يعلم بوقوع ذلك من غير حكم عليه

بقياس ولا تأويل ، بل يقول : إنه شاذ أو ضرورة ، كقوله في التمييز : والفعل ذو التصريف نزراً سُبقاً » وقوله في مد المقصور : « والعكس في الشعر يقع » . قال ابن هشام : وهذه الطريقة طريقة المحققين ، وهي أحسن الطريقين .

وختم السيوطي بحثه في المسألة الرابعة من الكتاب السابع الذي جعل مسائله في أحوال مستنبط هذا العلم ومستخرجه (وقد رتب مؤلفه هذا في أصول النحو على مقدمات وسبعة كتب) ناقلاً عن ابن جني في الخصائص قوله : إذا أداك القياس الى شيء ما ، ثم سمعت العرب قد نطقت فيه بشيء آخر على قياس غيره فدع ما كنت عليه اه . وهذا يشبهه شيء من أصول الفقه : نقض الاجتهاد إذا بان النص بخلافه اه .

وقد وقفنا في تعليقاتنا هذه على آخر ما وجدناه في نسخة المؤلف رحمه الله من « الموفي في النحو الكوفي » وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد بهجة البيطار

التعريف والنقد

معجم « شمس العلوم »

أهدى الينا الجزء الأول من هذا المعجم أحد أعضاء مجمعنا العلمي المستشرق (ك٠ و٠ سترستين) السويدي ٠

وليس هـذا المستشرق الفاضل بمجهول المكانة لدى قراء مجلة المجمع : فبالأمس أصدر المجمع في جملة مطبوعاته كتاب (طرفة الأصحاب في معرفة الانساب) بتحقيقه ٠ وكتاب الطرفة هذا من تأليف أحد ملوك اليمن ٠ ومن مواضع العجب أن يقوم العلامة (سترستين) اليوم فيهدي الينا المعجم بتحقيقه وهو أيضاً لأحد ملوك اليمن ٠ واسم المعجم (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم) واسم مؤلفه (نشوان بن سعيد الحميري) الذي ترجم له السيوطي في بغية الوعاة ونقل عن الخزرجي أنه كان معتزلياً ووصفوه بأنه (أوحد أهل عصره وأعلم أهل دهره) عالماً فقيهاً أديباً شاعراً عارفاً بالأصول والفروع وسائر فنون الأدب ٠ وكتابه (شمس العلوم) في ثمانية أجزاء ٠ اختصره ولده في جزئين وسماه (ضياء الحلوم [1]) وقيل إن المختصر تلميذه (ابن نافع الحميري) لا ولده ٠ وهناك مختصر آخر لشمس العلوم اسمه «لوامع النجوم» غير معروف مؤلفه ، وهو لدى الأستاذ احمد عبد الغفور عطار بمكة وقد وصفه في مجلة الرسالة (عدد ٩١٨ صادر في ٥ فبراير سنة ١٩٥١) وان علم المؤلف نشوان وأدبه لم يشغله عن الطموح الى أعلى المراتب : فاستولى على قلاع وحصون في الجبل العظيم المطل

(١) توجد نسخة من هذا المختصر بمكتبة شيخ الاسلام بالمدينة كما أخبرنا احمد عبد الغفور عطار ٠

على (تعز) المسمّى بصَبِر (على وزان كتِف) . ولما رأى أهل تلك البلاد منه ما رأوا قلدوه حتى صار ملكاً . وكانت وفاته سنة ٥٧٣ هـ .

والمستشرق (سترستين) إن كان جمع بين هذين الملكين اليانيين بخدمة آثارهما ـ فقد جمع بين معجمين لغويين في نبشهما من مكامنهما ، واحياء ذكرهما وهما معجم (شمس العلوم) المذكور الذي حققه ونشره اليوم ومعجم (تهذيب اللغة [١]) للأزهري الذي كان نبشه منذ ثلاثين سنة ونشر قسماً منه في مجلة (العالم الشرقي) التي تطبع في وطنه (أبسالا) وقد قال في مقدمته انه منذ سنة ١٩٠٤ م فكر في نشر ذلك الكتاب وتمكن بواسطة الدكتور ريتر المقيم في الأستانة من الحصول على فوتوغرافية الأوراق الأولى منه من نسخة محفوظة في مكتبة أياصوفيا كتبت سنة ١١٣٩هـ .

أما المعجم الجديد (شمس العلوم) فنسخه مبعثرة في الشرق والغرب : منها ما هو في مكاتب أوروبا ، ومنها ثلاث مجلدات في دار الكتب المصرية . ومجلدة في المكتبة الأحمدية بطنطا . وكانت لجنة جيب بليدن نشرت من نسخة لديها منتخبات في أخبار اليمن سنة ١٩١٦ م حتى كانت هذه السنة فعملت على طبع النسخة برمتها وأصدرت الجزء الأول بتحقيق العلامة سترستين في (٢٧٥) صفحة بقطع فوق المتوسط وورق ثخين متين . وحرف على قرمطته جميل واضح . هذا عدا ملاحقه التي تبلغ ٥٤ صفحة كتبها الناشر بالألمانية ، وضمنها استدراكات وملاحظات غاية في التعريف بهذا الكتاب وفي الفائدة لمن يعرف الألمانية .

وقد أخبرنا الأستاذ احمد عبد الغفور عطار أخيراً أن في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمة الله الحسيني بالمدينة المنورة نسخة كاملة من (شمس العلوم) ونسخة

(١) توجد نسخة كاملة من التهذيب للأزهري بخط ياقوت الرومي بمكتبة شيخ الاسلام بالمدينة كما أخبرنا بذلك ايضاً أحمد عبد الغفور عطار .

مثلها في مكتبة إمام اليمن وقد أرسلها أخيراً الى مفوضيته في القاهرة على نية طبعها . ولا نعلم إن كان طابعوها في مصر يبلغون بها من الضبط والتصحيح ما بلغته مطبوعة ليدن . فان فعلوا وجبروا ما في النسخة الليدنية من نقص : فأحسنوا حرف طبعتهم ، وكتبوا لها مقدمة فضفاضة باللغة العربية ، وعلقوا على بعض الكلمات المحتاجة الى التعليق ، وخصّوا الكلمات المراد تفسيرها بحرف ثخين أو بحرف واضح تميزه العين لأول النظر اليه ، وكذلك العناوين خصّوها بحروف مشرقة واضحة تسهّل للمراجع أمر المراجعة ، ونظموا لنسختهم فهارس للفصول والأبواب باللغة العربية ـ إن فعلوا ذلك يوشك أن يفيدوا ويستفيدوا . ولا سيما أن نسخ طبعة ليدن قد تكون قليلة العدد لما نعلم من عادة القوم في الاقتصار على نسخ معدودة مما يطبعون . مكتفين بقدر حاجتهم وحاجة معاهدهم .

أشرنا الى أن النسخة الليدنية ليس لها مقدمة ولا فهرس ولا ما يفيد التعريف بها باللغة العربية وانما افتتحت بمقدمتين للمؤلف احداهما حمد الله فيها ووصف الحاجة الى كتابه كما وصف طريقته فيه . وضبط كلماته . وإيراد فصوله . والثانية في فنّي التصريف والإبدال أودعها مسائل جمة وأمثلة عدة في منتهى الإمتاع للمشتغل بالعربية . وقد استغرقت المقدمتان ثلاثين صفحة .

وللمؤلف عناية بنظم الشعر ظهر أثرها على لسانه في مقدمته الأولى : فهو يقول في مطلع شعره متبجحاً مباهياً :

(كتابٌ عيانٍ يجمع العلم كله ويعجز عن مثلٍ له الثقلان)

وقال من قطعة أخرى :

(هذا الكتاب لكل علم جامعٌ وله محلٌ في العلوم منيف)

ووصف المؤلف طريقته في معجمه من حيث أخلّ بذلك أرباب المعاجم . حتى وقع نساخها في التصحيف والتحريف . أما هو فقد تلافى هذا النقص

فيما التزمه بكتابه فهو : (يحرس كل كلمة بنقطها وشكلها . ويجعلها مع جنسها وشكلها . ويردها الى أصلها . جعلتُ فيه لكل حرفٍ من حروف المعجم كتاباً . ثم جعلت له ولكل حرفٍ معه من حروف المعجم باباً . ثم جعلتُ كل باب من تلك الأبواب شطرين : أسماء وأفعالاً . ثم جعلتُ لكل كلمة من تلك الأسماء والأفعال وزناً ومثالاً : فحروف المعجم تحرس النقط . وتحفظ الخط . والأمثلة حارسة للحركات والشكل . وردّة كل كلمة من بنائها الى الأصل . فكتابي هذا يحرس النقط والحركات جميعاً . ويدرك الطالب فيه ملتمسَه مريحاً . بلا كدّ مطية عزيزيّة [1] . ولا أتعاب خاطر ولا رويّة . ولا طلب شيخ يقرأ عليه . ولا مقيّد يفتقر في ذلك اليه اهـ) .

وانا لذاكرون هنا مثالاً من طريقته في كتابه : فهو بعد البسملة والحمدلة وسرد المقدمتين قال (كتاب الهمزة) ـ باب الهمزة وما بعدها من الحروف ـ في المضاعف ـ (الأسماء) : فَعْل بفتح الفاء وسكون العين . (ب) : الأبُّ المرعى قال الله تعالى : وفاكهةً وأبّا قال الشاعر :

(جِذْمُنا قيسٌ ونجدٌ دارنا ولنا الأبُّ بها والمكرع)

فالمؤلف دلّ بقوله (فَعْل) على الاسم الثلاثي وبحرف (ب) على أن هذا الثلاثي آخره باء وكل ذلك في الكلمات المضاعفة كما أشار اليه في العنوان . وهكذا يمضي المؤلف على شاكلته هذه في كل ألفاظ معجمه . وهو لم يتتبع كلّ مواد اللغة وأفانين ألفاظها كما فعل اللسان مثلاً وانما اقتصر على الفصيح أو المألوف منها كما فعل الجوهري . ففي (باب التاء وبعدها نون) اكتفى بست كلمات . بينما هي في الكتب الكبرى ضعف ذلك العدد : فالتنوان

(١) قوله (مطيّة عزيزيّة) صوابه (غُرَيريّة) برائين مهملتين مصغراً . والغريريّات إبل منسوبة الى (غُرَيْر) وهو اسم فحل . .

أهمل (تنّوط) اسم طائر (وتنّوب) اسم شجر وألفاظاً أخرى غريبة مثل (تنتل) و (تَنْتَنَ) وياليته ذكر لنا (التِناوة) كما ذكرها غيره لحاجتنا اليها . ومعناها أن يتعلم ثم يترك مدارسة العلم أو الفنّ الذي تعلمه ، فينساه على طول الزمن .

وقد رتب المؤلف كتابه على أوائل الحروف كما فعل صاحبا النهاية والمصباح . ولم يرتبه على أواخرها كما فعل صاحبا اللسان والقاموس . واذا علم القارئ أن الجزء الأول من (شمس العلوم) اشتمل على أربعة حروف وهي : (أ) (ب) (ت) (ث) أدرك ما سيكون عليه المعجم من عدد أجزاء . قالوا : ويمتاز هذا المعجم بأن مؤلفه يعلق على بعض الكلمات بما لا علاقة له بالمعنى اللغوي فيستطرد الى الأشياء العلمية والطبيعية ، فيذكر خصائص المعدن والحيوان والنبات : فالدجاج مثلاً لحمه معتدل في الحرارة والبرودة ، والذهب لا يبليه الثرى ولا تأكله النار ، والملكة الزبّاء كان من أمرها كيت وكيت ، وتُبّع الحميري كان من عظيم أعماله كذا وكذا الخ . ومن ثمّ أطلق بعضهم على معجمه اسم دائرة معارف لغوية .

ولا أظن أن ما ذكروه من هذه الاستطرادات ميزة يمتاز بها هذا المعجم ، فان صاحبي اللسان والقاموس لم يقصّرا في هذا المضمار . وعابوا صاحب القاموس بأنه كثيراً ما أطلق القول وترك الشرح والتفسير واكتفى بحرف (م) أي معروف . وهكذا رأينا النشوان في معجمه يفعل كما فعلوا . ويبني كما بنوا .

ونختم قولنا بكلمة شكر لمطبعة ليدن على نشرها هذا الكتاب كما نشكر لمحققه ومهذبه العلامة (سترستين) جزاه الله خيراً ونفع بعلمه وفضله .

مطبوعات دار العروبة في باكستان

كانت تألفت في الهند منذ عشر سنوات جمعيـة باسم «الجماعة الاسلامية» لأجل الدعوة الى أمور ذات بال في مصلحة العالم الاسلامي وهي :

(١) الدعوة الى عبادة الله وحده وترك الشرك .

(٢) دعوة المسلمين الى التمسك بمعالم الاسلام وترك النفاق .

(٣) دعوة العالم أجمع الى إحداث انقلاب في نظام الحياة العامة ينتزعون بواسطته السلطة من أيدي الطواغيت الفجرة الى أيدٍ مؤمنة بدين الحق ولا تريد فساداً في الأرض .

وبعد بضع سنين أي منذ أربع سنوات أسست الجمعية المذكورة فرعاً لها في الباكستان (في بلدة راولپندي) باسم (دار العروبة للدعوة الاسلاميـة) ووكلت أمر ادارة هذه الدار الى بطل من أبطال علماء الهند مشهور بعلمه وفضله وسعة اطلاعه موثوق بدينه وعقله هو (الأستاذ المودودي) فقام هذا الفاضل بالعمل الموكول اليه خير قيام . وأخذ ينشر سلسلة رسائل صغيرة الحجم في شكلها لكنها كبيرة الأثر في فائدتها ونفعها . يكتبها بلغته الأوردية ثم تترجم الى اللغة العربية الفصحى ، وينشرها على القراء ، والنية معقودة على إصدار مجلة شهرية أيضاً باسم (الهدى) تشد عضد (سلسلة مطبوعات العروبة) في الدعوة الى الهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . فالجماعة الاسلامية وفرعها دار العروبة انما خطتها الدعوة الى الدين الاسلامي والتبشير بيسره وسماحته وسهولة مقادته في سبيل النهوض بالبشر الى مراقي السعادة والعدل والخير العام وقد وصل الى مجمعنا العلمي أخيراً بضع رسائل من تلك السلسلة .

فالأولى (ذات الرقم ٤) عنوانها (الاسلام والجاهلية) بسط فيهـا الأستاذ المودودي الكلام حول المسائل الأساسية لكل مجتمع بشري ووصف تعقيدها

وتداخل بعضها في بعض حتى جاء الاسلام لحل عقدتها . وكشف عن عللها . وعالجها أكمل علاج . فالغيبيات والإلهيات ثم الاقتصاديات والاجتماعيات كل هذه المعضلات أوضح الاسلام حقائقها . وشخص أمراضها . وأمر بمداواتها من أقرب الطرق . وعلى أيسر السبل .

(والثانية) (ذات الرقم ٥) بعنوان (معضلات الاقتصاد) تناول فيها المسائل الاقتصادية من مشاكل المجتمع وأسهب في وصف الطرائق التي أشار بها الاسلام ومهد السبيل الى حلها .

(والثالثة) (ذات الرقم ٦) بعنوان (شهادة الحق) أهم ما في هذه الرسالة معالجة مشكلة غير المسلمين الذين يعيشون في بلاد الاسلام ويشاركونهم في حياتهم الاجتماعية ولا سيما الأقليات في بلاد الهند . ووصف كيف أن هذه الأقليات أمر أمرها . وعلا شأنها . حتى تفوقت على الأكثرية المسلمة . وقد حمل تبعة هذا على عاتق المسلمين وان السبب فيه تفريط أمرائهم وتهاونهم في القيام بأوامر الاسلام وشهادة الحق .

فهذه الرسائل وأخواتها التي ألفت على نسقها ترمي الى إيقاظ المسلمين والنصح لهم بالعمل وترك التهاون والكسل . فالشكر للمؤلف الفاضل على حسن صنيعه كما نرجو له حسن الثواب .

اصطلاحات عربية لفن التصوير

عنوان محاضرة ألقاها الأستاذ بشر فارس في المجمع العلمي المصري سنة ١٩٤٨م ثم طبعت في كراسة على حدة في مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية . وقد تتبع المحاضر في بحثه هذا ألفاظاً كثيرة مما يستعمله أرباب فن التصوير أو يجدر ان يقتبسوه ويستعملوه في صناعتهم ، ونظم فهرساً للاصطلاحات أودعه الألفاظ العربية ، وما يقابلها بالفرنسية وسماه «مسرداً» (Index) من سرد الحديث اذا أجاد في سوقه وتنسيق أجزائه . ومن هذه المصطلحات ما هو له ، وبعضها لغيره . وهناك طائفة من المصطلحات نقلها عن مجلة مجمع فؤاد الأول اللغوي المصري . وقد ميّز أنواع هذه المصطلحات بعلامات خاصة وضعها أمامها ثم أفاض في ايضاح هذه المصطلحات والاحتجاج لها مما لا يفهم المراد منه غالباً الا المشتغلون بفن التصوير الذين نُشر هذا البحث من أجل فائدتهم . فلا غرو اذا اقتنوه واتفقوا على مداولة هذه المصطلحات بينهم . فليتفقوا إذن وليشكروا — كما نشكر — للأستاذ بشر صنيعه وخدمته للثقافة الفنية العربية .

المغربي

النقد واللغة

في رسالة الغفران

الدكتور أمجد الطرابلسي : أستاذ بكلية الآداب في الجامعة السورية

لقد شعرت وأنا أطالع كتاب النقد واللغة في رسالة الغفران للدكتور أمجد الطرابلسي بأني أطالع كتاباً أدرك صاحبه روح الأستاذية وأسرارها ، وما وسعني بعد هذا الشعور الا المبادرة الى مؤلفه والثناء عليه ، فمن مظاهر هذه الروح التي أشرت اليها الاقتصار على توضيح ناحية معينة من نواحي شاعر من الشعراء أو كاتب من الكتاب أو أديب من الأدباء حتى تظهر هذه الناحية في أبين

مظاهرها ولقد اقتصر الدكتور أمجد الطرابلسي في كتابه : النقد واللغة في رسالة الغفران على ناحية من نواحي أبي العلاء المعري في رسالة الغفران وهي ناحية شخصيته الثقافية فتصدّى في كتابه لهذه الشخصية فتكلم على تمكن المعري من فنون الأدب وعلوم اللغة وعلى نقده الذي كثرت فيه أدوات النقد كلها ولا سيما نشاط الفكر والذكاء .

ولكنّ هذا التصدّي لشخصية المعري الثقافية لم يمنع الأستاذ المؤلف من أن يغوص على تهكم المعري في رسالة الغفران ويدلّ على لطف هذا التهكم أو عنفه ، والخلاصة كان أبعد جهد المؤلف أن يكشف عن مدى عناية المعري بالنقد الأدبي والدراسات اللغوية في رسالة الغفران ولقد كشف عن هذه العناية أدقّ كشف حتى استطعنا أن نعيش في ظلال العصر الذي عاش فيه حكيم المعرة وأديبها ولغويها الأكبر على نحو رغبة الأستاذ المؤلف ومراده .

يشتمل كتاب النقد واللغة في رسالة الغفران على ثلاثة أبواب اجتهد صاحبه في الباب الأول منها في أن يرينا المعري عالماً ومعلماً واجتهد في الباب الثاني في أن يرينا إياه ناقداً أديباً وحرص في الباب الثالث على أن نراه عالماً لغوياً .

ولئن كان يتعذر تفصيل الكلام على كل باب من هذه الابواب الثلاثة فلا يتعذر ان نقول ان كل باب منها قد صوّر المعري في حقيقة صورته فاذا أراد المؤلف أن يعرض علينا المعري في معرض عالم لغوي اندفع في الاستشهاد بالمؤرخين الذين شهدوا له بهذا العلم وأجمعوا على الشهادة به ثم خاض في الكلام على تعليم المعري اللغة والنحو ثم وصف تصانيفه في علوم العربية ثم استنبط شخصيته اللغوية من خلال أساليبه وتصانيفه الفنية ثم درج بنا الى أفق من الآفاق شهدنا فيه اعتزاز أبي العلاء بثقافته اللغوية ولقد سلك الأستاذ المؤلف في هذا كله مسالك أساتذة الجامعات واذا جاز لي أن أشبهه بعالم من علماء الكيمياء

على تباعد ما بين الأدب والكيمياء قلت فيه ان مثله في هذا الباب من كتابه وفي الأبواب كلها كمثل عالم من علماء الكيمياء دخل مخبره وأخذ جسماً من الأجسام ففكّك عناصره أحذق تفكيك وحلّل أجزاءه أدقّ تحليل حتى تجلّت خصائص هذا الجسم فخيّل الينا انا نراها بأعيننا ونلمسها بأيدينا ونشمّ رائحتها بآنافنا ، هكذا فعل الدكتور أمجد الطرابلسي في تحليل شخصية المعري من نواحي لغته ونقده حتى يكاد القارئ يفرغ من كتاب الأستاذ وهو يقول: هل غادر صاحبه من متردّم !

لم يغفل الأستاذ المؤلف في مجامع هذا التفكيك والتحليل عن الاستشهاد بكلام المعري نفسه ، وقد تعمّد الإكثار من هذا الكلام لسببين وضّحهما في كتابه أولهما :

«ان نتائج البحوث الأدبية تكون أدعى الثقة والاطمئنان كلما كثرت النصوص التي تستمد هذه البحوث نتائجها منها .

وثانيهما : رغبتي في أن تكثر ممارسة الطلاب لمثل هذه النصوص ، لأن الميل الأدبي الحقيقي انما يتكوّن في نفس الطالب عندما تربط بينه وبين كنوز أدبنا القديم روابط الألفة الصحيحة» .

لما قلت في أول هذا التقريظ ان الدكتور أمجد الطرابلسي قد أدرك روح الأستاذية وأسرارها لم أجازف بقولي فان هذا المنهج الذي نهجه أصبح أرشد المناهج وأصلحها فلا يجوز أن يدرّس الأدب مجرّداً فان الإتيان بنص أدبي في خلال كلامنا على شاعر أو على كاتب يقرن النظر بالعمل من جهة ويؤيّد الأواصر بيننا وبين كنوزنا القديمة من جهة ثانية فتزداد أنساً بها وادراكاً لمحاسنها ، ولا يُعمد الى النصّ في تدريس الأدب وحده فان تدريس النحو نفسه لا يستغني فيه عن الاستعانة بنص تدخل في كلامه القواعد التي يدرّسها الأستاذ

ويفصّلها ، فان هذا الأسلوب من التدريس يقرّب النحو من الأفهام بحيث اذا مرّ الطالب بنص تدخل في كلامه القواعد التي يبسطها الأستاذ سهلت هذه القواعد على الفكر فثبتت في الذهن على الأيام ٠

وجملة القول انا نهنئ الدكتور أمجد الطرابلسي بكتابه النقد واللغة في رسالة الغفران ، الذي استفاضت في أضعاف سطوره دقة العلماء في التحليل ومهارة الأدباء في التعبير وبراعة أساتذة الجامعات في ترتيب البحث واتقانه ٠



الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي

تأليف عبد العزيز مزروع الأزهري

اذا اردنا أن نعرف موضوع هذا الكتاب فحسبنا أن نطلع على نَبْذٍ من تمهيده ، قال المؤلف في صدر هذا التمهيد :

« قد استخرت الله واياه استعنت فوفقني الى « نظريتي » لتحديد أزمان الجاهلية العربية فأمكن أن أعيّن قبل الهجرة تاريخ أي شاعر أو خطيب أو حادث أو يوم من أيامهم الكثيرة ... معتمداً في تحديد تلك الأزمان على « شجرات الأنساب » و « عمر الجيل » و « دليل الصحابة » الى (عدنان) عند قبائل ربيعة أو مضر الى « قحطان » عند قبائل كهلان أو حمير مستأنساً « بأجيال العشيرة » و (دليل المعاصرة) فاذا أمكن بعد هذه الدعائم ان نجد صلة لذلك الشاعر مثلاً (بدليل السجلات الملكية) للفرس أو المناذرة أو الروم كان في ذلك أقرب ما نريد من الدقة لتحديد علاقته بدورة الفلك وتعيين تاريخه قبل الهجرة أو بعد الميلاد وتعمقه في الجاهلية » ٠

هذا هو موضوع كتاب : الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي والذي يقف النظر عليه لأول وهلة في هذا الكتاب انما هو اعجاب مؤلفه به فالعنوان وحده : الأسس المبتكرة دليل على هذا الإعجاب وقد مضت للأستاذ صاحبه

عبارات شتى في هذا المعنى فانه بعد أن دلّ على ان عمر الجيل الملكي هو ٣و١٥ قال :

« لم يسبقني الى هذا الكشف وهذا التحديد أحد من الباحثين قديماً أو حديثاً غربياً أو شرقاً فيما أعلم » .

وبعد أن فرغ من تشجير القبائل وتسجيل أنسابها قال :

« وهو أول عمل من نوعه في التاريخ لم يسبقني اليه أحد الأ ما كان من محاولات جزئية » .

وقال في كلامه على النقوش :

« وفي هذا التفاهم العجيب بين منطق النقوش ومنطق التحديد الذي اخترته لمتوسط عمر الجيل ما يدل على متانة نظريتي مع أنها لم تستعمل من قواعدها الخمس الأ قاعدة النسب وقاعدة المعاصرة » .

كل هذا يدل على اعجاب المؤلف بكتابه وشدة ثقته برأيه ولا نشك في ان الأستاذ الفاضل صاحب هذا الكتاب يعلم علم اليقين ان من أكبر صفات العلماء فناء شخصياتهم في العلم ، فان العالم اذا اخترع مذهباً من المذاهب أو اهتدى الى رأي من الآراء نسي شخصيته أو أذاب هذه الشخصية في المذهب المخترع أو الرأي المهتدى اليه لفرحه بهذا الاختراع وهذا الاهتداء .

على انه ليس في الدنيا شيء ثابت ، فالحياة كلها ، المادية منها والمعنوية في استحالات كثيرة ، فما نبتكره اليوم من الأسس قد يبطله المستقبل وما قولنا في مبتكرات لم تثبت أسسها بعد ولا جادلنا فيها المجادلون .

ليس من الانصاف في شيء أن ننكر فضل المؤلف في حشد الذهن وجمع الفكر للوصول الى ما وصل اليه غير انا نرى ان من جملة الأمور التي تعين على دراسة الأدب الجاهلي أو أدب العرب قبل الاسلام على الإطلاق الوقوف على نشأة اللغة العربية أي على ميلادها ونموها واستحالاتها ، وعلى مسايرتها في هذه الاستحالات كما يساير علماء الطبيعة نوعاً من أنواع الجماد أو النبات أو الحيوان

في مجامع أطواره ، ونظن ان هذه الأمور كلها غير كافية فلا بدّ من دراسة لهجات القبائل كلها ودراسة صلة اللغة العربية باللغات السامية بأجمعها ، وقد تضاف الى هذه الدراسات الآثار أو النقوش التي يهتدي اليها المهتدون لتلقي ضياء على دراساتهم .

لقد نقل المؤلف الفاضل كلاماً عن ابن خلدون على اختلاف لغة العاربة والمستعربة وهذا نصه :

« يقول علماء اللغات ان بينهما فروقاً كثيرة في الإعراب وفي الضمائر وفي كثير من أحوال الاشتقاق والتصريف وانهما تختلفان اختلافاً جوهرياً ويشتد هذا الاختلاف في المفردات نفسها وأوجه الشبه والاتفاق أقل جداً من أوجه الخلاف » .

فاذا كنا لا نطلع على هذه الفروق في الاعراب وفي الضمائر وفي كثير من أحوال الاشتقاق والتصريف واذا كنا لا نعرف اختلاف لغتي العاربة والمستعربة في المفردات نفسها فلا يكون شعورنا بهذه الفروق وبهذا الاختلاف قوياً .

ان علماء الكيمياء في هذا العصر اذا درّسوا جسماً من الأجسام فانهم لا يكتفون بوصف هذا الجسم وبيان خصائصه وانما يعرضون ما يمكن عرضه من الأجسام على الأنظار حتى تراه العين فالواجب على علماء اللغة ان يعرضوا على أنظارنا الفروق التي يشيرون اليها بين لغتين من اللغات وأما مجرد القول فليس فيه مقنع .

فالباحث الذي يتصدى لدراسة الأدب الجاهلي وتجديده اذا كان واقفاً على كل ما ذكرت كان إثباته لمذهبه أقوى ، وقد فطن الأستاذ صاحب كتاب : الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي الى ما أشرت اليه أو الى مايقرب منه فقال :

« الواجب علينا نحن العرب بعد الآن حكومات وهيئات أن نتعاون لبحث هذا التراث الدفين والمجد المطمور وذلك لا يكون الا بأمرين :

الأول : ان نرسل بالبعوث العلمية الى جامعات الغرب ليتلقى أبناؤنا دروساً مختلفة في كل اللغات الشرقية الأثرية .... »

الثاني : ان يرسل الحريجون ... الى بلاد اليمن والحجاز وفلسطين والشام والعراق وبقية البقاع الأثرية في الجزيرة العربية فينفضوا أرضها حجراً بعد حجر ومحفداً بعد محفد ومخلافاً بعد مخلاف وقطراً بعد قطر ...»

بعد هذا النوع من العمل نستطيع أن نبتكر أسساً لدراسة الأدب الجاهلي لأن ابتكارنا حينئذٍ يكون خيراً وأبقى .



في علم السكان

الدكتور عبد الكريم اليافي (أستاذ بالجامعة السورية)

قد يظن القارئ لأول وهلة أن علم السكان انما هو علم من خصائصه بعض القساوة ولكنه اذا قلّب النظر في كتاب الدكتور عبد الكريم اليافي وأحاط بالمجتمع البشري فرأى كيف يزيد السكان وينقصون وكيف يولدون ويموتون وكيف يقيمون ويهجرون شعر في هذا كله بلذّة لئن لم تكن مثل لذّة الشعر فانها قريبة منها ، فاذا نظرنا مثلاً الى حياة «الاسكيمو» في الصيف والشتاء أدركنا هذه اللذّة ففي الصيف يقتصرون على العبادة واحتفالات الولادة والموت ويتجنبون بعض النواحي وفي الشتاء تحتدم عاطفتهم الدينية فيتساقطون القصص والأساطير وكأنّ الشتاء كله عيد عندهم تطاول أمده .

هذا العلم الذي سماه الأستاذ المؤلف : علم السكان يكاد يكون ألصق العلوم بنا لأنه يتصل بأكثر نواحي الاجتماع وعُضَله ، من هذه النواحي آثار ازدياد السكان والعوامل المؤثرة في السكان والجنسان الذكور والإناث والأعمار والولادات وحركة المواليد والعوامل الاقتصادية والزواج والوفيات والأجل المتوسط وتجدّد الأجيال والهجرة وغير ذلك من المباحث .

من فضائل الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي في كتابه انه اذا عرض لموضوع من هذه الموضوعات التي يحتوي عليها علم السكان وذكر آراء عالم

من علماء الغرب فيه فتش عن عالم من علماء العرب خاض في هـذا الموضوع فإنه لما بحث عن زيادة السكان لم يغتل عن الاشارة الى رأي ابن خلدون في مثل هذا البحث ، فلما استشهد بفصل ابن خلدون وهو : تفاضل الأمصار والمدن في كثرة الرزق لأهلها انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة قابل بين رأي ابن خلدون في هذا المعنى وبين رأي عالم اجتماعي آخر وهو : دوركايم .

ولم يكتف الأستاذ بهذه المقابلات وحدها فانه لا يبحث في كتابه مبحثاً من المباحث الا قابل بين الأمم وبين العرب من هذا القبيل كلامه على كثرة مواليد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام وعلى قلة مواليدهم بعد الفتوح والمغازي أو كلامه على كثرة النسل في الأمم والعرب .

وقد يسلك الأستاذ المؤلف في بعض المقابلات أرشد المسالك فيلجأ الى اللغة فيستنطقها ويستفهمها ويستوضحها لأنها عنوان كثير من أخلاقنا وعاداتنا وطبائعنا وعواطفنا وما شابه ذلك مثل لجوئه الى تفسير الألفاظ العربية الدالة على المرأة اذا كثر ولدها أو قل .

ثم يتوسع في ذلك فيستعين بأعاظم العرب على توضيح فكرة من الفكر الاجتماعية كما استعان بالجاحظ وغيره من أدباء العرب وشعرائهم على الاشارة الى كثرة الولد أو قلتهم واذا دلّ هذا النمط من البحث على شيء فانه يدل على انقطاع صاحبه الى العلم والأدب وعلى إكثاره من قراءة الكتب حتى حصل له من ذلك ذوق أدبي تظهر فيه قوة البيان ونضج التعبير ولعلّ المقطع الآتي من كلامه يبيّن لنا هذه القوة وهذا النضج ، فانه لما تكلم على أحد العوامل المؤثرة في السكان وهو العامل النفسي قال :

« نرى أن البنين زينة الحياة الدنيا وعنصر من عناصر السعادة وينبوع من ينابيع الجذل في الأسرة ، هم أفلاذ الأكباد والقلوب الماشية على الأرض ، بل ثمة شيء آخر ذو شأن وهو أن الأولاد عتاد للآباء وذخر لهم في حلبة العيش

وعون لهم على صروف الحياة ولا سيما في الأرياف إذ لا يلبث الصغار أن يكبروا ويغدوا شابات وشباناً فيخففوا عن أهليهم مصاعب الكدح ومتاعب الجهد ويكفوهم أمورهم وحاجاتهم اذا مالت بهم كفة العمر ، ومن يعيل الشيخ الفاني ويحنو على الهِمّ المقعد الا أبناؤه يكلؤون شيخوخته بشيء من الرفق والحدب كما كلأ من قبلُ صباهم وطفولتهم .

هذا طراز من بيان الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي في كتابه : « في علم السكان » ، أفلا يحق لكلية الآداب أن تفتخر بأساتذة بيانهم من هذا الطراز .

ولقد وجد الأستاذ في العلم الذي درّسه بمثل بهذا البيان حلاً لقضية من قضايانا التي تشغل العرب كلهم في هذه الأيام وأعني بها قضية الصهيونيين فانه قال في بحثه عن ازدياد السكان والهجرة وتجدد الأجيال : اذا استطاعت سورية أن تخفض نسبة الوفيات فيها وأن تمنع الهجرة منها بلغ عدد سكانها بعد قرن مائة مليون وسبعة عشر مليوناً واذا ـ لا سمح الله ـ بقيت نسبة الوفيات فيها وفي بلاد العرب على حالها واستطاع اليهود أن يرفعوا نسبة مواليدهم بلغ عددهم بعد قرن تسعة وثلاثين مليوناً وما وسعه بعد هذا الخطر الذي كشفه كشفاً رياضياً الا أن يقول :

« فلينتبه المسؤولون وليتشوفوا بألمح أبصارهم نحو الأجيال المقبلة وليعرفوا كيف يمهدون لها الحياة ويدعمون بنيانها فهي أقوى الأسلحة لكيد أعدائهم وليعملوا بعد أن يعلموا وقبل فوات الوقت ، والعقبى للعالمين العاملين » .

أظن أن كتاباً مثل كتاب الدكتور عبد الكريم اليافي : في علم السكان انما هو كنز من كنوز مكتبتنا في هذا العصر .

شفيق جبري

تاريخ الأزمنة

البطريرك اسطفانوس الدويهي

نشر هذا الكتاب «على أصوله للمرة الأولى وعلق عليه بالحواشي والفهارس الأب افرديتان توتل اليسوعي» وطبعته المطبعة الكاثوليكية ببيروت فجاء على غرار مطبوعاتها دقةً وترتيباً وحسن طبع .

يقع الكتاب مع فهارسه في أربع مئة صفحة وتزيد . ويتناول الحوادث العالمية عامة وباختصار ، وما خص الديار الشامية : سورية ولبنان وفلسطين بشيء من التفصيل ، ولا سيا حوادث لبنان وخاصة ما تعلق منها بالطائفة المارونية . وذلك في ست مئة سنة . من سنة ١٠٥٩ م ٤٨٨ هـ — ١٦٩٩ م ١١١١ هـ .

قدم الناشر الكتاب بتوطئة ترجم فيها للمؤلف : ذكر موطنه ومولده ودراسته وسيرته . ثم وصف الكتاب ومصادره ونسخه ، وقد يكون غالى في التنويه بقيمة الكتاب ، مغالاة لا يؤيدها الكتاب نفسه تأييداً كبيراً .

بدأ المؤلف تاريخه بالحروب الصليبية ، وهي حروب على ما قال بين : «ملوك النصارى ضد جيوش الاسلام» وقد كان ــ وهو رئيس روحي ــ في كثير مما ذكره ، بعيداً عن التطرف ، معتدلاً منصفاً . كما كان في تاريخ ملته ، وذكر رؤسائها ، صريحاً جريئاً ، وهو ما يقل أن يقع مثله في زمننا هذا : زمن الحرية والصراحة ! ..

ولغة الكتاب عامية ، إلاّ في بعض ما نقله عن غيره بحرفه . وهو يعتمد التاريخ الميلادي ويضع الى جانبه التاريخ الهجري ، يعززهما أحيانا بالتاريخ اليوناني وتاريخ الشهداء وتاريخ الخليقة .

وتظهر في طيات الكتاب عروبة اللبنانيين عامة والمارونيين منهم خاصة بما يذكره من خصائصهم العربية البحتة ، من أسماء وكنى وألقاب ـ ولا سيما المشهورين من قبائلهم ـ ومن انقسامهم قيسية ويمنيـة ـ وهي الحزبية التي رافقت العرب ولازمتهم في حلهم وترحالهم ، ومن معاملاتهم الدينيـة والزمنية ، فقد جاء في حوادث سنة ١٥٧٧ ان البابا : « أمر ان يجمع ترتس وتعليمه الكهنة ينقل الى لغة العربية حتى يتطبع فيها ويراسل الى بلاد الشرق » .

ويقص المؤلف في كتابه من الحوادث ما يدل على ما يفعله الايمان في نفوس أصحابه . من ذلك ان الملائكة : « حملت بيت السيدة من الناصرة الى لورات في بلاد النصارى » ! .. » وان « أمر عجيب في ذخيرة القديس بيشوى بعد ما خلّى الحبس كم مرة ينقلوها (اي الذخيرة) الى دير مارى انطانيوس ومن ذاتها ترجع الى موضعها .. » ومثل ذلك ما جرى لذخيرة عرجز نقلوها الى ايطو فعادت من ذات نفسها حتى اضطروا أخيراً ان وضعوها بحائط كنيسة عرجز وسطموا عليها ... » وان الناس اجتمعوا بعد مقتل المقدم بنيامين صاحب حردين ليختاروا خلفاً له : « فنطق طفلاً مرضع ان يقيموا تقولا مقدماً ! .. »

وتدل كثير من الواقعات التي يسردها المؤلف على ما كان عليه أمراء لبنان المسلمون من تساهل وتسامح مع جيرانهم واخوانهم المسيحيين ، مما لا تجد له مثيلاً اليوم في الدول المسيحية ، فضلاً عن أن يكون عندهم مثله في تلك القرون المظلمة ، حتى في معاملة بعضهم بعضاً ، وان كان الناشر قد أشار في مقدمته الى غير ذلك .

وشيء آخر يؤخذ على الناشر أنه أبقى كثيراً من الأعلام على خطأ النساخ فيها ، لا هو أصلحها ، ولا أشار في الحاشية الى وجه الصواب فيها .

وتوسع في بعض العناوين - فجعل بوناً بينها وبين ما وضعت له - فهو مثلاً

في حوادث سنة ١٢٥٢ م = ٦٥٠ هـ وضع هـذا العنوان : « مصر للمعز . والشام للناصر . والغرب لجمال الدين » وهو عنوان يوهم أن هؤلاء الثلاثة ، قسموا بينهم هذه الديار الثلاث . فاذا انتهيت من العنوان الذي وضعه الناشر ، الى ما كتبه المؤلف ، رأيته يقول : « في سنة الف ومايتين وخمسين مسيحية تحرر الاتفاق بأن لصاحب مصر تكون الأمصار المصرية الى نهر الأردن . والناصر صاحب دمشق الأمصار الشامية ما وراء نهر الأردن الى الفرات ، وفيها كتب الملك الناصر الى جمال الدين الكبير حجي بن نجم الدين ... التنوخي بأن يكون متوالياً على القرى : عرامون الغرب ، وعند رفائيل ، وطردل ، وعينكسور ، ورمضون ، وقدرون ، ومرتغون ، والصباحية ، ومرحور ، وعيناب ، وعين عنوب ، والدوير[1] » .

وعرمون ، ومرحور ، وعينكسور ، وعيناب ، وعين عنوب ، قرى صغيرة . وعين درافيل مزرعة . وما بقي فأسماء أماكن لعقارات محدودة ، اذا صح وكان فيها مساكن على عهد التنوخيين ، فلا تزيد على ان تكون مزارع صغيرة ، ومن عرف هذه القرى والمزارع والمواضع ، معرفتنا بها ، أضحكه أن يجعل صاحبها الأمير جمال الدين الكبير ، نداً للمعز صاحب مصر ، والناصر صاحب

---

(١) قلنا : الصواب : عرموق لا عرامون . وطردلا ، لا طردل . ورمطون ، لا رمضون . أما « سرحور » فمنهم من يكتبها بالسين كما وردت ، ومنهم من يكتبها بالصاد صرحور . والاكثرون يجعلون بدل الراء الأخيرة لاماً ، فيقولون سرحول أو صرحول على لفظها الى يومنا هذا . وأما « عندرافيل » على ماتلفظ ، وتكتب أحياناً ، فقد يكون صوابها « عين درافيل » على ما جاءت في تاريخ بيروت لصالح بن يحيي . وروايته فيها يعتمد عليها لأن « عين درافيل » مزرعة كانت من أملاك التنوخيين وصالح بن يحيى منهم . ولعل أصلها « عين الدرافيل » والدرافيل جمع درفيل وهو الدرفين بلغة العامة .

أما رفائيل على ما أوردها الدويهي فلم تسمع سواء ، أأضيفت الى « عين » أو « عند » .

الشام ، فيقتسم واياهما القطرين : مصر والشام ، ويرضى معها ومنها بهذه القسمة الضيزى ! .. ولكن المؤرخ بروايته الصادقة المتواضعة : « وفيها كتب الملك الناصر الى جمال الدين .. بأنه يكون متوالياً على القرى ...» ينفي العنوان الضخم الذي تعمد الناشر ان يحمل معه من الأمير جمال الدين - على فضله ومزاياه - نداً للمعز والناصر .

ونرى من حق التاريخ اللبناني ان نترحم على المؤلف ، وان نشكر الناشر ما كان من جميل صنعها في وضع هذا التاريخ المفيد ، وفي اخراجه هذا المخرج الحسن .



مفهوم الدولة

للدكتور في الحقوق مصطفى البارودي

هذا الكتاب مجموعة محاضرات في مبادئ الحقوق العامة ، ألقاها صاحبها على الطلاب في كلية الحقوق بدمشق . والكتاب موجز في موضوعه ، يقع في مئتين واثنتين وأربعين صفحة .

عرّف الأستاذ في مقدمة كتابه ، الحقوق ، وذكر تقسيمها ، وأشار الى مبادئ الحقوق العامة ، والآراء المختلفة فيها . وانتقل الى الباب الاول وموضوعه : «مفهوم الدولة في نظر المفكرين السياسيين على مر العصور» وجعل هذا الباب - وهو الباب الوحيد في الكتاب - فصولاً ، ففي الفصل الأول بسط بعض آراء أفلاطون وأرسطو في الدولة . وفي الفصل الثاني بحث في الرواقية والنصرانية والاسلام ، ومذاهب أصحابها في الدولة والحكم . وفي الفصل الثالث تحدث عن (الدولة - الأمة) وآراء المحدثين فيها : مكيافل ، وبودان ، وهوبس ، ولوك ، ومونتسكيو ، وروسو .

وقد وُفّق الأستاذ في اختيار موضوعات كتابه ، ووُفّق في تنسيقها متسلسلة عصراً فعصراً ، وفي ترجمتها وعرضها بثوب عربي الحوك ، ناصع الديباجة ، لولا بعض تعبيرات وكلمات بالغ في التقيد بأصلها فنقلها نقلاً حرفياً ، كما انه في بسط آراء هؤلاء المفكرين الذين بسط آراءهم ، قيد نفسه برأي فرد ، هو رأي أستاذه (شناليه) الذي أهدى اليه كتابه هذا .

كذلك يؤخذ على السيد البازودي انه يعرض الآراء التي أودعها كتابه ، عرضاً مجرداً عن رأي شخصي يرجّح بينها ، وعن نظر خاص يتصل بالقضية السورية خاصة ، او بالمصلحة العربية عامة . من ذلك انه مرّ يبحث دين الدولة من غير أن يكون له فيه رأي يبديه . وقد كان هذا الموضوع : موضوع الساعة ، في عامه الدراسي الذي ألقى فيه محاضراته . ومثل ذلك ما يذكره عن حالات الأمم والشعوب ، وما وقع لها من شقاء وتفرقة ، جرّا الى الاستعباد . يذكره من غير تعليق ، ولا استنتاج عظة واعتبار . وهذا كله يجعل كتابه الى الترجمة أقرب منه الى التأليف .

وقد تكون بعض هذه المحاضرات دينية أكثر منها قانونية ، فليس من بأس أن يؤتى بشواهد دينية أو شرعية لتوكيد رأي قانوني . أما ان يجعل الدين مدار البحث ، والدعامة التي يقوم عليها القانون ، فهذا بالموضوع الديني ألصق ، وما أظن الأستاذ اليه قصد ، ومن أجله وضع كتابه .

وأراد الدكتور ان يقابل بين النصرانية والاسلام ، فقابل بين الاسلام والنصارى ، وليس الدين ومنتحلوه في كثير من الأحيان شيئاً واحداً . فالمقابلة بين دين ، وأصحاب دين آخر ، مقابلة غير دقيقة .

وكان خليقاً بالأستاذ أن يرجع — في جملة ما رجع اليه من آراء — في الاجتماع وقيام الدول — الى ابن خلدون فان له في هذا الميدان رأياً لا يقل عن آراء من استشهد بأقوالهم من المفكرين .

والكتاب على ما قلنا ، صحيح الديباجة . غير أن الاستاذ على حرصه على اللغة وعنايته بها ، وقعت له بعض أشياء نريد أن نلفت نظره اليها ، فاذا هو وافقنا فيها ، استدركها في طبعة جديدة . من ذلك ، استعماله : شكّل ومشتقاتها . وترجمته intérêt بـ (الصالح) وصوابها المصلحة . ولعل هذا الخطأ جاء من تكرار هذه الترجمة ومن معجم (بالوت Belot) الفرنسي العربي .

والصدقة والصدق . والصواب : المصادقة والمصادفات .

والقيافة : وصوابها الضيافة .

ونضوج : والصواب نضج بالضم وبالفتح .

الى أمثال هذه الالفاظ .

بقيت لنا كلمة في اسم الكتاب « مفهوم الدولة » وهو استعمال يصح على تخريج . وكان خيراً منه « معنى الدولة » وخير منهما « الدولة » وفي كتب الغربيين الذين نقلدهم ونأخذ عنهم ، كثير من الكتب بهذا الاسم : « الدولة » .

والاستاذ البارودي بعد ، مشكور على جهده وخدمته للعلم والأدب .



شرح قانون العقوبات

للدكتور عدنان الخطيب

المعاون العام لدى محكمة الاستئناف بدمشق

الكتاب من القطع الكبير ، صفحاته مئتان وتزيد . تناول فيه المؤلف الجرائم المخلة بالاخلاق والآداب العامة . واعتمد في شروحاته وتعليقاته ، على مصادر عربية ، لمؤلفين وشراح : لبنانيين وفلسطينيين ومصريين وعراقيين وسوريين ؛ ومؤلفات فرنسية بلغت العشرات ، وعزز ذلك بقرارات تمييزية ، فجاء الكتاب قيماً مفيداً ، جامعاً لأقوال قانونية موثوقة ، ولأنظار اجتهادية صائبة .

تعرض الأستاذ الخطيب في مقدمته لقانون الجزاء العثماني ، فأشار الى مصادره ، والى ما طرأ عليه من تعديل . وذكر البلدان والأقطار التي كانت خاضعة له ، وكيف تحررت منه ، شيئاً فشيئاً ، وبلداً فبلداً ، الى أن انتهى الأمر الى لبنان ، فوضع قانونه ، ثم جاءت سورية فأخذته عنه[1] .

ويصف الاستاذ الخطيب « القانون اللبناني » بأنه : « وليد دراسات عميقة ، بنيت على الحركة الدولية .. وقد أخذ فيه بأحدث النظريات العلمية ، دون أن يتقيد بمذهب من المذاهب المعينة ، انما كان يأخذ من كل مذهب خير ما فيه بالنسبة للأوضاع الاجتماعية الخاصة .. »

ويأخذ المؤلف على « القانون اللبناني » انه : « جاء مهلهلاً في بعض أجزائه ،

(١) أوردنا وزارة العدل السورية – يوم كنا فيها – أن تتبنى القانون اللبناني . وبعثنا بنسخ منه الى كبار القضاة والمحامين ليبدوا رأيهم فيه ، وملاحظاتهم عليه . فاجتمع لنا من ذلك دراسة موجزة مفيدة ، وآراء قيمة . غير أن النزعات الشخصية ، والحرص على بقاء ما كان على ما كان ، مخافة الضجة والاحتجاج ، هذا الى الرغبة في افادة بعض الراغبين في الفائدة ، كانت تجعل الوزراء يتطلون في دفن هذا الاقتراح بالعلل الواهية ، ورأينا من الصواب أن تنصرف الى تطهير القضاء ممن لا يجوز أن يبقوا فيه ، لأن القيمة – في رأينا – للقائمين على القانون ، أكثر مما هي للقانون نفسه .

فلما أن امكنت الحال في سورية من وضع قانون العقوبات « استمدت أصوله من روح القانون اللبناني ، ومن أكثر نصوصه » قالت : « والسبب في اختيار هذا القانون يعود الى ما يمتاز به من الاتقان في الوضع والصياغة والترتيب ، والى ما بين سورية ولبنان من الصلات الاقتصادية والاجتماعية المشتركة . وهما بلدان ليس بينهما حواجز كركية (وعلى لغة اليوم جمركية ! ..) وحرية الانتقال من أحدهما الى الآخر مطلقة غير مقيدة بقيد (كان ذلك يوم أخذ هذا القانون ، أما اليوم فقد تبدلنا حالاً بحال) ، فهما بهذا الاعتبار بحكم البلد الواحد ، وبين شعبيهما وحدة في التقاليد والعقلية والبيئة ، فمن غير المعقول أن يختلف أحدهما عن الآخر في تشريعه الجزائي بل انما مصلحتهما تقضي بأن يتفقا في هذا التشريع ... »

قيل هذا القول ، وأخذ هذا القانون ولكن .. بعد أن أضاعت سورية كثيراً من الوقت ، وخسرت كثيراً من المال في سبيل وضع قانون جزائي .

ضيعفاً في بعض مواده من ناحية الصياغة العربية ، وهو لا يخلو من أحكام غير دقيقة .. قد لا يخلو من أمثالها قانون في أول تطبيقه .. »

وهي ملاحظات نوافق الشارح فيها . وقد حمله ذلك على المبالغة في انتقاد اللفظات ، وانتحال العبارات ، غير أنه لم يسلم من بعض ما أخذه على غيره . والسبب في هذا ، ان القوانين التي تضعها ، أو بعبارة أصح تنقلها ، لا يزال أكثرها غريباً عنا مبنى ومعنى ، مفرداً ومركباً . وقد وقع لنا كثير من مثل هذا ، يوم كنا نعاني صوغ التنظيمات والمراسيم والقرارات ، فيأتي على بعضها مسحة من العجمة ، رغم المبالغة في تنقيتها وتقريبها .

فمن هذه الألفاظ والتراكيب التي جاءت في الشرح والتعليق : « الحبس لمدة تتراوح بين يوم وعشرة أيام » وليس من معنى لقولنا « تتراوح » هنا إلا على تخريج بعيد . ولو قال : « الحبس من يوم الى عشرة أيام » لتم المعنى ، وهو أيضاً التعبير الحرفي الذي يغلب على القوانين الفرنسية التي تأخذ عنها ، والتي تُعنى بالصياغة عناية تامة . وحرص الشارح على أن يستعمل « نص عليه » لا « نص عنه » ، غير أنه رغم هذا التدقيق سبقه قلمه غير مرة فاستعمل « نص عنه » . واستعماله : « شكل » و « تشكل » بدلاً من « ألف » و « تؤلف » . ومما استشهد به ، ولا تبعة عليه فيه ، غير انه كان مفيداً ان ينبه الى مثله ، قول بعضهم « لا تبعة عليه من أجلها » وكان أصح لغة ، وأدق استعمالاً لو قيل « لا تبعة عليه فيها » ويستعمل « مبرّر » في حيث يقوم مقامها « مسوّغ » واستعمال « التهتك » متعدياً بمعنى ايقاع فعل على الآخر في مثل قوله « جريمة التهتك » مما لا يصح فالتهتك مطاوع هتك تقول : تهتك فلان : افتضح أمره فهو فعل صادر عنه لا عليه ، لذلك لا يصح استعمال هذه اللفظة في مثل هذا الموضع ترجمة لـ Impudicité التي عرفها بأنها جريمة : « اللمس » و « المداعبة »

وقد سبق الترك ولمن أخذ عنهم أن استعملوا الثلاثي «هتك» ومصدره «الهتك» لا «تهتك» و «التهتك» .

والى جانب هذه الألفاظ التي تدخل في نطاق القانون ، نرى أن الأستاذ توسع من حيث اللغة – على حرصه على صحة اللفظ وسلامة التعبير – فاستعمل ما كان في غنى عن استعماله ، من ذلك :

الصدفة ، والصدف . والصواب : المصادفة والمصادفات .

الامرأة . والصحيح : المرأة .

تلقاء : فعله « من تلقاء نفسه » والعرب تقول في مثل هذا المعنى : « فعله من نفسه ، أو من ذات نفسه »[1] .

(١) التلقاء : مصدرها اللقاء ، وتلقاء فلان حذاءه . وفي لسان العرب ، مادة لقي ... والتلقاء .. هو مصدر نادر ، ولا نظير له إلا التبيان ...
الى أن يقول :
وجلس تلقاءه أي حذاءه . اهـ
وليس في هذه المادة ذكر لمثل ما هو شائع اليوم من قولهم : « فعله من تلقاء نفسه » ولا لما يفهم منه جواز هذا التعبير .
غير ان المنجد يقول : « التلقاء : الاسم من اللقاء . مكان اللقاء والمقابلة . يقال : « جلس تلقاءه » أي : تجاهه . و « فعل الأمر من تلقاء نفسه » أي من عند نفسه ، غير مسوق اليه ، ولا مكره عليه . وجاءت العبارة نفسها في البستان مع تقديم احدى السجعتين على صاحبتها : « فعل ذلك الأمر من تلقاء نفسه » أي من عند نفسه ، غير مكره عليه ، ولا مسوق اليه .
والغالب على أصحاب المتون أن ينقلوا النص على ما ورد ، لا يقدمون فيه ولا يؤخرون . فهل اعتمد البستاني في عبارة بستانه على المألوف في منجده ، فزاد في المثل « ذلك » وقدم وأخر في التفسير بين السجعتين ، يريد أن يخرج عن النقل الحرفي ! أم كان لكليهما مصدر نقلا عنه ؟
وهل هذا الاستعمال : « فعل الأمر من تلقاء نفسه » استعمال صحيح ، وعليه نص في القديم المعتمد من معاجم اللغة ؟

الباكر : وعدل في مواضع من كتابه عن نعته « الفتاة العذراء » بـ « الفتاة البكر » الى « الفتاة الباكر » ولا أدري وجهاً لهـذا العدول ، و « الباكر » في هذا المعنى من كلام العامة . الى أمثال هذه التجوزات .

وقد يكون في شرحه أحياناً تطويلٌ يستغنى عنه ، كإيراد قرار محكمة عليا لإثبات اجتهاد ، ورد عليه في القانون نص صريح . وهو شيء اذا حسُن في الشرح والتفسير ، فقد يستغنى عنه في إثبات نظرة قانونية .

وكنت اريد ان يتجنب صاحب الكتاب بعض العناوين التي لا تساير صرامة قانون العقوبة وخشانته ، وان يكتفي في اهدائه كتابه لأبيه بالكلمة الأخيرة ، وهي عبارة جامعة ، فيعدل عن اغراقه في مدح اذا هو جاز من غريب في غريب ، فهو لا يجوز أن يصدر عن قريب في قريب ، فكيف من ابن في أبيه .

وبعد ، فقد نكون أطلنا ، غير أن الكتاب يستحق الدراسة والعناية ، وقد أعطاه صاحبه كثيراً من جهده ووقته ، فجاء كتاباً ممتعاً موفقاً ـ فلا علينا ان نحن أطلنا فيه الكلام .

عارف النكدي

(استدراك)

جاء في مقال تصحيح نهاية الأرب المنشور في هذا العدد :

(ص ٥٦٧ سطر ١٤) والتنفيذ صوابه والتنقيد .

وفي (ص ٥٦٨ سطر ١١) درنيد صوابه دربند .

وفي (ص ٥٧٠ سطر ٤) ذا أثر صوابه أُثُر بضمتين بمعنى فرند السيف .

وفي (ص ٥٧١ سطر ٤) أربعة قوائم صوابه أربع قوائم .

وفي (ص ٥٧٤ سطر ١٥) بغداء صوابه بغداء .

وفي (ص ٥٧٤ سطر ١٨) في الشريف صوابه في الشرَف .

وفي (ص ٥٧٦ سطر ٩) تَذَبَّبْت صوابه تَذَبَّبُ .

آراء وأنباء

المعاني الكبير وأمالي اليزيدي

نشرت مجلة المجمع العلمي في الجزء الثاني من هذا المجلد السادس والعشرين كلمة في باب التعريف عن كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة وكتاب الأمالي لليزيدي ٠

ولم يُذكر ما للمستشرق الأستاذ « كرنكو » من فضل في اخراج هذين الكتابين وتهذيبهما ونسخهما بخط يده مع وضع الفهارس لها ٠ فقد أشار الى هذا الفضل الأستاذ « عبد الرحمن اليماني » الذي أشرف على تصحيح كتاب المعاني الكبير بكلمة شكر في مقدمته منها قوله : « علينا وعلى جميع العالم الأدبي تقديم الشكر الجزيل لحضرة المستشرق الجليل العلامة الدكتور كرنكو فإن له الفضل في إحياء هذا الأثر الثمين مع ما بذله من المجهود البالغ في تصحيحه والتعليق عليه وترتيب فهارسه ، مؤملين ان لا يزال يقدم للعلم وأهله أمثال هذه التحف السنية » ٠

كما ذكر الأستاذ « الحبيب عبد الله بن احمد العلوي الحسيني الحضرمي » مصحح دائرة المعارف العثمانية في مقدمة كتاب الأمالي الذي وقف على طبعه ووضع مقدمته أنه اعتمد على نسخة المستشرق الكبير وأشار الى فضله وعلمه ٠

والمجمع العلمي يضم شكره الى شكر الناشرَين ويتمنى للعلامة الأستاذ كرنكو طول العمر ليجدّ الخزانة العربية بما يقدمه اليها من خدمات جليلة ، ويضيف الى أياديه البيض السالفات وصنيعه المحمود أيادي جديدة مشكورة ٠ لا زال عوناً للعربية ونصيراً للعلم والأدب ٠

تلاعب النساخ

أشرت في المجلد السادس عشر من هذه المجلة (ص ٢٠٧) الى ما ارتكبه ناشر كتاب حلية الأولياء للحافظ ابي نعيم الاصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ من الغلط الشائن بضمه الحواشي والهوامش التي وجدها على النسخة المخطوطة، وما هي من صلب الكتاب ولا مما كتبه مؤلفه، لأنها عبارات تشهد لكاتبها بأنه أعجمي متهوس بالتصوف أقحم ما أراد التدليس فيه بين السطور اقحاماً . ومن هذه السخافات التي لا يفهم عربي معنى لها قوله في المتصوفة : وهم المصونون عن مرامقة حقارة الدنيا بعين الاغترار المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار . وقوله : بدأنا بذكر من اشتهر من الصحابة بحال من الأحوال وحفظ عنه حميد الأفعال وعصم من الفتور والاكسال وفضل الله العهود والحبال ولم يقطعه سآمة ولا ملال . وقوله في التصوف : انه السكون الى اللهيب في الحنين الى الحبيب . استنقاذ الطوق في معاناة الشوق وتزجية الأمور على تصفية الصدور . مرامقة المودود ومصارمة المحدود . اسلام الغيوب الى مقلب القلوب . الارتقاء في الأسباب والمقدرات من الأبواب . البروز من الحجاب الى رفع الحجاب . التزوح بالأحوال والتخفيف من الأثقال . الوفاء والثبات والتسامح بالمال والجدات . طلب التأنيس في رياض التقديس . المفرق البينونة الى مقر الكينونة . اقامة الدنف المعذب على حفاظ الكلف المهذب . الوطئ على جمر الغضا الى منازل الأنس والرضا . استنشاق النسيم والاشتياق الى التسنيم . مشاهدة المشهود ومراعاة العهود ومحاماة الصدود . تصحيح المعاملة لتصحيح المنازلة . تسور السور الى التحلل بالحور . قطع العلائق والأخذ بالوثائق . التأله والتدله من غلبات التوله . الى عشرات من هذه الجمل التي ما أغفل المهمش والمحشي صفحة من كتاب حلية الأولياء من وضع هنات منها .

وكتب صديقنا الأستاذ طه الراوي رحمه الله في المجلد التاسع عشر (ص ٣٧٣) وصف كتاب صفوة الصفوة لابن الجوزي (٥٩٧) وهو مختصر حلية الأولياء وقال ان ما دعا ابن الجوزي الى اختصاره الا السجع البارد الذي لا يكاد يحتوي على معنى صحيح خصوصاً في ذكر حدود التصوف . واستنتج الراوي من ذلك ان ما ورد في المخطوطات من الترهات هو من صنع المؤلف نفسه لأنه جاء في الأصل والله أعلم أي يد أثيمة تعاورت هذا الأصل حتى وصل الينا على هذه الصورة البشعة .

وكتاب الحلية في الواقع لا يدخل في شيء من مذهب ابن الجوزي ، ومذهبه انكار التخريفات المعزوة الى الأولياء . وابن الجوزي ، وكل عالم يعرف شريعة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، ينكر كل هذه الجمل التي حشى بها المحشي هذا الكتاب لأنها تنادي على نفسها بأنها من وضع ذاك الجاهل ، قصد بها تضليل العقول وشغل الناس بالفضول . وفات من أحسنوا الظن بالمخطوطة الأصلية وأصروا على رأيهم ، أنها من كلمات المؤلف ابي نعيم ، ان هناك تلاعب النساخ الجهال أيضاً ، ولو تأملوا لحظة في حياة ابي نعيم وعصره لما توقفوا عن أن يسيروا معنا في طريق الانكار على المحشي وحواشيه . ومن أعظم مؤرخينا ابن خلكان وصف ابا نعيم الأصفهاني بانه « من أعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات اخذ عن الأفاضل واخذوا عنه وانتفعوا به ، وكتاب الحلية من أحسن الكتب » . هذه شهادة شهدها احد العارفين من المؤرخين أفيعقل بعد هذا أن يؤلف ابو نعيم كلاماً لا يصدر إلا عن مجنون ؟

نعم نسي الأستاذ الراوي عبث النساخ وما قاساه العلماء في كل عصر من جهلهم وضلالاتهم . وآخر ما قرأناه من عبثهم ما جاء في ذيل الروضتين لأبي شامة قوله : توفي ولدي ابو الحزم محمد جمعني الله واياه في الجحيم ... وقوله عن شيخه وقد مدحه وكان عنه راضياً : جمع الله بيننا وبينه في النار آمين . ولعن

(أي الناسخ) من ذكر المؤلف اسماءهم من القضاة وغيرهم وورد في ورقة (٣٠١) قوله اثناء ذكر الشيخ ابي عمرو عثمان بن الحاجب انه كان متقناً لمذهب مالك بن أنس لعنة الله عليه .

وكان ابو شامة على ما يظهر من ذيل الروضتين يدخل الخصوصيات في العموميات كذكره أولاده ومن مات منهم ومن تلقى الحديث ويذكر بالتفصيل وفاتهم وغسله لهم ودفنهم ومن مشى في جنائزهم ويذكر من زوج منهم . وكان مغرماً بتشييع الجنائز واذا صلى على ميت اغتبط بأن كان اماماً في الصلاة عليه ، ومتبرماً بمن يخرف من ارباب الدين أما من يتعاطون الفلسفة والنظر في علوم الأوائل كالفخر بن البديع البندهي فهم زنادقة ملاحدة ، يساكنون فقهاء المسلمين في مدارسهم ويفسدون عقائد شبانهم ويتهمونهم باستنقاص الأنبياء فتجوز عليهم اللعنة فقد أتبع ذكر البندهي كما ذكره بقوله (لا رحمه الله ولا رضي عنه ولا عن أمثاله) وهكذا تكرر لعنه (او لعن الناسخ) على ما لا يقول به عاقل .

والقارئ يدرك ولا شك ان اباشامة مهما بلغ من تحققه لا يكتب اكثر هذه العبارات وهو القاضي المتشبع بأحكام الشرع والمؤرخ البارع في الجملة . ومن هنأته قوله لما ذكر القاضي الفاضل معاصره (مات القاضي الفاضل) فقط ولما ذكر ابن الجوزي الواعظ كتب فيه عدة صفحات وأتى على طرف من شعره الركيك . والغالب انه كان شيء في قلب ابي شامة من القاضي الفاضل ، نشأ من المنافسة على المنصب في حكومة السلطان صلاح الدين عليه الرحمة . وهذه المنافسة طبيعية ، وكثيراً ما تؤدي بالمنافس القوي الى أن يهلك منافسه بلا رحمة ، كما جرى للسان الدين ابن الخطيب ولابن خلدون في المغرب ، وكما كان من المنافسة البشعة بين محمد بن عبد الملك الزيات واحمد بن ابي دواد في البلاط العباسي ببغداد .

وأنا أستميح المشتغلين بالآداب ان أعرض عليهم رأيي في المخطوطات وما يتخلل بعضها من الخلل بفعل هؤلاء الناسخين الماسخين ، فانهم جوزوا لأنفسهم ان ينحلوا كتاب زيد الى عمرو بدعوى ان الكتاب يصادف رواجاً أكثر اذا نسب الى مؤلف مشهور ، ومن هذا القبيل نحلوا كتباً للجاحظ ولابن قتيبة ولقدامة بن جعفر ولابن قيم الجوزية وهي ليست لهم وما خطر لهم أن يخطوا في موضوعها شيئاً ، وربما كان الكتاب المحول مما يخالف آراءهم . والسبيل الى معرفة الصحيح من الزيف من الكتب ، ولا سيما عند الطبع ، استحضار ما يمكن استحضاره من النسخ المتعددة من الكتاب ، وتصفح ما لمؤلف من المصنفات واعتبار لغة الكتاب وأسلوبه . ولغة المؤلفين في القرن الثالث والرابع لا يمكن أن تشبه لغتهم في القرن السابع والثامن . ثم ينظر في الخطوط فان الخطوط أيضاً تختلف قاعدتها من عصر الى عصر . ومن أهم ما يكشف تلاعب الناسخ مذهبه وبلده ، فنساخ بلاد العجم ينسخون ما يتصل مع منازعهم ويدسون في النصوص ما يقوي دعوتهم ، أو ما يتوهمون انه ينفعهم في تأييدها . ونساخ الديار الشامية والعراقية والمصرية يكتفون بالقذف واللعن وأكثرهم عند التمحيص كذبة وضاعون . وأصح المخطوطات ما كان من نسخ العلماء الذين قصدوا بها خدمة العلم أولاً ، والارتفاق بثمنها ثانياً ، ولكن أكثر هذه المخطوطات لم تصل الينا مع الأسف شأن كثير من الكتب الجيدة لعظماء من المؤلفين أدخلها من جاءوا بعدهم في كتبهم فوصل الينا الفرع دون الأصل . ولكم دل النساخ والوراقون على جهل مزرٍ بأن أضافوا الى أصول الكتب التي عبثوا بها أشياء كتبت في الكتب بعد عهدهم بقرنين وثلاثة . وقد أشرت في هذه المجلة الى بعض ما وقع لهم من هذا القبيل ومنها في فتوح الشام للأزدي البصري (مجلة المجمع م ٢٠ ص ٥٤٤) والامامة والسياسة الذي نحلوه لابن قتيبة الدينوري وما هو له .

برع علماء المشرقيات في الغرب في معرفة السقيم من السليم من المخطوطات . وأذكر ان أحد أصحابي من فضلاء السامرة جاء مصر مع أحد ربانيتهم قاصداً الى لندن ليعرضا نسخة من التوراة ادعى الربان انها أقدم نسخة وجدت ، وكان صاحبي وصاحبه يؤملان ان يبيعا تلك النسخة بمئات الألوف من الجنيهات ولما عرضت ، وأطلع على المتحف البريطاني ، جاء العلماء ينظرون في التوراة القديمة فحللوا حبرها وتدبروا ورقها فتبين أنها كتبت بعد قرون من دعوى أصحابها . وقال من نظر فيها : لو صحت دعوى عارض هذه التوراة لابتعناها بمليون جنيه ، فرجع صاحبي ورفيقه بالخيبة .

محمد كرد علي

أرجوزة علي بن الجهم

كنت قلت في ابن أبي عذيبة وتاريخه في مجلة المجمع الغراء :

« نظم الوقائع قديم في التاريخ ، وعندي قصيدة لعلي بن الجهم في التاريخ الى أيامه . ولعلها أقدم القصائد . ثم جاء آخرون منهم صاحب هذه القصيدة (نظم الجمان في ذكر من سلف من ملوك الزمان) . ومنهم السيوطي وعديدون»[1] اهـ .

ولا شك أن في تاريخنا مختلف النظم لا سيما في الوقائع أو في المناقب . وهذه لا ينكر نفعها لمن ليس له وقت في التبسط ، أو مجال في التوسع . وانما القصد تبليغ المعرفة من أقرب وجه .

وهذه الأرجوزة تعدّ من (المتون التاريخية) . فاذا كان (ابن النطاح) المتوفى سنة ٢٤٢هـ — ٨٥٦م أول من كتب في (الدولة) العباسية ، فهذه

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق مج ٢١ ص ٣١٢ سنة ١٩٤٦ م .

الأرجوزة جاءت في التاريخ الاسلامي العام الى أيام ناظمها . وتعدّ الأولى من نوعها . وابن الجهم من معاصري ابن النطاح وان كان تأخر عنه في الوفاة قليلا.

ولولا أن الاشارة وردت من مؤرخين عديدين في أقدم المصادر لداخلنا الريب في صحة نسبتها الى ابن الجهم . وصلت الينا كاملة في (كتاب الفرق) لأبي محمد وحده . مسردها جميعها . وهو نص قديم . كان من علماء النصف الأول من المائة السادسة للهجرة ، فكان مؤكداً صحة نسبتها . وأما إختلاف نصوصها فهو ناجم من تعدد النسخ من هذا الكتاب أعني (كتاب الفرق) فهو السند الوحيد . لان النسخة لم توجد في أصل الديوان .

وفي (تاريخ الخلفاء) للسيوطي أشار الى هذه الأرجوزة ويعدّ سنداً آخر . قال :

« قد عمل بعض الأقدمين أرجوزة في أسماء الخلفاء ووفياتهم انتهى فيها الى أيام المعتمد (كذا) . » اهـ .

ويبدو من قوله أن (المعتمد) غير صواب . وانما هو (المعتز) فالتصحيف ظاهر أو محتمل جداً . لأنها كتبت الى أيام المعتز . ثم يأتي (المهتدي) ، وبعده (المعتمد) . يقصد هذه الأرجوزة ــ كما يتبين ــ دون غيرها . ولو رجعنا الى النسخ المخطوطة من كتاب (تاريخ الخلفاء) ، أو رأينا النسخه الأصلية منه لأمكننا معرفة التصحيف ، أو كان ذلك سهو قلم منه . كثيراً ما يقع أمثاله . وهذا التاريخ نبّه على التصحيف والنقص والتحريف فيه صاحب الطباعة المنيرية . فلا يكاد يخلو من غلط ناسخ في كل صفحة منه .

يؤيد هذا اننا لم نعثر على (تاريخ منظوم) قريب من هذا العهد لناظم آخر . ولا يخطر على بال أن الأستاذ السيوطي قصد (أرجوزة ابن المعتز) فانها (في المعتضد بالله) ولم تكن في جميع الخلفاء .

ثم قال السيوطي :

«وقد عملت قصيدة أحسن منها . ورأيت أن أختم بها هذا الكتاب...» اه فوقف بهذه القصيدة عند الخليفة المستمسك بالله (يعقوب بن المتوكل) . ذكر أنه ولي الخلافة في سلخ المحرم سنة ٩٠٣ هـ — ١٤٩٧ م . وهذا توفي في ١٧ شهر ربيع الآخر سنة ٩٢٧ هـ . ثم توفي المتوكل في ١٢ شعبان سنة ٩٥٠ هـ — ١٥٤٣ م وأعقب ابنين عمر وعثمان . وبموتهما انقطعت الخلافة [١] .

وأرى أن تقرن أرجوزة ابن المعتز بأرجوزة ابن الجهم ، وان توضحا توضيحاً تاريخياً يكشف عن وقائعها ، فتخلدان في مجموعة باعتبارهما لشاعرين معروفين متقاربي العهد . ولا يكفي تثبيت نصوصهما بل التعليق من الوجهة التاريخية ضروري .

وفي نسختي من أرجوزة ابن الجهم ما يصحح بعض الأبيات مثل قوله في صفحة ٦٧ س ٣ من مجلة المجمع :

وكان في العشرين من ولاتها   من آل عباس ومن حماتها

فجاء في نسختي :

فكان ثاني العشر من ولاتها   من آل عباس ومن حماتها

ومن المقابلة يظهر الكثير من التصحيحات أو الترجيحات لتكون كاملة . وفي الوقت نفسه تراعي الموافقة للنصوص التاريخية الأخرى ...

وجاء بعد ابن الجهم كثيرون نظموا في التاريخ منهم :

١ — ابن المعتز نظم أرجوزة في المعتضد بالله (٢٧٩ هـ — ٨٩٢ م : ٢٨٨ هـ — ٩٠١ م) في بيان حوادث هذا الخليفة . وذكر الحالة قبله . وهذه الأرجوزة داخلها التصحيف كما أنها تحتاج الى ما يوضح نصوصها ويصحح ما فيها ، ويشرح مطالبها . بصرت بالحالة أيام المعتضد ، وبأوضاع من كان قبله [٢] .

(١) كشف خلفا والخطط التوفيقية الجديدة ج ٢٠ ص ١٧ والاعلام باعلام بيت الله الحرام ص ٨٦ .

(٢) ديوان ابن المعتز طبعة سنة ١٨٩١ م ص ١٢٦ والأرجوزة طبعت مستقلة سنة ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م . وكذا جاءت في كتاب رسائل ابن المعتز - الأستاذ محمد عبد المنعم الخفاجي . وطبع سنة ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م .

٢ — قصيدة ابن عبدون المتوفى سنة ٥٢٩ هـ — ١١٣٤ م . وهي متداولة . ولها شروح عديدة . طبع بعضها .

٣ — أبيات لشمس الدين محمد الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .

٤ — لسان الدين ابن الخطيب القرطبي المتوفى سنة ٧٧٦ هـ . أرجوزة في تاريخ الاسلام .

٥ — أبو جعفر محمد بن احمد بن الحسين السراج المتوفى في شهر رجب سنة ٨٠٢ هـ .

٦ — تحفة الظرفاء في تاريخ الملوك والخلفاء . أرجوزة للشمس محمد بن احمد الباعوني الدمشقي . كتبها الى زمان المستعين بالله . وتوفي في شهر رمضان سنة ٨٧٠ هـ . ولابن حجر شيخ الاسلام قصيدة تعين الحالة في أيام المستعين بالله . ذكرها السيوطي في تاريخ الخلفاء .

٧ — البهاء محمد بن القاضي جمال الدين يوسف . ذيل بها على التحفة . وتوفي في ١١ شهر رمضان سنة ٩١٠ هـ .

٨ — ابن أبي البقاء . له أرجوزة في الخلفاء .

٩ — احمد بن يعقوب المصري .

١٠ — عبد الله بن الحسين بن سعد الكاتب [١] .

١١ — قصيدة السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ في آخر تاريخه . مر الكلام عليها .

١٢ — عبد القادر بن حبيب الصفدي المتوفى في ١١ جمادى الأولى سنة ٩١٥ هـ — ١٥٠٩ م . له تائية في التاريخ شرحها الشيخ علوان الحموي المتوفى سنة ٩٣٢ هـ — ١٥٢٧ م .

١٣ — منظومة في آل أفراسياب في تاريخ البصرة لما بعد الألف . وهي من نظم الشيخ ياسين بن حمزة آل شهاب البصري [٢] .

(١) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٩٥ وغيره .

(٢) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ١٣٩ .

١٤ — العرشي . له (مسك الختام في من ولي اليمن من ملك وامام) . شرحها ناظمها . ونشرها الأستاذ الكرملي سنة ١٩٣٩ م .

١٥ — دول الاسلام . لأمير الشعراء المرحوم احمد شوقي بك .

ولا محل للاستيعاب . وفي السيرة نظم كثيرون أيضاً . أورد الأستاذ السخاوي جماعة منهم . ومنظومات العلوم كثيرة . و (أرجوزة ابن الجهم) فتحت باباً لأمثالها في اللغة والنحو والخط والموسيقى والطب وسائر العلوم . وبعضهم أكثر من نظم العلوم مثل اليتوشي والشيخ معروف النودهي . وفي هذا الأخير قيل : لو شاء لنظم القرآن . ! وعندي (نظم الكفاية) في اللغة نسبت الى ابن مالك ولم نعثر عليها في قائمة مؤلفاته . ونظم كليلة ودمنة ، والصادح والباغم من أقدم ما نظم بعد ابن الجهم . والايرانيون نظموا كثيراً في التاريخ والمناقب وفي العلوم . ومثلهم الترك . والكل جاء بعد ابن الجهم ...

ويهمنا أن تظهر أرجوزة ابن الجهم صحيحة . ولم تصل الينا الا في (كتاب الفرق) . ومن الضروري مراجعة نسخ هذا الكتاب . وعندي نسخة منه مقابلة على المطبوعة وعلى نسخة أخرى . وربما عدت الى ذكر (كتاب الفرق) وبيان نسخه . ونسخة الأستاذ المرحوم السماوي منقولة من النسختين اللتين في النجف . احداهما طبعت ، ثم صودرت . وكان من الممكن أن يعلق عليها بما خالف . والرأي الشخصي لا يؤثر على أصل العقيدة ليمنع الكتاب . وفيه فوائد تاريخية وعقائدية لا تحصى . والأستاذ السماوي تكتم في ذكر الكتاب أو بقي في تلوم ولعل له العذر الذي منع من أجله المطبوع . والفضل في هذه الاثارة لمعالي الأستاذ خليل مردم بك في الكشف عن صفحة غامضة من مخبآت تاريخنا العلمي والأدبي .

عباس العزاوي

تعقيب على ملاحظات الدكتور مرشد خاطر

للدكتور مرشد خاطر ، مقال في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١ — ٢٦ ، ص ٧٦ عنونه (بملاحظات مقتضبة على مصطلحات علم الأمراض المدرجة في الجزء الخامس من مجلة مجمع فؤاد الاول) اعجبني أكثر ما جاء فيه فأردت تأييده في هذا الأكثر وابداء رأيي في سائره .

فما أؤيده فيه وضعه (الاوجل) لـ Torticolis و (الداغصة) لـ Patella و (التنخر) لـ Necrosis و (فاعل) لـ Active و (منفعل) لـ Passive و (الاختلاج) لـ Convulsion و (التشنج) لـ Spasme و (التهاب القولون) لـ Colite و (القولنج) لـ Colic و (المبضع) لـ Bistouri و (التقلص) لـ Contraction و (القولون المعترض) لـ Transverse colon و (الورم اللحمي) لـ Sarcoma و (غشاء الجنب) لـ Pleura و (ذات الجنب) لـ Pleurésie و (البوال) لـ Pollakiurie و (الخزب) لـ Œdema و (المشاشة) لـ Épiphyse و (الشغاف) لـ Endocardium و (التامور) لـ Péricardium و (الورم القنبيطي) لـ Condyloma .

هذا ما استحسنته كل الاستحسان وما أنا قائل بمثله من قبل . أما سائر المصطلحات التي أوردها الدكتور الفاضل فلي فيها آراء أعرضها في ما يأتي كما ورد في مقالة لي نشرتها مجلة الكلية الطبية العراقية في جزئيها الأول والثاني المزدوجين للسنة التاسعة ص ٢٧٩ بعنوان (آراء نقدية حول المصطلحات الطبية التي وضعها المجمع اللغوي) أي مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية ج ٥ — ص ٢١٤ فما بعد . وهي طويلة انتقدت كل ما جاء في الجزء المذكور من المصطلحات الطبية ، فمن شاء فليطلع عليها .

قلت هناك : قوله الشكب Trismus · لا وجود لكلمة شكب (اعني في اللغة الفصحى) · أقول (ضُزاز) وسمي كزاز الفك وفي القانون ٢ـ ١٢ انطباق الفم · وسماه داود الانطاكي في التذكرة ٣ـ ٥٧ بالتطبيق · وضزاز خير من ضرز لأنه على وزن فعال المفيد معنى المرض ·

Trépanation سموه بالثقب · وسماه الدكتور مرشد خاطر بالحج · قلت سماه ابن سينا ق ٣ـ ٢٠٩ بالـ (تقوير) وهذه موافقة كل الموافقة · فان المقورة Trépan مدورة الحد تفصل قوارة من العظم · أما الحج فهو والسبر واحد · جاء في القاموس : الحج سبر الشجة بالمحجاج لمعالجة ، والمحجاج اسم للمسبار · اهـ · وأما ما جاء فيه : حج اذا قدح بالحديد في العظم اذا كان قد هشم ، فالقصد منه اخراج شظايا العظم المشم ·

Herpes سموه عقابيس وصححها مرشد خاطر بالعقابيل · وهذا صحيح · أما أنا فأقول انه المَرَّص بعينه · ولتترك عقابيل لبقايا المرضى Séquelle ·

Pyrosis · سموه الجبار · وقال مرشد ترجمها شرف بالحزة والترجمة حسنة على ما أرى وان لم تفد المعنى تماماً ـ قلت : في التاج في مادة (جبر) الجبّار حرقة في الصدر والحلق غيظاً أو جوعاً · اذن ليس من سوء الهضم فلا يفيد استعماله هنا · أسميه (القَفَص) فقد ورد في التاج : القفص بالتحريك حرارة في الحلق وحموضة في المعدة من شرب الماء على التمر ··· وقال غيره من شرب النبيذ ··· وقفص وقبص بالفاء والباء اذا عربت معدته · يعني فسدت ـ لا يهمنا ما بينه صاحب التاج من الأسباب في حصول هذه الحادثة المرضية · انما يهمنا قوله في الجبّار حرقة في الصدر والحلق ، وفي القفص قوله حرارة في الحلق وحموضة في المعدة · فاختر احداهما · أما أنا فأختار (القفص) لأنه جاء مقروناً بفساد المعدة وأما الحزة فلا تفيد المعنى المطلوب ·

وسمى الدكتور الـ Séquestre رمةً . المعروف ان الرمة تقال للعظام التي بليت في القبر . ولم يقلها أحد لكسارات العظام في الجروح والجراحات . انما هي (الشظية) كما في القانون لابن سينا ٣ – ١٨٦ طبعة مصر . وسمى الـ Sphacèle بالموات . أقول لم يأت الموات بمعنى موت الأقسام الرخوة في الجسد ، بل جاء في التاج الموات كغراب الموت مطلقاً ومنهم من خصه بالموت يقع في الماشية . ١٠اهـ . سماه الجوسي في كامل الصناعة ٢ – ١٨٧ بالخبيثة وسماه ابن سينا أحياناً باسفاقلوس وفي ق ٣ – ١١٤ موت العضو ، وفيه أيضاً ٢ – ١٢٥ اللحم الميت – وأحسن تسمية لهذا المرض هو (التَّذَيُّؤ) . في التاج في مادة ذ يأ : تَذَيَّأَ الجرح وغيره تقطع وفسد . وقال الأصمعي : اذا فسدت القرحة وتقطعت قيل تذيأت تذيؤاً وتهذأت ... التذيؤ انفصال اللحم عن العظم بذبح أو فساد .

وقال ان معنى كلمة Cirrhose الحرفي Gris بالفرنسية أي الأشهب وأراد تسمية هذا المرض بالكهبة . أقول ليس معناه Gris بل Roux أي الأشقر كما صرح بذلك ليتره في قاموسه الطبي . لذلك اسمي سيروز الكبد باشقرار الكبد . وأما الكهبة فيقابلها بالفرنسية Lividité .

وقال Virus هو النوعة أو الحمة ، و Virulence هو حدة الحمة – أقول Virus هو الحمة و Virulence هو النوعة . فقد جاء في التاج النوعة من السم حمته وحدته . وقال : الدرن هو الوسخ فلا يصلح لترجمة Tuberculosis ولا يخفى ان Tuberculose و Phtisie مترادفان باللغة الفرنسية ، فيحسن بنا ان نترجمها بكلمة واحدة وهي السل ولنقل سل دخني عوضاً عن درن دخني – أقول : اني أوافقه كل الموافقة على ان الدرن هو الوسخ لا غير وانه لا تصلح تسمية هذا المرض به وأظن أن أول من استعمل كلمة تدرن لهذا المرض أخذها من كتاب الصناعتين حيث ذكر التدرن في جملة أمراض الخيل .

والمفهوم ان صاحب كتاب الصناعتين لم يقصد بالتدرن السل بل قصد تنبر الرئة Pneumoconiose ۰ ان كلمة Tuberculose مركبة من Tubercule مصغر Tuber ومن ose الأداة التي تفيد المرض ۰ فما هي ترجمة Tuber بالعربية ؟ الجواب : انها الحجرة فتكون Tubercule الحجيرة و Tuberculose التحجر ۰ فتترجم Tuberculose pulmonaire مثلاً بتحجر الرئة ۰ أما Phtisie فمعناها الأصلي الهزال والسل هو الهزال في اللغة سمي هذا المرض به لأنه يوجبه ۰ ولما اكتشف التشريح المرضي وجوب الحجيرات في الرئة في جثث الذين يموتون بهذا المرض سموه Tuberculose ۰ فلنجارهم في هاتين النسختين فنقول لـ Phtisie سل ولـ Tuberculose التحجر أو داء التحجر ۰

وسمى الـ Synovie بالآح حين انها لا تحوي آحاً بل مخاطيناً وأملاحاً ۰ أقول سماها الجومي في كامل الصناعة ١ ـ ٥١ رطوبة دسمية ، وهـذه تقابل Axongia articulorum و Unguen articulare وسماها المؤلفون في التشريح حديثاً بالزلال غلطاً وهم يقصدون الآحين وسماها أستاذ التشريح مصطفى شوقي بالمصل وليست بالمصل لأن المصل فيه آحين وهذه خالية منه وتركيبها يقرب من تركيب الدمع ۰ والقصد منها ومن الدمع التزليق Lubrifaction ۰ هذا يزلق الأجفان على المقلة وتلك تزلق سطوح المفصل على بعضها ۰ فلنسمها المزلقة ونسمي غشاءها غشاء المزلقة ۰

وقال الدرقة وحدها تغني عن أن تقول الغدة الدرقية ۰ وهنا غير مقبول ۰ فالغدة الدرقية ليس شكلها شكل الدرقة أي الترس ، بل الغضروف الدرقي الذي هي عليه له هذا الشكل ، فاذا قلنا درقة ذهب الذهن اليه ۰

وسمى الـ Sphincter صارة أو مصرة ۰ قلت الصحيح الصارة لا المصرة لأن فعل أصر له معانٍ أخرى غير معنى الحبس ۰

وسمى الـ Plasma بالصورة ؛ وهذا جيد . لكن المصورة وردت في مقالته بفتح الواو والصحيح كونها بكسره . ولعل ذلك غلط مطبعي .

وأراد تسمية Oligurie بالتبويل و Anurie بالاباله و Polyurie بالبوالة و Diurétique بالمبولة — أقول ان هذه التسميات يعسر حفظها وتقبل الخلط والغلط فيها ولم يقل بها أحد . فالتبويل هو أخذ الصبي الى مكان او اناء يبول فيه وأيضاً اجراء القثطرة لمن احتبس بوله . والاباله والتبويل واحد . والمبولة تقال للمكان وللاناء يبال فيها . فالتسميات القديمة أحسن . تقول على الترتيب قلة البول ، وانقطاع البول ، وكثرة البول ، ومدر البول .

ورجح ترجمة Murmure بالحفيف على ترجمته بالغط . لكني أرى الغط فيها هو الصواب . أما الحفيف فهو الـ Frôlement . ر. لاروس القرن العشرين

واستحسن جداً ترجمة Médiastin بالحيزوم ثم عدل عنها الى المنصف — أقول الحيزوم مشتق من الحزم وهو الشد بالحزام فالقصد منه خارج الصدر . فاذا قيل الصدر فهنا منه خارج قفص الصدر من الأمام كما ان الظهر خارجه من الخلف . وعندما يراد داخله يقال جوف الصدر . جاء في التاج الحزيم كأمير الصدر او وسطه كالحيزوم وقيل الحزيم والحيزوم ما يضم عليه الحزام حيث تلتقي رؤوس الجوانح فوق الرهابة بحيال الكاهل ... وجمع الحيزوم حيازيم . وفي حديث علي رضي الله تعالى عنه :

اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيكا

وقولهم اشدد حيزومك وحيازيمك لهذا الأمر أي وطن [نفسك] عليه وهو كناية عن التشمر للأمر والاستعداد له . اهـ . فقوله حزيم كأمير الصدر أو وسطه كالحيزوم اراد به ان مدلول هاتين الكلمتين الصدر كله أو وسط الصدر من خارجه لا من جوفه . يدعم قولي ما جاء في التاج أيضاً : الحيزوم ما استدار بالظهر والبطن او هو ضلع الفؤاد وقيل هو ما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر وهما حيزومان . اهـ . فعلى ذلك لا تصلح تسمية المنصف بالحيزوم .

وترجم Hépatomégalie بالرعاى — أقول هو عِظَم الكبد. لا غير كما أن Splénomégalie عظم الطحال . راجع قاموس ليتره تر انه عبر عن هذه الحالة الاخيرة بـ Hypertrophie de la rate أما زوائد الكبد عند ابن سينا ق ٢ — ٣٥٠ فيظهر من كلامه انها فصوص الكبد Lobes . قال: وأعظم زوائدها هي الزائدة المخصوصة باسم الزائدة وقد وضع عليها المرارة . — فهذه هي المسماة بالرعاى في اللغة وهي اذن ما نسميه بالفص المربع Lobe carré . فأين هذا من عظم الكبد .

وسمى Giant cell بالخلية العرطلة — أقول ترجمة تقرب من الصواب ، غير انها تدل على الطول والعتو والعصيان أكثر مما تدل على الضخامة . أحسن منها (الجلحابة) . جاء في التاج في مادة جلحب : كان سعد بن معاذ رجلاً جلحابًا اي طويلاً وروي جلحابًا بالحاء المهملة اي الضخم الجسيم .

وترجم Dyspnée بالزلة — أقول من الواجب اتخاذ منهج في وضع المصطلحات ، خاصةً في المصطلحات الترنجية التي تبدأ أو تنتهي باداة واحدة بعينها . فهنا Dys تفيد على الأكثر معنى العسر . والكلمات التي تبدأ بها كثيرة ، منها Dysménorrhée ; Dyspnée ; Dyspepsie ; Dysphagie ; Dyslalie Dysurie وأمثالها كثير وقد ترجمت قديمًا وحديثًا على الترتيب بعسر الكلام وعسر البلع وعسر الهضم وعسر التنفس وعسر الطمث وعسر البول ، فترك النهج والعدول عنه الى كلمة مائتة مدفونة في المعاجم لا يستحسن . خاصةً وان الزلة ليست لها اخوات تدل على الضيق في مادة زلّ ، فهي : كالتربية بينها .

وأراد بالحاق هاء بآخر كلمة كيس التفريق بين Sac و Kysta فسمى الثانية كيسة . وهذه بدعة في اللغة لأننا نعلم ان الهاء تلحق بآخر بعض الأسماء للتبعيض كالخبز والجبن فيقال خبزة وجبنة أي قطعة منها . ولا أدري كيف غفل عن ترجمة Kyste بالسلعة . فان من يراجع القانون ٣ — ١٣١ والعمدة

في الجراحة لابن القف ١ ـ ١٥٠ يعلم ذلك ٠ قال في العمدة وتكون السلع في كيس يحتوي عليها من كل جانب ٠ وقسم السلع الى شحمية وعسلية واردهالجية وشيرازية والشيراز هو اللبن المطبوخ ٠

وترجم Crépitation بالنقض والتنقيض (صوابه التقيض) ـ أقول التقيض ليس صوت العظم المكسور اذا حرك وان قال بعضهم انه صوت كذا وكذا وصوت العظم بل هو صوت الأوتار التي عند المفاصل اذا زلت عن مواضعها وصوت الأديم اليابس والرحل ونحوها ٠ ان خير كلمة تترجم بها هذه الكلمة الفرنجية هي (الخشخشة) في العظم المكسور ٠ (القانون ٣ ـ ١٩٩) ومثلها (الفرقعة) ق ٣ ـ ٢١٣ ٠ و (الأزيز) في الصوت الذي يسمعه الطبيب في ذات الرئة وفي الثلج عندما يوطأ ٠ (السراج الوهاج ١ ـ ٢٩) ٠



حول كتاب الأشباه والنظائر للخالديين

جاء في هذه المجلة ٣ ـ ٢٣٦، ص ١٩٨ كلام للدكتور محمد يوسف عن نسخ الأشباه والنظائر للخالديين قوله : كتب القس سليمان صائغ في تاريخ الموصل الجزء الثاني ص ٦٢ ان هناك نسخة من الكتاب في مدرسة حسين باشا الجليلي في الموصل ولم أجد لها ذكراً في كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داود ٠٠٠

أقول : ان كتاب الأشباه والنظائر مذكور في مخطوطات الموصل في جملة كتب الفقه وأصوله (ص ٦١) لأن الكتاب الذي بهذا الاسم في هذه المدرسة هو في الفقه الحنفي للزين بن احمد بن نجيم المصري الحنفي الأزهري ٠ ذهبت قبل كتابة هذا الكلام واطلعت من جديد على النسخة المذكورة فتحققت انها كما ذكرت ٠ فالقس سليمان واهم في كون النسخة المذكورة هي الأشباه والنظائر في الشعر للخالديين، أوهمه تشابه الاسمين ٠

(الموصل) الدكتور داود الجلبي



المثنوي والدوبيتي

قرأت في الصفحة ٤٢٩ سطر ٦ من الجزء الثالث من المجلد السادس والعشرين من مجلة المجمع وجه تسمية المثنوي بشكل لا يوافق الواقع؛ والتعريف هناك ينطبق تماماً على ما نسميه نحن الايرانيين بـ « دوبيتي » أي ذي بيتين لتمييزه من الـ « رباعي » الذي يكون دائماً على وزن « لا حول ولا قوة الا بالله » خلافاً لـ « دوبيتي » الذي لا يكون له وزن خاص ·

وأما في المثنوي فيجب أن تراعى القافية في كلا المصراعين وأظن ان هذا هو سبب تسميته بمثنوي :

بشنوازنى چون حكايت ميكند   وزجدايها شكايت ميكند

· · · · · · · · · · · ·

هر كسي از ظنّ خود شد يارمن   وز درون من نجست اسرارمن

وعدد أبيات المثنوى لن يحدد بحد بحيث يمكن أن يؤلف ديوان كامل من مثنوى واحد · وهذا بخلاف الغزل والقصيدة اللذين يكون عدد أبياتهما محدودين فضلاً عن أنه يراعي القافية فقط في المصراع الثاني (ماعدا البيت الأولى) ·

غزل :

منم كه شهرهٔ شهرم بعشق ورزيدن   منم كه ديده نيالوده ام ببد ديدن

قفا خوريم وملامت كشيم وخوش باشيم   كه در طريقت ما كافري است رنجيدن

ميوس جزلب معشوق وجام مى حافظ   كه دست زيدفروشان خطااست بوسيدن

قصيدة :

رسم عاشق نيست بايك دل دودلبر داشتن   يازجانان يازجان بايست دل بر داشتن

تاجوا نمردى است چون جانوشيا روماهيار   يار دارا بودن ودل باسكندر داشتن

أحمد آرام

الفهرس العام

لمواد المجلد السادس والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الأعلام

لكتاب مقالات المجلد السادس والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الجزء الرابع من المجلد السادس والعشرين

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)

٢ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث

٣ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث

٤ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي

٥ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك

٦ — تاريخ حكماء الاسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٧ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٨ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي

٩ — غوطة دمشق : تأليف الأستاذ محمد كرد علي

١٠ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي

١١ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي. قدّم له الأستاذ خليل مردم بك

١٢ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك

١٣ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك

١٤ — ديوان ابن حيّوس بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك .

١٥ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان

١٦ — تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلدة الأولى) بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد .

١٧ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

١٨ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني

١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني .

٢٠ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢١ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . سترستين

٢٢ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الأستاذ صلاح الدين المنجد

٢٣ — تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٢٤ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا

٢٥ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه الأستاذ يوسف العش

٢٦ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي
٢٧ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي
٢٨ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي
} بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي

٢٩ — الرسالة النباتية : للأمير مصطفى الشهابي

٣٠ — المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم

٣١ — الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ أبي عبد الله الزنجاني

